

كتابات السفراء الاجنبى

دكتور / محمد نصر الدين

أستاذ الطارق الأسيوطية ووكيل كلية التجارة

جامعة أسيوط

النيل كتب الجامعى للحديث

الأزاريطة - اسكندرية

ت : ٤٨٤٣٨٧٩

Library stamp
Bibliotheca Alexandrina

0185316

—

—

—

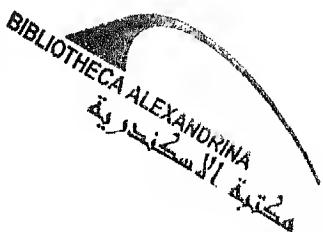
P. ٠ ٢١٧١

فِي

تحلییث الخلیج العریبی

دکتور / محمد نصر مهنا
أستاذ العلوم السياسية
كلية التجارة
جامعة أسیوط

المكتبة الجامعية
الأزاريطة / اسكندرية
٤٨٤٣٨٧٩



٢٠٠٠



« مذهبى صواب يحتمل الخطأ ومذهب غيرى خطأ
يحتمل الصواب »

« الإمام الشافعى »



المحتويات

توضيحة

فصل تمهيدى فى

بعض الملاحظات الجيوپوليتيكية

الباب الأول : الساحل الشرقي «إعادة صياغة حركة تاريخه»

- | | |
|-----|--|
| ٤١ | الفصل الأول : بريطانيا والقبائل حتى عام ١٨٥٢ م |
| ٥٥ | الفصل الثاني : الإحساء |
| ٦٣ | الفصل الثالث : الساحل العمانى ١٨٣٩-١٨٩١ م |
| ٧٦ | الفصل الرابع : مسألة البواديقى |
| ٩٤ | الفصل الخامس : اليمن منذ مطلع القرن العشرين |
| ١١٦ | الفصل السادس : الشيخ زايد بن سلطان |

الباب الثاني : تغيرات إقليمية جذرية

- | | |
|-----|---|
| ١٢٣ | الفصل الأول : الحدود الشرقية |
| ١٤٤ | الفصل الثاني : الشريف حسين |
| ١٥٤ | الفصل الثالث : الملك عبد العزيز |
| ١٦٤ | الفصل الرابع : نجد والكويت |
| ١٩٥ | الفصل الخامس : رياح التغير الإقليمية من البداوة إلى الاستقرار |
- والتحديث

الباب الثالث : بعض مظاهر التحديث

- الفصل الأول : عبد العزيز آل سعود «سياسي الصحراء والتحول
في الاهتمامات . ٢٢٥
- الفصل الثاني : أزمات العلاقات الكويتية العراقية ٢٤٩
- الفصل الثالث : السياسة الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة
تجاه الخليج . ٢٧٣
- الفصل الرابع : المملكة العربية السعودية وحلول ازمات الخليج
المعاصرة ٢٨٧
- الفصل الخامس : الخليج العربي ومشكلات نقل التكنولوجيا ٢٩٨
- الفصل السادس : الاعلام - النفط ٢٢٠

مقدمة

لعل من أهم معالم التحديث التي شهدتها منطقة الخليج العربي عبر تاريخنا الحديث هي دخول المجتمع الخليجي في نمط جديد من الحياة اقتضته مجرى في العالم من تطورات علمية وصناعية واقتصادية وسياسية واجتماعية، وتعتبر كل من الحداثة والمعاصرة خطوتان في مرحلة واحدة من مراحل دراسة تاريخ الخليج العربي الحديث ففي توجه نمط الحضارة في منطقة الخليج العديد من إيجابيات تجعل بعض الباحثين الاجتماعيين يميلون إلى التفاؤل ويتفق معظم الباحثين العرب على أن المرحلة الراهنة هي واحدة من المراحل المهمة في تاريخ الخليج الحديث والمعاصر حيث بروز المحاصلات الإسلامية الحضارية والعربية المتقدمة ، وقد صبت هذه المحاصلات في مجرى واحد تمهيداً لبدء المرحلة الخليجية الراهنة مرحلة حضارة العلم والتكنولوجيا والمعرفة وتعتبر المرحلة الراهنة أشبه بالبناء المتتساع كل مرحله تقوم على ما قبلها، وأن ما بعدها قائم عليها، وفي ظل العصور الحديثة التي بدأت منذ عدة قرون من الزمان، نجد حلقات السلسلة الخليجية العربية تتدخل في تطور مستمر فالسلسلة متصلة ، رغم ما يишوبها من تقطيع وتراجع بسبب الحروب الأقليمية المعاصرة .

ومهما يكن من أمر، فقد كانت حركة التحديث الخليجية العربية هذه خطوة ضرورية لخطوة لاحقة من خطوات المرحلة الراهنة وهي ما يطلق عليه اسم «الثورة العلمية والتكنولوجية». التي أخذت بها دول الخليج العربي .

لقد اسهم سعي الشعوب العربية الخليجية إلى التحديث مع رغبتها في المحافظة على شخصيتها وحيويتها وقناعتها بحقها في الاستقلال، وتباور مفهوم الحداثة ثم مفهوم المعاصرة من ثنياً نهجها مسيرة تحديثية وتقديم

أنماط جديدة من الحياة السياسية والاقتصادية الحديثة وادخال تجارب تحديثية على العالم العربي مما قد اسهم في تمييز مفهوم التحدث فالى أي مدى يرتبط مفهوم تحدث الخليج العربي الحديث بدلالة لفظه التاريخ عموماً : ان التاريخ يبدأ تدويناً لحوادث واخبار مفردة أو تخليداً لتأثير ملك ومن ثم فالتاريخ من أهم الميادين الفكرية التي اهتم بها الانسان فكما فكر الانسان في الكون المحيط به كيف خلق ؟ ولماذا خلق ؟ ومن خالقه ؟ ثم تحول الأمر الى كتابة التاريخ في صورة يوميات ثم حواليات في تعايش الاحداث يوماً بعد يوم وشهراً أو سنة في أثر شهر وسنة . وكان للعرب الفضل كل الفضل في هذا النوع من أنواع التاريخ الذي قصد به مؤرخوهم تثقيف العامة، وعرض العظات وال عبر على أبصارهم ولا يخفى أن التدوين التاريخي شيء، والتاليف التاريخي شيء آخر مختلف تماماً. فالاول مجرد نقل الاحداث والاخبار من الذاكرة الى البردي او صفات الحجر او الواقع الطين، والثاني سرد للأحداث وتبويب لها وتفسير لطبيعتها وسلسلاتها وأسبابها.

فالاول مادة التاريخ والثاني هو التاريخ والتاريخ، وفي مدارج بلوغ هذه النظرة الحديثة أملت بالتاريخ واساليب المؤرخين في معالجته تقلبات واتجاهات عديدة.

فمن المؤرخين من ركز اهتمامه على الحوادث والاخبار ومنهم من قال بان التاريخ ليس فقط اخباراً وانما هو ثبت لاعمال الناس، وهناك المؤرخ الاجتماعي، والمورخ الاقتصادي والمورخ السياسي ومادام التاريخ علماً ككل العلوم، فلماذا لا تنطبق عليه هو الآخر فكرة التطور التي طبقت على علم الأحياء من نبات وحيوان وقبلت نظرياته تماماً ، وهنا ظهر ما يسمى التطور في التاريخ، أو التاريخ التطورى كما لاحظ ذلك فريق من الباحثين والمؤرخين المعاصرين وهو ما يمكن تلمس منهجهية ذلك في الكتاب الذي ابديناه.

ومن ثم فائز لكل أمة نصيبها في هذا المضمار تقيمه على ما اتخذه من آراء وما اعتنقته من مبادئ وما رأته مثلاً علينا ينبغي أن يعمل عليها الفرد والمجموع جهد وسعهم ليصلوا إلى ما يشتتهون من سعادة ويبلغوا ما يريدونه من راحة بال.

وتأسيساً على ذلك أن كتابة التاريخ لا يمكن أن تقتصر على مجرد الحوادث، وإنما ينبغي أن يجتمع إلى ذلك عملية أخرى عقلية وتفسيرية عملية لا يقف فيها المؤلف عند مجرد الخبر والسرد بل يضم إلى الخبر رأيه فيما يورده من معلومات . فان تعمق الرأي تحول إلى فلسفة للتاريخ تخرج به عن التاريخ نفسه إلى أي فكرة جديدة يستشرفها المؤرخ وقد يستطيع إذ يستخلصها من الماضي أن يعود فيطبقها على الحاضر. ثم اذا هو بعد الاستقراء والتدبر في استنتاجها، يستطيع ان يستفيد منها ويستشف بواسطتها الاحداث التي ستتأتي بها الايام كأنما هو يقرأ نقلاباً عن الماضي في كتاب المستقبل. وتسائل العلماء : هل الأفضل ان يكون لديهم فيلسوف اوتى قسطاً معقولاً من التاريخ أم يكون لديهم مؤرخ اوتى قسطاً من الفلسفة.

الحق ان التاريخ هو وعاء الخبرة البشرية ، هو العلم الخاص بالجهود البشرية أو هو المحاولة التي تستهدف الاجابة على الاسئلة التي تتعلق بجهود البشرية في الماضي وتستشف منها جهود المستقبل. ومن الثابت أن التاريخ بهذا المعنى يتحول إلى علم له أصوله فما دام الانسان يعمل فكره في تلك الخبرات البشرية ويصدر فيها أحكامه تشكل له منها علم. أن العلم هو الكشف عن طبيعة الأشياء ثم تصنيفها وتبويتها وأصدار الأحكام عليها ولابد للتاريخ من وثائق يعتمد عليها المؤرخ في أصدار أحكامه، والوثيقة هي الشيء الموجود في زمان ومكان معينين . فكأن المؤرخ حين يجمع الوثائق ويشكل التاريخ

ويفسره، يسلم بأن هدف التاريخ هو معرفة الانسان بنفسه وتلك غاية لها أهميتها.

في هذا السياق تأتى معالجة موضوعات هذا الكتاب التى تتناول اعادة صياغة تاريخ الخليج العربى الحديث فى ضوء مظاهر التحديث التى شهدتها هذه المنطقة : فيما يعرف بالدول الخليجية العربية الاست على وجه الخصوص فى تطورها وتوجهاتها التحديثية مع التعرض للتغيرات الاقليمية التى شهدتها هذه المنطقة منذ مطلع القرن العشرين وصولا إلى الثمن الفادح بسبب ازمات الخليج العربى المتعاقبه وآخرها ما أحدثه الاحتلال العراقى للكويت فى الهزيع الأخير من القرن العشرين مع ان المعتمدى والمعتمدى عليه دولتان عضوان فى النظام العربى وهو ما أوجد جرحا عربيا عميقا لدى الرأى العام العربى حول جدوىعروبة والوشائج القومية والتى قد تستمر لفتره من الزمن فى القرن الواحد والعشرين ولحين ايجاد صيغة توافقية حول الوسائل والمبادئ ، والافكار المطورة والمعدلة والموضوعية فى ضوء الظروف الراهنة لدول الخليج العربى .

ويمكن القول بقدر معقول من الثقة ان هذه الدول تتطلع قدمما لدور متميز فى شئون الخليج العربى وأوضاعه بغية ان يكون الخليج العربى عامل قوة ووصل وليس عامل ضعف وفصل - على حد قول الدكتور نزار عبيد مدنى - وفي تطلع نحو تحقيق مستوى - مرتفع من الديناميكية السياسية والوظيفية .

ومن الثابت ان نظرة فاحصة على محتويات هذا الكتاب وخاصة الخلفية التاريخية الحديثة والمعاصرة عن الخليج العربى توضح للباحث والدارس والقارئ العربى كيفية الربط بينها وبين بعض مظاهر التحديث التى تمت معالجتها فى السعى نحو تحقيق توجه اقليمى شامل ليس لعملية التنمية فحسب وإنما صوب مقتضيات التحديث التى تستلزم مزيدا من الجهد المثابرة

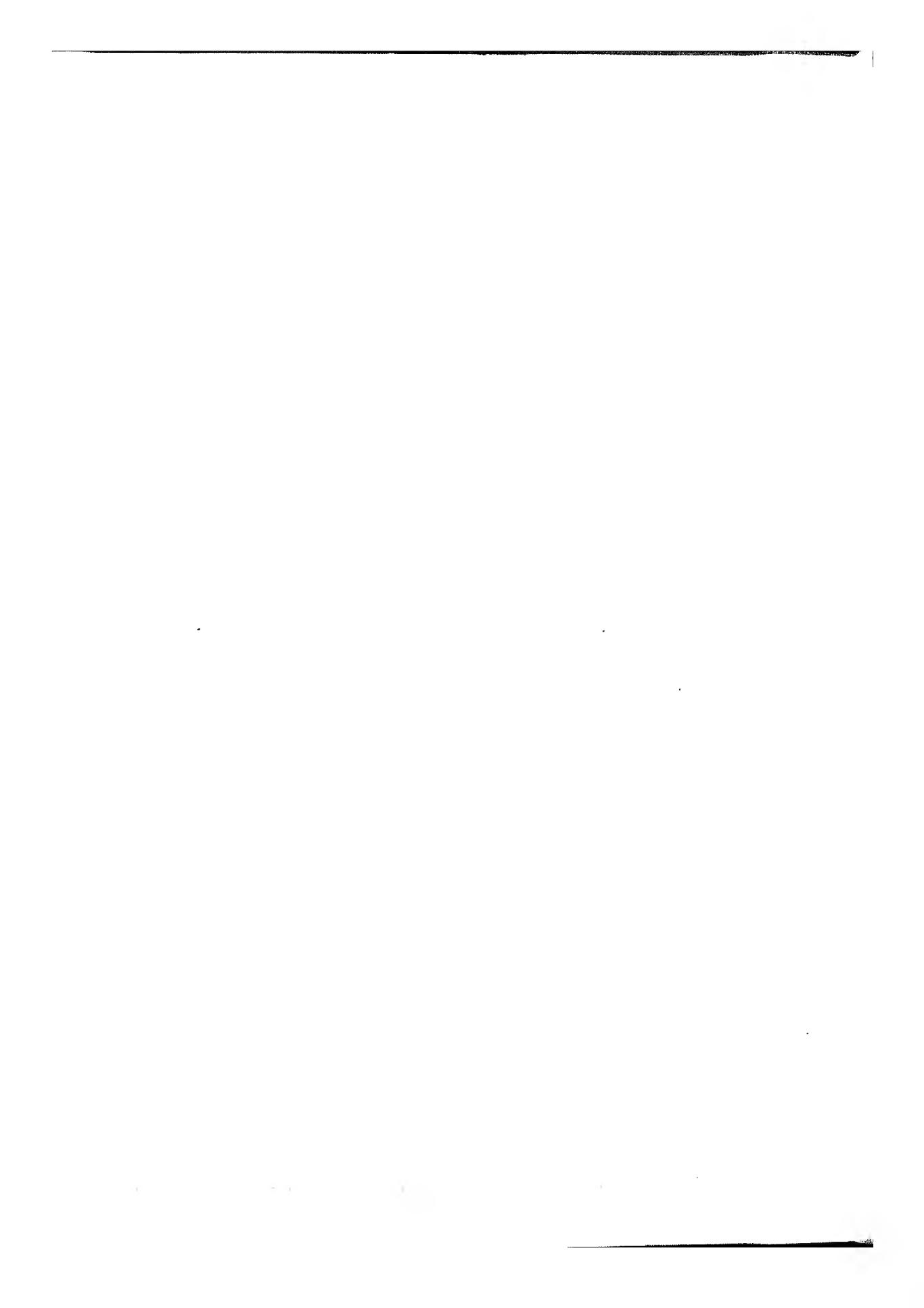
المقدمة

والنشطة والدؤوبة للأخذ بوسائل التقنية الحديثة من ثنياً محاولة استخدام ثروات منطقة الخليج العربي الاستخدام الأمثل وافساح المجال أمام الإنسان الخليجي العربي لاكتساب المهارة والمعرفة وافساح المجال له للابداع والابتكار.

والله وحده الموفق والمستعان .

رمل الاسكندرية فى ١/١/٢٠٠٠

دكتور محمد نصر مهنا



فصل تمهيدى

بعض الملاحظات الجيوبيرلكتيلية

من الثابت أن طبيعة البيئة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية عامل هام من عوامل انتشار الإسلام الحنيف. فالبيئة في شبه الجزيرة صحراوية تتخللها الوديان الجافة والهضاب المتعددة المظاهر ، والجبال المتفاوتة الارتفاع، وسماؤها صافية يسطع فيها القمر وهذه أسباب تحفز الإنسان على التأمل في السموات والأرض ، والتفكير في الخالق العظيم الذي رفع السموات بغير عمد . وجعل في الأرض رؤوسى حيث انعكس الإسلام في عقلية العرب على مظاهرين : الأول أن التعليم الإسلامي جاء مختلطاً تماماً لعقائد العرب، والثاني : أن الإسلام قد مكن العرب من فتح بلاد فارس وبلاط الروم وقد ضغطت البيئة الصحراوية السكان ودفعت بهم إلى الهجرة قبل ظهور الإسلام في موجات من القبائل تجاه الأودية والسهول الخصبة في العراق والشام بحثاً عن الرزق ، وحينما ظهر الإسلام كانت تلك القبائل العربية المهاجرة في مواطنها الجديدة بالعراق والشام مجالاً خصباً للدعوة الإسلامية التي حملها أقرباؤهم وأنسابهم من قبل شبه الجزيرة ، وغدت تلك القبائل خير عون على انتشار الإسلام في تلك الجهات، وأصبحت الشام بعد ما حظيت بنعمه الإسلام مقر دولة بنى أمية الإسلامية ، وورثها العراق مقراً للدولة الإسلامية في عهد بنى العباس.

وبالقاء نظرة فاحصة على العالم القديم يمكن ملاحظة شبه جزيرة العرب تشغل مكاناً وسطاً بين تلك القارات وأقاليمها ، وفي شمالها وشمالها الغربي يقع أقليم البحر المتوسط في جنوب أوروبا وشمال أفريقيا بانتاجه المتميز، وكان لابد من قيام التبادل التجارى بين هاتين البيئتين المختلفتين

بانتاجها المتميز ، وكان لابد أن يستغل عرب الجزيرة بالوساطة التجارية وكان الخليج العربي ، بحكم موقعه طريق الملاحة بين جنوب آسيا وجنوبها الشرقي وبين بلدان البحر المتوسط .

وقد تمكن العرب من نسبة كل إمكاناتهم وخبراتهم في التجارة، وأسهموا فيها بما كان لديهم سالكين طرق القوافل التي خبروها وحفظوها، والتي امتدت خلال شبه الجزيرة بين اليمن والحجاز من جهة، والخليج وببلاد الشام والعراق من جهة أخرى. وحين ظهر الإسلام ، أصبحت تلك الطرق التي طالما سلكها العرب لنقل المتاجر زمن الجاهلية، سبل الإسلام، ومسالك الدعاة لنشر الدعوة الإسلامية بالحسنى والقدوة والمعونة الحسنة .

وكانت مكة ذات موقع فريد، فهي في واد حصين ، تحيط به المرتفعات ، وتقع على طريق التجارة بين شمال شبه الجزيرة وجنوبها ، كما ينتهي إليها طريق الحج والتجارة من العراق مارا ببحائل والمدينة .

وكان هناك طريق يصلها بميناء الجرع القديم الذي كان يقع في ساحل الإحساء مقابل جزر البحرين، والذي كان يمتد مارا بواحات الهفوف وبعض الواحات نجد إلى مكة، وكانت لها قداستها ومكانتها ومركزها الدينى المرموق، ففيها وضع إبراهيم ومعه اسماعيل، جد العرب جميعاً، قواعد بيت الله الحرام. وهكذا تتعدد العوامل : سياسية واقتصادية ودينية ، لتدعم مكانة مكة وسكانها في شبه الجزيرة، وقد أقتضت أرادة الله سبحانه وتعالى أن يختارها لبعثة محمد عليه خاتم النبئ ، فازدادت قداستها ، وعل شأنها في العالمين .

وفي سياق سهولة اتصال مكة بمختلف أنحاء شبه الجزيرة وبالبحر يمكن تفهم كيف تمكن الإسلام أن ينتشر منها إلى شتى أرجاء شبه الجزيرة ، كما سهل على المسلمين أن يهاجروا منها إلى الحبشة عن طريق البحر حين

اشتد ايذاء المشركين لهم ومنها أيضا هاجر الرسول ﷺ إلى يثرب ، حتى يجد ظروفا أكثر ملائمة لنشر دعوة الإسلام ، وحين عاد الرسول ﷺ إلى مكه ظافراً منتصراً اتخذها قاعدة ينطلق منها الدعاة الذين كان يرسلهم إلى قلب شبه الجزيرة وشمالها وجنوبها وشرقها ، ومن هذا المقر القدسى خرجت جحافل المجاهدين لتدخل نور الإسلام إلى الحيرة والعراق والشام، ثم إلى بلاد فارس . ومصر وبلاد شمال أفريقيا غرباً ، وقد قضت تعاليم الإسلام الحنيف بأنه إذا أراد المسلمون غزو بلد وجب عليهم أولا الدعوة إلى الدخول فى الإسلام، فإن أسلموا كانوا وسائر المسلمين سواء، وأن لم يسلموا فإن عليهم أن يسلمو بلادهم للMuslimين يحكمونها ، ويبيقوا على دينهم - أن شاءوا - ويدفعوا الجزية - فإذا قبلوا كان لهم ما للMuslimين وعليهم ما عليهم، وكانوا فى ذمة المسلمين يدفعون عنهم ويعهدونهم بالحماية .

أن مظاهر الحضارة الإسلامية التي تركها العرب المسلمين ، هي مظاهر بناة ومشعرة ودليل ذلك أن الفتوحات الإسلامية ، قد خلفت تأثير عظيما حيث أرتقى العرب بهذه الشعوب ، ولعل أوضح مثال على ذلك إنجازات محمد بن القاسم الثقفي عندما غزا شبه القارة الهندية سنة ٩٣هـ فقد أستأثر بتقدير شعوبها له، ولدى مغادرته فقد ودعته بالدموع والعواطف الجياشة مما يعد من أقوى الدلائل على اندماج العرب المسلمين بهذه الشعوب رغم أنها غريبة عنها في اللغة والتاريخ والعادات، فالعرب أهل عقيدة وحضارة عريقة مما جعل الشعوب الأخرى تندمج في الحضارة الإسلامية . ومن الثابت أن انتشار العقيدة الإسلامية في السند والبنجاب ووسط آسيا وتغلغلها حتى الوقت الحاضر هو خير دليل على عراقة وقوة الحضارة الإسلامية التي تم خلالها بناء هذه الدولة .

وفي هذا السياق سوف نتعرض في تفصيل غير قليل للأوضاع الچيوبولنکیة لدول شبه الجزيرة العربية والخليج العربي .

فالملكة العربية السعودية تبلغ مساحتها نحو ٢١٥٠٠٠ كيلو متراً مربعاً ، وهي بذلك تحل من شبه الجزيرة العربية أربعة أخماس مساحتها . وتقع أراضيها بين البحر الأحمر غرباً . والخليج العربي شرقاً وتتصل حدودها من جهة الشمال بحدود العراق ومن ناحية الشمال الغربي بحدود المملكة الأردنية الهاشمية . ومن جهة الجنوب بحدود الجمهورية العربية اليمنية ومن جهة الشرق بحدود دول الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان .

ويزيد طول حدود المملكة في الجنوب وفي الشمال على ١٢٧٠ كيلو متراً ويبلغ طول ساحل المملكة على الخليج العربي نحو ٦١٠ كيلو متراً، وتقوم عليه موانئ سعود، والجبيل ، ورأس تنورة والدمام والعقيير ويبلغ طول الساحل الغربي للمملكة المطل على البحر الأحمر ١٨٠٠ كيلو متراً بين ميناء العقبة شمالاً وجيزان جنوباً ، وفي هذا الساحل تقع موانئ الوجه، ضباء، وينبع وجده والقنفذة ، وجيزان وبلغ عدد سكان المملكة حسب أحصاء تقديري في عام ١٩٧٨ نحو ثمانية ملايين وقدر عددهم في عام ١٩٨٣ بأكثر من تسعة ملايين نسمة ومن المتوقع زيادة عدد السكان في الوقت الحاضر بإضافة مليونين آخرين بالإضافة إلى أعداد غفيرة من الأجانب يعيشون في المملكة ويقدر عددهم بأكثر من مليونين معظمهم من العرب ويتوسط السكان بين مكة المكرمة، والرياض ، والمنطقة الشرقية ، وعسير ، والمدينة المنورة، وجيزان ، والقصيم وحائل وطبعاً أن ترتفع نسبة السكان في مناطق الحدود حيث تشيع المرعى الصحراوى وينتشر الرعى، اذا تبلغ هناك نحو ٦٧٪ على حد ماذكرته إحدى المصادر (١) .

ويلاحظ أيضاً أن المملكة مناطق أخرى لا تسمح ظروفها بقيام الزراعة وحيثما توافرت ظروف جغرافية مواتية للاستقرار، والاشغال بحرف ثابتة كالزراعة والخدمات والتاريخ ، فإن نسبة المستقررين بالطبع تزداد ، ومثل هذا نجده في منطقة القرى ، وفي منطقة نجران وفي عسير وفي منطقة القصيم في منطقة الرياض يستقر نحو ٧٦٪ أو أكثر من جملة ساكنيها.

وتتميز منطقتنا جيزان والباحة بارتفاع نسبة السكان المستقررين وفيها تسود حرف الزراعة المستقرة . وتزيد نسبة الاستقرار كثيراً في المنطقة الشرقية بسبب انتشار حقول البترول ومعامل تكرير البترول، والصناعات البتروكيماوية ، وما يرتبط بها من نشاط وخدمات.

وسكان المملكة في جملتهم مسلمون سنين، وفي المنطقة الشرقية تعيش قلة من الشيعة ، وبخاصة في مدينة القطيف .

أرتبطت البداوة في المملكة العربية السعودية بمجموعة من العوامل الطبيعية التي كان لها أبعد الأثر في تشكيل ظواهر البيئة الطبيعية للبدو والبداوة ، واتصلت البيئة الاجتماعية والاقتصادية والحضارية للسكان منذ البداية مع البيئة الطبيعية اتصالاً وظيفياً وثيقاً ، وتدخلت بحيث تشكل منها جميعاً البيئة العامة للمجتمع السعودي (٢)

ومن منظور تاريخي فقد شهد سكان المملكة فترات انتعشـت وأزدهـرت فيها أحوالـهم بشـكل ملحوـظ ، حين استفـادـت بعض مراكـزـها العـمـرـانـية من أهمـية مـوـاقـعـها على طـرقـ التـجـارـةـ الـقـدـيمـةـ، فـنـمـتـ وـارـتفـعـ شـائـنـهاـ كـأسـوـاقـ ومـحـطـاتـ منـذـ الـأـلـفـ الـرـابـعـةـ قبلـ مـيـلـادـ السـيـدـ المـسـيـحـ ، مـثـلـ مـكـهـ الـمـكـرـةـ ، والمـديـنـةـ المنـورـةـ

وكان الطريق المهم يبدأ من مأرب التي تقع شرقى صنعاء باليمن بحوالى ١٢٠ كيلو متراً وكانت مأرب مركز تجميع للسلع الموسمية من الهند القادمة عن طريق موزع قرب مخا الحالية على البحر العربي ، ومن الأقليم المدارى عن طريق ميناء عدن ومن مأرب يسلك الطريق اتجاهها شمالاً إلى معين ونجران ، ثم مكة ويثرب ، فالعلا. إلى مدائن صالح ، إلى تيما ، وأخيراً إلى بتراء .

وكان هناك طريقان آخران أحدهما يصل الشرق بالجنوب وكان يبدأ من ميناء «جيরها» على الخليج العربى بالقرب من ميناء العقير الحالى ماراً بواحات «الحفوف» فمنطقة اليمامة إلى وادى الأفلاج ، ومنه إلى وادى الدواسر - ثم وادى نجران إلى مأرب . والطريق الثانى يصل الشرق بالشمال ، ويبداً أيضاً من «جييرها» إلى الحفوف ، فشمال اليمامة عند حوالى مدينة الرياض الحالية ، ومنه شمالاً وغرباً بمحاذاة جبل طويق ، ثم غرباً إلى بريدة ، فحائل ، ومنها إلى تيما ثم إلى بتراء .

وقد اتجه بعض السكان الى احتراف التجارة الداخلية ، فلم تنقطع منذ القدم قوافل تجارة نجد وتهامة والجذار ، متخذة وسائل متطرفة مع الزمن، ومع عوامل التحضر والاتصال المعاصرة في المملكة كان من الضروري أن تستبدل الجمل بالسيارة والشاحنة تبعاً لما حدث من تطور .

لم تكن البيئة الطبيعية السعودية رغم خصونتها وقوستها تمثل اغلال وقيوداً يستحيل كسرها والفكاك منها . فكان التغير والتتطور من سمات السكان ، الذين اعتنقوا الاسلام الحنيف في القرن السادس الميلادي ، ثم فاتحين لامصار امتدت رقعتها بين المحيط الاطلسي غرباً وحدود الهند شرقاً ، كما تقبل هؤلاء السكان التغيير الكبير الذي احدثه اكتشاف البترول فيما يعد ، وهو العامل الجديد الذي غير بناء بيئه المملكة السكانية المعاصرة .

كان عنصر توافر الماء وكمياته وتوزيعه ونوعيته ، إن تحددت أحوال السكان الاقتصادية ويحصل الماء بمصدرين رئيسيين يتصلان بالبيئة الطبيعية السعودية هما المناخ، وخاصة المطر ، ثم المياه الجوفية ، فعلى أساس هذين المصادر تحددت مساحات المراعي ونوعيتها .

ولم يكن تنقل السكان وراء المراعي فحسب، بل بهدف التجارة أيضاً كما سبقت الاشارة ، لكن اتصال البداوة بالرعى أوثق من غيره في بيئه المملكة الصحراوية ، ومثلت القبيلة نظامها الاجتماعي الذي كان يزداد صلابة مع قسوة المناخ.

وقد أسمهم الحرس الوطني السعودي -فيما بعد- في استقرار البدو عن طريق انتظام كثير من أبناء البادية في صفوفه . كذلك تم مد خط أنابيب البترول التابع لشركة «التابللين» وحفر الآبار المتعددة على طول ذلك الخط على استقرار كثير من أفراد القبائل في المنطقة الشمالية (٢)

وتتجدر الاشارة أنه قبل اكتشاف البترول واستثماره بصفة خاصة، لم يكن من بين مدن المملكة الحالية سوى مكة المكرمة والمدينة المنورة، بحكم مكانتها الدينية السامية بالنسبة للعالم الإسلامي ، وحتى بعد اتخاذ الرياض كعاصمة سياسية للمملكة فقد كانت مكة المكرمة - ولا تزال بمثابة أكبر مدن المملكة حجماً وباعتبارها المدينة أبرز مدن المملكة الأكثر سكاناً .

أما المدينة المنورة فقد مرت في بداية هذا القرن بمرحلة انتعاش أحوالها بوضوح، وارتبطت هذه المرحلة على وجه التحديد باتمام إنشاء خط حديد الشام - الحجاز سنة ١٩٠٦ ، حيث برزت أهمية موقعها من جديد ورغم قصر مدة تشغيل هذا الخط التي لم تدم أكثر من عشر سنوات، إلا أنه كان باللغ الدلالة في نتائجه بالنسبة لها ، فقد ارتبطت المدينة المنورة من جديد بالعالم

الخارجي ، فتضاعف عدد سكانها عدة مرات عشية نصف الخط في عام ١٩١٥
اثناء الثورة العربية .

أما جدة فكانت معروفة باعتبارها مدخل للاماكن المقدسة في المدينتين
الساميتين .

أما بقية المراكز الحضرية الأخرى في البلاد فلا تغدو أن تكون مجرد
اسواق محلية وهي أسواق قامت تاريخها اعتماداً على موقعها ويسر الحركة
والمواصلات منها وبها ويستوى في ذلك موانئ البحر الأحمر ، وأسواق تهامة
والمرتفعات الغربية والهضبة عند اتصالها بالسهول الشمالية والشرقية .

واذا كانت بعض هذه الأسواق والمرافق كان لها لفترة من الزمن أهمية
وشهرة محلية وخارجية ، كالقنفذة والليث وخبير والعلا وتيماء ، بفضل موقعها
على شبكة الطرق التجارية إلى خارج شبه الجزيرة العربية إلا أن هذه
الأسواق والمحطات والمرافق قد عادت إلى وظيفتها الأولى كمراكز لتبادل
فائض إنتاجي بين الزراع وبعضهم ، وبين الرعاة (٤)

ويمكن اعتباراً قيام المملكة العربية السعودية باكتشاف البترول
بأراضيها عقب قيامها بنحو عقد من الزمن ، بمثابة عامل التحول نحو
الحضارة والأخذ بمقتضيات التحديث ومن أهم مظاهرها ظهور المنطقة
الشرقية كمنطقة حضرية رئيسية في المملكة وسارت بخطى واسعة نحو
التحديث وهو ما يستدعي وقفة للتحليل :

فلقد أدى اكتشاف البترول بكميات وفيرة إلى ظهور بعض المراكز
الحضرية المرتبطة بمناطق إنتاجه مباشرة ، وموانئ تصديره ومعامل تكريره ،
ثم انتقلت أثاره تدريجياً إلى خارج مناطق إنتاجه ، وخاصة إلى مراكز
الحضارة القديمة ، والأسواق التاريخية فانتعشت بما تدفق في أسواقها من

رواج ، ونمط مع نزوح سكان الباادية والريف اليها مما ادى إلى اعادة توزيع السكان بالعاصمة الرياض وجده ومكه والطائف والمدينة المنورة والدمام والهفوف وتبوك وبريدة وخميس مشيط والخبر ونجران وحائل وجيزان وابها وتزخر ارض السعودية بعدد من المعادن الفلزية ذات القيمة الاقتصادية أهمها: الذهب والنحاس ، وال الحديد ، الفضة ، الرصاص ، والزنك والكرום والمعادن المشعة .

كما تحول ارض المملكة من المعادن الفلزية مثل الفوسفور الذي يوجد بمنطقة ثنية وطريف ، ويقدر احتياطيه الممكنا باكثر من ألف مليون طن والمغنيسيوم والفلوريدات والبريليوم والميكا في وادي الحمض وفي منطقة غامد وزهران ثم البترول الذي بدأ استثماره الحقيقي على نطاق واسع في أواخر عام ١٩٣٣ ، حينما تأسست شركة «استاندر - كاليفورنيا العربية للنفط » Casoc California-Arabian Standard Oil Company وذلك بهدف البحث عن البترول واستغلاله في السعودية . وعندما تأكدت هذه الشركات من ضخامة الاحتياطي ، واحتياج الانتاج الكبير لرأس مال كبير ، وأسواق واسعة لتصديره . رأت اشتراك عدد من الشركات الأمريكية الكبيرة . وهكذا دخلت شركة تكساس بحصة مقدارها ٣٠٪ ، وشركة استاندر - نيوجيرسي بنصف ٣٠٪ أيضا ، وشركة سوكوني فاكوم بنصيب ١٠٪ واحتفظت شركة استاندر - كاليفورنيا لنفسها بملكية ٣٠٪ من جملة الاسهم ، واصبحت الشركات الأربع مالكة للشركة الجديدة التي أصبحت اسمها «شركة الزيت العربية الأمريكية» Arabian American Oil Company واحتصارها Aramco .

وقد انتقلت ملكية شركة ارامكو إلى الحكومة السعودية حيث أصبحت الشركة اداة فنية السعودية ، تقوم بها تكلفها به الحكومة من أعمال التنقيب

عن البترول وانتاجه وتكريره وتسويقه ، ومتازال الشركة أكبر شركة منتجة للبترول في العالم، وهي تنتج ما يزيد على ٩٦٪ من مجموع انتاج المملكة السعودية، وهناك عدد من الشركات الأخرى مثل شركة الزيوت العربية اليابانية وشركة جيتي (الأمريكية)، وشركة وكسيراب (فرنسية أو أمريكية) وشركة أجيب (إيطالية وأمريكية) وشركة سن - ناتوماس

وتنشئ شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) معظم الحقول الهامة والمنتجة وأهمها حقل أبقيق وحقل أبو حدرية وحقل بري وحقل الدمام .

أما الأمير عبد العزيز آل سعود - الملك فيما بعد - والذى تم اكتشاف البترول فى عهده فقد سعى حثيثاً إلى تكوين مملكة تأخذ بمقتضيات التحديث وخاض من أجل ذلك معارك كثيرة شرق وغرب نجد للدفاع عن مملكته لكن لم يسبق له أن حارب جنوبها ، إذ تفصل بين نجد وبين الدول الواقعة على البحر العربى منطقة الربع الخالى الواسعة التي لم يكن يدخلها إلا قليل من الناس، والتي لم يكن أحد يرى جدوى من القتال من أجلها . لكن كان هناك خصم قوى في الجنوب الغربى من جزر العرب متمثل في دولة اليمن وكانت احتتمالات الحرب مع ذلك الخصم تزداد بازدياد نفوذ ابن سعود . ذلك أن حدود اليمن الشمالية وقتئذ كانت متاخمة للحدود الجنوبية من المملكة العربية السعودية على شواطئ البحر الأحمر الخصبة المكتظة نسبياً بالسكان وبعد استيلاء ابن سعود على الحجاز وعسير - كما سيأتي تفصيل ذلك فيما بعد - بدأ التزاع بين السعوديين واليمنيين ويعتقد المانع (٥) أن سبب ذلك يرجع جزئياً إلى عدم الثقة الناتج عن الاختلاف المذهبى بين الطرفين . فآحدهما يتبع المذهب السنى، والثانى يتبع المذهب الزيدى الشيعى ، ومع أن الخلاف بين المذهبين لم يكن خطيراً من الناحية النظرية فإن كل طرف كان يعتبر الآخر مخالفًا للدين .

على أنه كانت هناك أسباب سياسية فالامام يحيى ملك اليم ، قد اعتبر ازدياد نفوذ ابن سعود تهديداً لاستقلاله ، وخفف أن يستولى على بلاده . وكانت الفكرة العامة أن اليمن بلاد صعبة شاقة يسكنها أناس أشداء ، وأن الملك لن يكسب كثيراً من ضمها إلى مملكته وينظر المانع (٦) أنه حين أخبر الملك بشأن استيلائه على اليمن كان رد فعله الفوري رفض الفكرة تماماً، إذ قال «أن اليمن ليست لي » ومع هذا فلم يكن الامام يحيى ملوماً على قلقه على حد قول محمد المانع والذي أضاف قائلاً :

كانت جازان حتى أواخر العشرينات إمارة صغيرة مستقلة تجاور الحدود الشمالية لليمن على البحر الأحمر ، وكان قصر أميرها في مدينة صبياً فوقع خلاف بين هذه الإمارات وبين اليمن نتج عنه طلب أمير جازان من ابن سعود حمايته فوافق جلالته على مساندة ذلك الأمير دون تردد ، واقرر أن يرسل إلى جازان مفوضاً يساعدته في شؤون الحكم وذهب المفوض السعودي صالح بن عبد الواحد إلى هناك ، وقام بالاعباء الموكولة إليه ، وبعد ذلك واجه الأمير مشكلات مالية ، فطلب من الملك أن يفرضه مالاً فوافق جلالته على ذلك.

ولم يمضى وقت طويلاً حتى أصبح الأمير نفسه قليلاً المقدرة على البت في أمور حكومته ، وقد أدرك بعد فوات الاوان ما كان يجري حوله حيث جمع ما استطاع جمعه من قوات وضم جازان إلى مملكته وقد تم ذلك بسرعة ودون أراقة كثيرة من الدماء هرب أمير جازان إلى اليمن .

شاهد الامام يحيى هذا المثال من ذكاء الملك السعودي وصمم على أن لا تعانى مملكته مصيرًا مثل مصير جازان وقد رأى أن قليلاً من مظاهر الحرب هو السبيل الأمثل لاقناع ابن سعود بأن اليمن لا تزيد أن تصبح جزءاً من أراضيه وكانت الطريقة التي اختارها المطالبة بمنطقة نجران الواقعة على

حدود الشمال الغربية وبنطقة جنوبى عسير الواقعة على حدوده الشمالية الغربية وكانت المنقطتان قد أصبحتا ، بعد ضم الحجاز وعسير ، من أطراف المملكة العربية السعودية وإن لم تكونا قد أدخلتا تماماً ضمنها فكانتا تتمتعان بنوع من الاستقلال القلق المضطرب تحت إدارة أمر محلين وكانت حدودها مع كل من السعودية واليمن غير محددة وإن كانت الاولى تقول بأنها جزء منها وكان ابن سعود من الحكم بحيث لم يحاول أن يغير ذلك الوضع لأن جنوب عسير ونجران كانتا في الواقع منطقتين فاصلتين بين مملكته وبين اليمن وكان واضحاً أن أية محاولة يقوم بها الإمام يحيى لتفجير الوضع الراهن حينذاك سيكون مصدر قلق كبير للملك .

ويستطرد محمد المانع قائلاً : كان مطالبة الإمام يحيى بنجران أول الأمر شفوية وقد بحث هذا الأمر بواسطة العديد من الأطراف حاولت مسح حدود اليمن واعادة تحديدها لكن جهود الوفود لم تثمر لأن تثبيت الحدود لم يكن يعتبر ضرورياً قبل ذلك أبداً ولأنه لا يستطيع إنسان أن يحدد مكانها فحدثت منازعات لا نهاية لها حول جبل من جبال نجران ، وأحال الوفدان اليمني السعودي أمره أولاً إلا الإمام يحيى فأعلن أنه يترك الحكم فيه لأخيه الملك عبد العزيز وأرسلت برقة من اليمن إلى جلالته بهذا المضمون وقرأها الملك مبتسماً وهو يقول «لقد طلب مني أن أحكم في النزاع حول الجبل» وأنهى «اعلن من الأن أن الجبل لليمن» وقد شاع هذا الخبر بسرعة في كل البلاد العربية وكان عنوان إحدى الصحف المصرية «الحق يتكلم» (٧).

غير أن ملكية الجبل لم تضع حداً للخلاف حول نجران فأخذت المفاوضات تطول وتزداد مرارة . وازداد التوتر بين الطرفين حين قرر الإمام يحيى بان يساند دعواه بارسال فصائل من قواته إلى نجران وأخذت الأبل

اليمنية تدخل إلى موقع القوات السعودية المرابطة هناك ، فاحتاج السعوديون لدى الإمام على ذلك التدخل ، لكنه اصر على عدم سحب قواته ، بل أنه أجاب على الاحتجاج بأن أرسل إلى الملك رسائل احتجاج مصوّفة بعبارات ذات إفراط في بلاغتها ، ولعله كان في ذلك المثل العربي القائل: إن من البيان لسحراً ، وقد أزعجت الملك صياغة تلك الرسائل التي قصدت الإمام بها ، على ما يبدو ، إظهار تبخره باللغة ، والتي كانت خالية من المعنى على أية حال وزاد من غضب جلالته أن الإمام كان يسيء استخدام المسألة الدينية ليؤيد دعواه ولم يكن مستغرباً أن ييأس جلالته من إيجاد حل سلمي للمشكلة بينها .

حلت قضية نجران حلاً مؤقتاً في سنة ١٩٣٢م عندما طردت قوات سعودية ، بقيادة خالد بن لؤي ، اليمنيين من المنطقة وضممتها رسمياً إلى ابن سعود ، ورغم أن ذلك كان نكسة خطيرة لليمن فإن لم يخضع الإمام يحيى، بل ضاعف جهود للمطالبة بجنوب عسير وتدورت العلاقات بين السعودية واليمن حتى سنة ١٩٤٣م حيث قرر الملك بأنه ليس لديه بديل عن اللجوء إلى القوة وكانت خطوطه الأولى أن دعا جمعاً صغيراً من رؤساء القبائل الموالين له وكانت الضربات الموجهة أخيراً إلى الإخوان ، وإن كانت ضرورية لامن المملكة وقد جعلته في حاجة ماسة إلى محاربين مدربين يعتمدون عليهم . وكانت البطون الرئيسية من عتبة ومطير في حالة ذلة بعد الهزائم التي لحقت بها ولذلك كانت القبيلتان ممثلتين ببطونها الثانوية ، وكانت هذه قد ظلت موالية للملك ، لكنها كانت أقل عدداً من البطون الأخرى ، ولم تكن لها شهرة مثل شهرتها من الناحية الحربية على أن رجال القبائل كانوا يتفجرون حماسة للمعركة ، وكان يمثل عتبة الروقة وقد وقف رئيسها ، عمر بن ربيعان ، وصاح مخاطباً للملك بقوله : « يا عبد العزيز أن كنت تريد اليمن فاسمح لي بقيادة الهجوم وستستطيع أن تبقى في مكه المكرمة أو الرياض وسأئي بها اليك ». لكن

ابن سعود رفض عرضه في تولى قيادة الجيش لأنّه كان بدون شك ، يفكّر فيما حدث بعد الاستيلاء على الحجاز حين طمع كل من الديوش وابن بجاد في حكمها لما قاما به من دور في السيطرة عليها وكانت إجابته لابن ربيعان مختصرة واضحة ، إذا قال «لن تتحرك قبيلتك خطوة واحدة دون أمر مني وأنّي قد عينت ولدي سعوداً وفيصلاً لقيادة جيوشنا وستذهب أنت معهما ». على أن الملك قبل جزءاً من نصيحة ابن ربيعان حيث قرر أن يبقى في مكة المكرمة .

جاء ذلك القرار مفاجئاً إلى حد ما لأن الملك كان ، عادة ، يقود جنوده بنفسه في الغزوات الكبرى ، وكان لديه . ومن المحتمل أنه لم يكن يرغب في ضم اليمن، بل كان يريد مجرد إخضاع الامام يحيى وكان يدرك أنه لابد من التوصل إلى حل سلمي ، وكان يدرك أنه من الأيسر عليه أن يبدي شهامة وهو بعيد عن ميدان القتال أكثر مما لو كان مشاركاً ، وشخصياً ، في القتال وربما كان غير مطمئن إلى الحجاز التي لم يمضى على دخولها في حكمه أكثر من ثمان سنوات .

وانتهى المؤتمر وذهب رجال القبائل كما أمروا ، ليأخذوا مواقعهم قرب حدود اليمن وييتظروا أوامر جديدة قبل أن يقوموا بهجومهم . وكانت لحلمات الملك الوداعية لرجاله هي ما كان يردد دائمًا قبل كل معركة «إياك نعبد وإياك نستعين».

وينطلق محمد المانع موضحاً اصرار الملك عبد العزيز على تنفيذ خطته قائلاً : وفي محاولة أخيرة للسلم بعث الملك إنذاراً نهائياً إلى الامام يحيى واضعاً شروطاً معتدلة لتسوية الخلافات الجديدة المعلقة ومهدداً بالحرب إذا تقبل تلك الشروط . لكن الإمام تجاهل الإنذار . وفي الخامس من ابريل سنة

عام ١٩٣٤ عبرت القوات السعودية حدود اليمن ، وكانت الخطة أن يشن الامير فيصل (الملك فيما بعد) في الوقت نفسه بالهجوم من الغرب عبر تهامه على الشريط الساحلي الموازي لشواطئ البحر الاحمر ، وكان تقدم الامير سعود بطبيعة على أن المهمة التي أسندة إليه كانت عسيرة ، وكانت المشكلة هناك هي طبيعة البلاد الوعرة التي كانت كثيراً ما استدعت رفع وسائل النقل وإنزالها بالجبال فوق المنحدرات الشديدة . وكان الامير أحمد ولی عهد اليمن ، قائد القوات اليمنية في تلك المنطقة ، قد جعل مركز قيادته في مدينة صعدة الواقعة على رأس جبال منبع فلم تكن أبداً عرضه لخطر استيلاء السعوديين عليها وكان ولی العهد لسبب معقول ، يسمى أبا جنیة فقد كانت تستبدل به موجات غضب جامع ، وكان جنوده وخدمه يخافونه أشد الخوف وكان الامير قائد ناجحاً وكان تحت إمرته جانب كبير من الجيش اليمني ، فقاده بمهارة وظلت قواته على العموم مرابطة في مواقع حصينة في الجبال وكلما قامت القوات السعودية بهجوم ضدها قاومتها مقاومه عنيفة واذا تعب السعوديون شنت القوات اليمنية عليهم هجوماً مضاداً وأجبرتهم على التراجع نحو السهل وقد وصلت القوات اليمنية إلى معسكر الامير سعود ونهبت وقضت على ذخيرته ومؤنه وأحرقت خيامه قبل أن تنسحب إلى قلعتها الجبلية ونتيجة لهذه الهزيمة حاول الامير سعود خطة جديدة فبعثت قوات تحت قيادة ابن عمه فيصل بن سعد وفهد بن سعد وأمرهما أن يتوجهوا جنوباً بهاجما السفوح الشرقية للمنطقة الجبلية من عدة نقاط لكن هذا الهبوء فشل ، كان السعوديون أينما ذهبوا يضطرون إلى تسلق حفارات جبلية أشد وعورة من تلك السفوح الشمالية وكان اليمنيون يصدون الهجوم دون أية صعوبة .

لم يكن من الممكن وصف الحملة كلها على المنطقة الشمالية الشرقية إلا بأنها فشل ذريع لكنها ، على أية حال ، خدمت غرضاً ، وهو أنها أبقت جانباً

كبيراً من الجيش اليمني مرابطأ في الجبال وذلك ما أعطى للأمير فيصل حرية نسبية في التحرك غرباً ، وكانت حملة فيصل (٨) ، على عكس حملة أخيه سعود قد لقت نجاحاً باهراً ذلك أنه انطلق من جازان وعبر الحدود اليمنية مكتسحاً سهل تهامة حتى واجه فرق كبير من القوات المرابطة في مدينة حرض واستطاع اليمنيون أن يقفوا تقريباً لفترة من الزمن ولكنه في نهاية الأمر خاض معهم معركة شاملة فهزمهم وانسحبوا فلولهم بعد أن تكبدوا خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد ومن سوء الحظ أن القائد السعودي ، حمد الشويعر ، قتل في تلك المعركة لكن النصر منح السعوديين ما كانوا يحتاجون إليه من معنويات ولم يواجه الأمير فيصل بعد معركة حرض أية مقاومة حقيقة ، فاستطاع أن يتقدم بسرعة عظيمة بمحاذة البحر صوب الحديد الميناء الرئيسي لليمن ، وكان يتغلب على الجيوب القليلة العدد في طريقه دون صعوبة وكانت بعض القوات اليمنية تتخذ مواقع لها فوق التلال الواقعة شرق خط تقدم السعوديين لكن في يصل لم يحاول الهجوم عليها كما أنها لم تجرؤ على مهاجمته في السهل.

وبينما كانت القوات السعودية تتقدم إلى الجنوب دون مقاومة تذكر وصلت أنباء إلى الأمير فيصل بأن الإمام يحيى استجد بقوات أجنبية عديدة لتساعده ، وأن الإيطاليين قرروا مساعدته وبعثوا قوات عبر البحر الأحمر إلى الحديدة وكان غرضها فيما يبدو ، الاستيلاء على هذه المدينة ومنع السعوديين من دخولها ولم يكن الأمير فيصل ليدع ذلك يحدث وكان رد فعله سريعاً ومستلهما من التدريب الذي تلقاه على يدي والده فأرسل فوراً طلائعاً أمامه إلى الحديدة وأمر جيشه أن يتقدم إليها بقصوى سرعة وأنه انطلق بخطوات أسرع من بقية قواته وصل إلى ضواحي تلك المدينة مع مائة من رجاله حيث التقى بطلائعاً عائدين منها .

علم الامير فيصل بأن اليمنيين انسحبوا من الحديدة وأن عدداً من السفن الحربية الايطالية على وشك إنزال قوات لاحتلالها ونظراً لضائقة من كانوا معه أمام القوات الايطالية فقد حثه رفاقه على التراجع لكنه لم يخسر سباقه مع الزمن ، وكان مصمماً على أن لا ينهزم في اللحظة الأخيرة ، فأمر رجاله أن يتقدموا فوراً إلى المينا ويطلقوا نيرانهم على الايطاليين قبل أن تتاح لهم فرصة النزول إلى البر وكان أن فعلوا ذلك واعتقد الايطاليون بأن السعوديين كانوا فعلاً يسيطرون على المينا فانسحبوا بسرعة إلى مكان مأمون وسر الامير بهذه النتيجة ، وأشار إلى السفن المتراجع قائلاً لمن حوله : «انظروا ربما لم أكن مجنوناً كما ظننتم حين أمرت رجالى بإطلاق النار عليهم»^(٩).

كان سقوط الحديدة ، رغم محاولة التدخل الاجنبي ، ضربة قاصمة للإمام يحيى وازدادت حالته سوءاً فجنجح للسلم ووافق ابن سعود على الهدنة وظلت قواته تسيطر على المناطق التي استولت عليها والمحاوضات بين ممثلي البلدين تجري في الطائف وقد حثت بعض الدول العربية الملك على أن يدع اليمن تحتفظ باستقلالها ضمن الحدود القائمة وكان جلالته سعيداً بالموافقة على تسوية الخلاف وفق هذا الأساس ، وانسحبت القوات السعودية بعد أن رضى الإمام بدفع غرامة حربية مقدارها مائة ألف جنيه استرليني إلى ابن سعود تعويضاً له على نفقات الحملة ، ثم وقعت معااهدة سلامية بين الطرفين مكة المكرمة وأنشئت لجنة حدود مشتركة استطاعت أن تتفق على تعين الحدود ، ومع أن ابن سعود كان قادراً على أن يطيع بالإمام يحيى ويستولى على اليمن بالقوة دون صعوبة فإنه لم يفعل ذلك واكتفى بپرزيمة حاكم تلك البلاد والتاكيد من أنه لن يستطيع بعد ذلك أن يشكل تهديداً له .

وعموماً منذ قبل اليمن حدوده مع السعودية في عام ١٩٣٤ وفقاً لاتفاقية السلام التي انعقدت بالطائف لتخفيض الحدود بينهما وبموجبها تصبح نجران ضمن أراضي المملكة العربية السعودية، غير أن هذه الاتفاقية أثارت بعد عدة عقود الجدل بين اليمنيين وال سعوديين حيث شهد تطور الأحداث في ال هزيع الأخير من القرن العشرين تسوية مشكلات الحدود السعودية اليمنية من خلال العديد من الاتفاقيات ومن ثنايا الدبلوماسية الها媧ة التي تتسم بها السياسة السعودية الخارجية.

وإذا مارجعنا إلى الوضاع الجيوسياسي لليمن فالملاحظ أن اليمن يقع في الركن الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية ويطل على البحر الأحمر بساحل طوله ٥٠٠ كيلومتراً يمتد من قرب بلدة ميدي في الشمال إلى الرأس الجنوبي المواجه لجزيرة بربن في مدخل البحر الأحمر ويحتل اليمن بمقعة هذا موضعًا جغرافياً هاماً على طريق الملاحة العالمية بين المحيط الهندي و泓وس البحر المتوسط كذلك قربه من أفريقيا جعل منه حلقة وصل بينها وبين آسيا ولهذا فقد اشتغل سكان اليمن منذ القدم بالتجارة والواسطة التجارية كما اشتغلوا أيضاً بالزراعة وفلاحة الأرض، ونجحوا في تشكيل حضارة قديمة كانت لها صلاتها الوثيقة بالحضارة الفرعونية في مصر وحضرات سومر وبابل وأشور بالعراق، ومن الثابت أن العوامل التي ساعدت على تشكيل هذه الحضارة القديمة قد أدى إلى تكوين حضارة حديثة ومعاصرة تقوم على اكتفاء اليمن الذين يحاولون الأخذ بأسباب العالم الحديث لاستثمار موارد البلاد الطبيعية وهذه الحضارة اليمنية العريقة قد استأثرت باهتمام الكثيرين على المستشرقين الأوروبيين ومن الناحية الجغرافية تعتبر أرض اليمن امتداد لإقليم عسير بالمملكة العربية السعودية في بنائه الجيولوجي ومظاهر السطح.

ويتكون الأقليم الجبلي من صخور نارية قديمة بلورية ومحولة ، استمرت وقتا طويلا مغمورة ب المياه البحر ، فترسبت عليها رواسب بحرية كانت أخرها رواسب رملية يبلغ سمكها نحو ٣٠٠ متر ، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع الأرض على شكل مدرج ، وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار ساحل تهامة أحدث المدرجات ظهورا ، أما اقدمها فيتمثل أعلى الحافات . (١٠)

وقد أحدث ارتفاع ارض اليمن بين خطى الانكسار شقوقا كثيرة انبثقت خلال المصهرات البركانية بكميات كبيرة ، حتى بلغ سمكها في بعض الاحيان اكثر من ٦٠٠ متراً ، وتفصلى مساحات واسعة وقد دخلت اليمن المعاصرة المجتمع الدولى بثقل كبير فى العقود الثلاثة الاخيرة عن القرن العشرين سياسيا عن ثانيا التجربة الديمقراطية التى تمر بها واقتتصاديا من ثانيا اكتشاف البترول فيها بكميات وفيرة .

اما سلطنة عمان العربية الاسلامية فتبعد أرضها في هيئة شبه جزيرة تلاطمها مياه البحر من ثلاث جهات هي الشرق والغرب والشمال وتجاورها دولة الامارات العربية المتحدة ، والمملكة العربية السعودية وجنوب اليمن ، وتمتد وتبلغ مساحتها الاجمالية ٢٧٢ ألف كيلو متر مربع .

وقد عرفت باسم عمان من قديم الزمن ، لكن الاسم كان يطلق على مساحات أوسع تمتد من شبه جزيرة قطر حتى سواحل المحيط الهندي وبحر العرب ثم اقتصرت التسمية في القرن الثامن عشر على القسم الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة العرب، الذي يشمل حاليا أرضي سلطنة عمان ودولة الامارات العربية المتحدة .

ويختلف اقليم عمان في تركيبه الجيولوجي عن باقى أقاليم شبه الجزيرة، كما انه منعزل تفصلا عن الداخل صحراء شاسعة تسمى بالربع الخالي ،

ولهذا فان اتصال باقطار العرب في الغرب والشمال كان محدودا حتى عهد قریب .

ويترکب أقليم عمان من التواه عظيم حدث لجموعة كبيرة من الصخور المختلفة الاعمار وتكون نواه الالتواه من صخور اركية قديمة اصابها الانضطراب والتحول ، تغطتها طبقات رسوبية احدث يتركب معظمها من صخور جيرية ، وقد تأثرت الاقاليم بالعديد من الانكسارات وعمليات الزحف والانتقال خاصة في الشمال وتطل ارض السلطنة على خليج عمان وبحر العرب ، وتتصف السواحل المطلة على بحر العرب بتعرجات منخفضة وكثرة مستنقعاتها .

اما دولة الامارات العربية المتحدة :

فتقع دولة الامارات العربية المتحدة بين دائرتين عرض ٢٦°٥-٢٢ درجة وبين خطى طول ٥١-٥٦ درجة شرقا وهي بذلك تمتد على دائرة العرض مسافة تبلغ نحو ٤٠٠ كم ، وبين خطوط الطول حوالي ٥٠٠ كم وتطل على الساحل الجنوبي للخليج العربي بجهة عريضة طولها ٦٥٠ كم تبدأ من جنوب خور العديد ، وتنتهي عند رأس الموساند على مضيق هرمز كما يطل جزء من الدولة وهو امارة الفجيرة على خليج عمان وقد عرف ساحل الامارات باسم ساحل الهدنة ، او السال المهادن ، او الساحل المتصالح نسبة إلى معاهدة السلام البحرى الدائم بين شيوخ الامارات وبريطانيا ، والتى تم توقيعها عام ١٨٥٣ ، وتجاوز دولة الامارات كل من دولة قطر ، وسلطنة عمان والمملكة السعودية وتشرف على مدخل الخليج العربي ، مما يمنحها موقعا هاما من الوجهة الاستراتيجية والاقتصادية ، فهى قد استفادت من البحر كسبيل للمواصلات ، وكمصدر للثورة (١١) .

وتتألف الدولة من سبع امارات هي : أبو ظبى ، دبى ، الشارقة ، رأس الخيمة ، عجمان ، أم القيوين ، الفجيرة ، وكل امارة منها استقلالها الذاتي، وحكومتها المحلية الخاصة بها ضمن اطار الاتحاد العامل للدولة وعاصمة الدولة هي مدينة أبو ظبى ، وهى مقر الحكومة المركزية وبها مقر المجلس العام للاتحاد ويتبع الدولة أكثر من مائتى جزيرة أهمها جزيرتان هما : أبو ظبى وداس وبالأولى عاصمة الدولة .

وبالثانية أكثر حقل للبترول بدولة الامارات ، وبها صناعة لغاز الطبيعي .
وتبلغ مساحة الدولة بدون الجزر ٧٧٧٠٠ كم٢ ، ومساحتها مع الجزر ٨٤ ألف كيلو متر مربعا .

وتشمل تجارة اعادة التصدير كل انواع السلع التي تضمنها القائمة الموحدة للتجارة الدولية وهي : السلع الغذائية ، والمشروبات والتبغ ، والمواد الخام والوقود المعدنى ، والزيوت النباتية والحيوانية والكيماويات والسلع المصنعة والألات ووسائل النقل ، ومعدات حقول النفط .

أما إمارة قطر فهى شبـه جزيرة تبرـز في مياه الخليج العربي من منتصف ساحلة الغربى وتجاورها من الجنوب المملكة العربية السعودية ، وأمارة أبو ظبى من امارات دولة الامارات العربية المتحدة ويبـلغ مساحتها الكلية نحو ١١٤٠٠ كيلو مترا مربعا .

وأرض قطر فى معظمها سهل صخري رملى وقد تعرضت أرض قطر لحركات أرضية ضاغطة لكنها كانت ضعيفة أدت إلى تقوس أرضها فى هيئة ثنية محدبة فسيحة هيئة الانحدار ، يمتد محورها بين الشمال والجنوب بطول شبـه الجزيرة .

ويعتبر البترول المصدر الرئيسي للدخل القومي في قطر ، وتشكل عائداته ٩٥٪ من جملة الدخل القومي وتعمل في ثلاثة شركات تبحث عن البترول وتنتجه وهي : شركة نفط قطر المحدودة وشركة شل قطر المحدودة ، وشركة البندق المحدودة ، وقد أوضحت أحداث التاريخ المعاصر أن شركه نفط قطر المحدودة للتنقيب عن البترول بدأت عام ١٩٣٧م ، ونجحت في امتشافه ، سنة ١٩٣٩ ، وتوقفت الشركة عن العمل بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية ، واستأنفته عام ١٩٤٧ ، حيث نجحت في حفر تسعة آبار منتجة في أرض منطقة دخان ، واختيرت بلدة أم سعيد ميناً لتصدير البترول ، وتم تصدير أول شحنة في أواخر عام ١٩٤٩ .

ويبلغ طول حقل دخان ما يقرب من ٥٥ كم ، وعرضه حوالي ٥٧ كيلومتراً وينقسم الحقل إلى ٢ مناطق رئيسية للإنتاج بكل منها وحدة لفصل الغاز عن البترول .

ويتجمع الغاز في الحقل في ٢ طبقات هي : طبقة العرب الجيرية رقم ٣ وطبقة الهرب الجيرية رقم ٤ وهي أغنى الطبقات الثلاثة وأخيراً طبقة العوينات الجيرية ويبلغ عدد الآبار بحقل دخان ٩٤ بئر ، منها ٦٠ منتجة للبترول وأربعة آبار منتجة للغاز حيث توسيع قطر في تصديرها إلى الأسواق الخارجية .

أما شركة شل قطر المحدودة فقد حصلت على امتيازها عام ١٩٥٢ وهي تنتج البترول من مساحة تبلغ ٥٠٠٠ كيلومتراً مربعاً من مياه الخليج الاقليمية التابعة لقطر ويستخرج البترول من ثلاثة حقول من هذه المساحة هي :

هي حقل العد الشرقي ، وحقل ميدان محزم ، وحقل أبو الحنين.

ويتم تصدير بترول شركة شل عن طريق جزيرة حائل .

ويقع ميدان نشاط شركة البندق المحدود على الحدود البحرية بين قطر وأبو ظبى وقد دخلت قطر عام انتاج البترول سنة ١٩٤٩ بانتاج قدره ٨٠ ألف طن ، وأخذ الانتاج يزداد عاما بعد عام وتتدخل الدول للحد من زيادة الانتاج كى تحافظ على الثروة البترولية، وتمد فى بقائها إلى أبعد حد ممكн وتحافظ شركة نفط قطر على معدل انتاجى يبلغ حوالى ثمانية ونصف مليون طن وذلك منذ عام ١٩٦٠ ، أما شركة شل قطر فقد بدأت انتاجها سنة ١٩٦٤ بمقدار ٢ مليون طن تقريبا وزاد انتاجها بسرعة فى الوقت الحاضر .

ويتم تصدير بترول دولة قطر عن طريق ميناءين أحدهما وهو امساعد يقوم بتصدير حقل دخان وبأطيه البترول عن طريق أنابيب عبر شبه الجزيرة طولها ٧٩ كم والمينا، الثاني هو مينا، حالول الذى يصدر بترول الحقول البحرية لشركة شل هذا ويقوم ميناء داس فى أبو ظبى بتصدير انتاج حقل البندق.

اما دولة البحرين :

فتتألف من ثلاث عشر جزيرة تقع فى مجال ذراع بحرى يمتد من الخليج العربى فى باريس شبه الجزيرة العربية فيما بين شبه جزيرة قطر وساحل السعودية ، ويعرف هذا الذراع البحري باسم خليج سلوى أو دوحة سلوى وتبلغ مساحة الجزر حوالى ٦٦٣ كيلو مترا مربعا ، وتتكون من مجموعتين غير متكافئتين فى المساحة : المجموعة الكبرى ، وتقع فى وسط خليج سلوى وتضم جزيرة البحرين ، والمحترق وسترة وجدة وأم نفسان أما المجموعة الصغرى فتقع قريبة من ساحل دولة قطر وتمتد من الشمال إلى الجنوب فى هيئة سلسلة متتالية من الجزر ، وتعرف باسم أرخبيل جزر حوار وسواه.

والموقع الجغرافي لجزر البحرين هام وحيوي ، وهو الذى أعطى ومازال يعطى البحرين أهمية خاصة ذلك أن الجزر صالحة للسكنى ، فهى مأهولة بالسكان منذ القدم ، وتقع فى حوالى منتصف المسافة بين مضيق هورمز ، ومصب شط العرب، كما أنها قريبة كما رأينا من ساحل شبه جزيرة العرب ، وقد عاونها هذا الموقع أن تكون أرض عبور للتجارة والمواصلات البحرية فى المنطقة ، وقد استمرت أهمية هذا الموقع عبر عصور التاريخ ، وهى الان محطة هامة على طريق معظم السفن العابرة للخليج ، وعلى خطوط الطيران العالمى فى منطقة الشرق الاوسط .

وتعتمد البحرين فى اقتصادها على عائدات البترول ، ودخل الجمارك ، المطار والموانى ، ومن نصيبها فى أرباح معمل صهر الالومينيوم وشركة البحرين لصيد الاسماك ومصنع الالبان الدنمرکي البحرينى (١٢).

اما دولة الكويت :

فتقع على شاطئ الركن الشمالى الغربى للخليج العربى ، محطة جزء من رأسه وتجاوزها العراق فى الشمال، والمملكة العربية السعودية من الجنوب ونظراً لوقعها على رأس الخليج العربى ، فقد اكتسبت أهمية تجارية منذ عهد بعيد ، لأنها كانت وما زالت منفذًا طبيعياً لشمال شرقى شبه جزيرة العرب واقليم نجد وقد تمنت الكويت بمميزات موقع الخليج العربى ، فلقد صار الخليج بموقعه الفريد همسة الوصل بين بيئات العالم الموسى فى جنوبه وبينات البحر المتوسط وأوروبا فى شماله وكانت السفن قبل شق قناة السويس وتدور إليه حامله سبع الشرق الاقصى وجنوب آسيا وعن طريق الكويت وال العراق وعبر بلاد الشام إلى عالم البحر المتوسط وأوروبا وكانت سلع أوروبا تأخذ نفس الطريق مارة بالكويت ومع نمو التجارة العالمية زادت أهمية الكويت

كمحطة تجأ إليها السفن وخاصة أن مياها صالحة للملاحة ، وكانت سفن الأسطول البريطاني في المنطقة ، منذ النصف الأول من القرن التاسع وترسو فيه طلبا للراحة والزاد ومن الأرجح أن الكويت تأسست سنة ١٧١٢ (١٢).

ويقال أن لفظة «الكويت» تصغير كلمة «كوت» التي تطلق على عدد من المباني المجاورة التي تستعمل مخازن للسلاح والمؤن ، وتقع مشرفة على مياه البحر ، وهذا ما انطبق عليها بداية نشأتها (١٤).

وتبلغ مساحة الكويت الإجمالية نحو ١٩٦٥٢ كيلومترا مربعا منها نحو ١٠٠٠ كم٢ تمثل مساحة الجزر التابعة لها ، و٣٦٥٢ كم٢ تمثل مساحة الجزء الذي حصلت عليه بعد تقسيم المنطقة المحايدة بينها وال سعودية تقسيماً إدارياً ، تمارس كل دولة في قسمها حقوق السيادة ، مع استمرار المشاركة بينهما في دخل البترول المستخرج من المنطقة .

فقد اعتمدت اقتصاديات الكويت قبيل اكتشاف البترول على الفووص بحثاً عن اللؤلؤ وفيما بعد تمكنت اليابان من اغراق الأسواق بانتاجها من اللؤلؤ الاصطناعي ، بالإضافة إلى أن البداية لم تعدد قادرة على تلبية الاحتياجات المتزايدة لسكانها وبعد اكتشاف البترول اعتمدت على الهجرة الوافدة من الخارج للعمل في ميادين التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، والتي أخذت تتواضع حتى أصبحت نسبة السكان الوافدين أكبر من نسبة السكان الكويتيين .

ولقد سار التحضر في اتجاه سريع نحو تحديث الكويت بمعدلات عالية فاقت كافة توقعات النمو السكاني ، كما ازداد نمو العمال الأجانب باضطراد مع النمو السكاني والاقتصادي للبلاد ، بدلاً من الاستغناء عنهم كما كان يظن.

ومن الناحية الجيولوجيكية:

تقع مدينة الكويت عند الزاوية الشمالية الغربية من رأس الخليج العربي، على مقرابة من مينائي البصرة بالعراق ، وبشهر في ايران وهي مدينة حديثة النشأة ، وترجع نشأتها إلى أواسط القرن السابع عشر حينما اتخذها بعض الصيادين مقر لهم ، ثم وفدت إليها جماعات العتوب ، وهذا أسر عربية مختلفة النسب ، من شبه الجزيرة العربية التي حل بها الجذب حينذاك .. ثم قدم آل الصباح لنفس السبب واستقروا بها ، واستمر نزوح القبائل العربية إليها، حتى غدت في أواخر القرن السابع عشر عامرة بالسكان ، الذين قدر عددهم أحد الرحالة في عام ١٧٦٥ بنحو ١٠٠٠٠ نسمة ، كما قدر ممتلكاتهم من قوارب صيد السمك واللؤلؤ بحوالي ٨٠٠ قارب .

وقد شيد الاهالى سورا للدفاع عنها من الطين وأبراجه من الطين والطوب اللبن ، وكانت له أربعة أبواب ، أما المدينة فكانت تنقسم إلى أربعة أحياء، هي الان الاحياء القديمة التي تحمل أسماء القبلة ، الشرق ، المرقاب ، الوسط .

وكانت المدينة ذات بيوت صغيرة ، مقامة على امتداد طرقات ضيقة ومبنية بالطين والحجارة وتتميز بbahات واسعة من الداخل تحيط بها الغرف ، وبنوافذ عالية وضيقة وبدأ انتاج البترول في سنة ١٩٤٦ ، ودخلت الكويت في تحديث اقتصادي واجتماعي بايقاع سريع . وشرع المسؤولون في إعادة تخطيط المدينة على أساس حديثة لتناسب العصر ، والثروة المتداقة الجديدة والعمالة الوافدة المتزايدة ، فأنزلت معظم الدول القديمة وأنشئت الطرق المرصوفة الواسعة ، لتوكب حركة النقل المتزايدة ، وشيدت المباني الحديثة ، والحدائق والملاعب .

وكانت رقعة السكن في المدينة لا تتجاوز ٨كم في حدود سور المدينة، ثم امتدت خارج السور ، وضمت إليها العديد من شمال الكويت ومناقيش ، وأم قدير في غربى حقل البرقان .

وقد أنشئ ميناء الاحمدى سنة ١٩٤٩ ، تجاه مياه هادئة وعمق مناسب ، ومدت إليها أنابيب البترول من حقل البرقان ، وهو يعد أكبر ميناء لتصدير البترول في العالم .

ويأتى أكثر من ٨٠٪ من مجموع إنتاج شركة نفط الكويت من حقل البرقان الكبير في جنوب شرقى الكويت ، ويأتى باقى الإنتاج من حقول شمال الكويت إضافة لكميات قليلة من حقل أم القدير والمناقيش في الغرب .

وينتقل النفط والغاز المنتج عبر الأنابيب إلى مراكز التجمع حيث يفرز الغاز البترولي على ثلاثة مراحل ثم يضخ البترول الخام من الفازات من صهاريج التخزين إلى حظيرتى الصهاريج في الاحمدى ولدى شركة نفط الكويت ٢٥ مركزاً لتجميع البترول ، ١٤ منها في حقل البرقان ، وأربعة مراكز في حقل المقع والأحمدى ، ويوجد في شمال الكويت أربعة مراكز ، تخدم حقول الروضتين والصابرين كما يقع مركز في حقل المناقيش ، ومركزان أحدهما في شرقى أم القدير والأخر في غربها .

ومنذ أن بدأ إنتاج البترول في عام ١٩٤٦ وهو في زيادة مستمرة تدل عليها أرقام شركة بترول الكويت ، كبرى الشركات العاملة في الكويت ، ومن الثابت أن احتياجات العراق للكويت عام ١٩٩٠ قد ترك بصمات تؤثر على الفائض الجيويوليسيكي وخاصة من جانب المواطنين الكويتيين وأيضاً على الصعيد الاقتصادي في تحديث وعلاج مشكلات الهيكل الاقتصادي على وجه الخصوص من ثنايا دور المواطنين الكويتيين في الأخذ بالثورة التكنولوجية المعاهدة .

الهوامش :

- ١- راجع في تفصيل ذلك ، جودة حسين جوده شبه الجزيرة العربية - دار المعارف الجامعية ١٩٨٤ ص ٦٩ وما بعدها .
- ٢- نفس المرجع السابق ص ٧٢ وما بعدها
- ٣- محمد المانع - المراجع نفسه ترجمه الدكتور عبدالله صالح العيتيني - توحيد المملكة العربية السعودية - الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ بدون مكان اصدار ص ١٩٧ - ٢١١ .
- ٤- المراجع نفسه .
- ٥- محمد المانع م.س.ذ - من ٢٠٦ - ٢٠٧ .
- ٦- المراجع السابق .
- ٧- المراجع نفسه وراجع أيضاً دكتور عبدالله صالح العيتيني ، تاريخ المملكة العربية السعودية الجزء الأول ، الرياض ١٤٠٤ م ، ١٩٨٤ م
- ٨- محمد المانع ، مرجع سابق صص ٢٠٦ - ٢٠٧ .
- ٩- المراجع نفسه .
- ١٠- جودة حسين جوده ، م.س.ذ .
- ١١- المراجع نفسه
- ١٢- المراجع نفسه وراجع : دكتور محمد نصر مهنا ، الخليج العربي ، منشأ المعارف ، الاسكندرية .
- ١٣- راجع في تفصيل تأسيس دولة الكويت ، دكتور محمد نصر مهنا ، الخليج العربي ، م.س.ذ ص ص ٢٢٩ - ٢٣٦ .
- ١٤- جودة حسين جوده ، م.س.ذ . ودكتور محمد نصر مهنا م.س.ذ .
- ١٥- دكتور / محمد نصر مهنا ، م.س.ذ . وجوده حسين جودة ، م.س.ذ . ص ص ٤٠٨ - ٤١٠ .

الباب الأول

الساحل الشرقي: إعادة صياغة حركة تاريخه

الفصل الأول : بريطانيا والقبائل حتى عام ١٨٥٣ م

الفصل الثاني : الاحساء

الفصل الثالث : الساحل العماني ١٨٣٩ - ١٨٩١ م

الفصل الرابع : مسألة البورص

الفصل الخامس : اليمن منذ عام ١٩٠٦ م

الفصل السادس : دور الشيخ زايد بن سلطان حتى عام ١٩٠٩ م

• 1980 • 1981 • 1982 • 1983 • 1984

• 1985

الفصل الأول الساحل الشرقي

ببريطانيا والقبائل حتى ١٨٥٣ م

سبقت الاشارة إلى ما يمثله الخليج العربي وأمتداداً للمحيط الهندي من أهمية استراتيجية وجيو لو لوليتكيه وفي هذا السياق سبقت شواطئه إلى ثلاثة أقسام: السواحل العربية تضم عدة إمارات كالكويت وقطر والبحرين ومشيخات الساحل العماني (الساحل المهادن) وسلطنة مسقط وإماماة عمان، والسوابح الشمالية حيث تضم سواحل عربستان والعراق والسوابح الفارسية التي تمتد من الجنوب الشرقي قرب مضيق هرمز إلى الشمال الغربي من المحمرة والاهواز (١) .

وقد قامت دول عربية كبيرة تملك أسطولين ضخمة على الساحل العربي في القرنين السابع عشر والثامن عشر كسلطنة مسقط وإماماة عمان واستطاع الكثير من العرب العبور إلى السواحل الفارسية .

للخليج العربي مميزات هامة ، جعلت منه قبلة الانتظار في التجارة والسياسة وتتبع أهميته قبل اكتشاف النفط من موقعه الاستراتيجي إذ أنه يمثل أحد الطرق الرئيسية للهند إلى أوروبا وفارس والعراق.

وقد شهد الخليج العربي غزوات استعمارية أوروبية منذ القرن السادس عشر ، حيث كان البرتغاليون قد احتلوا منذ عام ١٥١٥ مسقط وهرمز والبحرين ذات الأهمية التجارية الاستراتيجية ، وذلك من أجل تحقيق سياستهم الراهنة إلى انتزاع التجارة الشرقية من أيدي العرب.

على أن مكانة البرتغاليين في البحر الشرقي أخذت تتدهور منذ خضعت بلادهم للتاج الإسباني عام ١٥٨٠ ، فتراحت سيطرتهم على تلك الانحاء

وانتهت القوى المحلية في الخليج العربي فرصة ضعف البرتغاليين ، فقاموا باسترداد المواقع التي كان البرتغاليون قد احتلوها .

وفي أثناء ذلك كان أنه لиндيون قد وصلوا خلال السنوات الأخيرة من القرن السادس عشر إلى الهند وجزر الهند الشرقية وفي الوقت نفسه تقريراً أخذ الانجليز في الظهور كقوه بحرية ، وتطلعوا بدورهم إلى الشرق .

ويذكر العابد (٢) أن الهولنديين قد تحالفوا أولاً مع الفرس والإنجليز ضد البرتغاليين ، وكان الآخرون منذ أن طردوا من هرمز قد حطوا في مسقط والشحر واتخذوا من أوكرار ساحل عمان قواعد لاغاراتهم البحرية ، ولكنهم لم يلبثوا أن أضطروا إلى مغادرة تلك القواعد ، وذلك بسبب الثورات العربية ضد حكمهم .

وبتصفيه النفوذ البرتغالي من الخليج ، بدأ الصراع بين الإنجلiz والهولنديين على السيطرة على تجارة المنطقة ، غير أن أسمهم الإنجليز أخذت ترتفع تدريجياً في القرن الثامن عشر على حين زادات ظروف الهولنديين سوءاً ، ومع ذلك فإن ممثلي الشركه الهولندية في منطقة الخليج أصروا على التشبيث بالنفوذ المتداعى ومن بين هؤلاء كان البارون نبهاوزن Nibhouzen الذي تولى وكالة البصرة (٣) ما بين عامي ١٧٣٠ ، ١٧٥٣ وتقرر نقل الوكالة الهولندية من الموانئ الخاضعة لفارس أو الدولة العثمانية والانتقال إلى جزيرة خرج ، التي تنازل عنها حاكمها العربي الشيخ مهنا بن نصر للهولنديين مقابل إتاوة سنوية .

وتجرد الاشارة أن فرنسا (٤) وإنجلترا لم تكونا بمعزل عن هذا الصراع ، إذ ان حرب السنوات السبع التي اندلعت بينهما منذ عام ١٧٥٦ لم تقتصر على الديار الأوروبيه ، بل امتدت لتشمل أملاك الدولتين فيما وراء البحار .

وبانتهاء حرب السنوات السبع لصالح انجلترا اضطرت فرنسا إلى التنازل لها - بموجب صلح باريس في ۱۰ فبراير عام ۱۷۶۳ - عن معظم ممتلكاتها في الهند ، ولم يتبق في حوزتها سوى بعض المراكز التجارية ، غير أن الفرنسيين ما لبثوا أن جددوا نشاطهم الاستعماري والتجاري في الشرق ، وتعلموا للانتفاع بثغر مسقط الذي يتمتع بأهمية استراتيجية فائقة في الخليج العربي والبحر الأحمر والذي تجد السفن فيه مكاناً للاحتماء والتزوّد بالمياه ونحو الغربيون في عقد اتفاقية تجارية مع سلطان عمان واقامة وكالة لهم في مسقط عام ۱۷۸۵ (۵) .

اما السياسة الانجليزية فكانت تتمحورَ منذ القرن الثاني عشر حول تأمين الطرق إلى الهند والانتفاع بموانئ جزيرة العرب كموانئ صالحة ضدَّية قوة كبرى من التسلط على هذا الطريق ولعل التقرير الذي رفعه الماريشال دي كاستري وزير البحريـة الفرنسـية إلى الملك لويس السادس عشر قد زاد من خوف بـريطانيا وجعلـها تحرص على المحافظة على طريقـي الـبحر الأـحـمـر والـخـلـيـجـ العـرـبـيـ بكلـ ماـ أوـتـيتـ منـ قـوـةـ وـذـكـاءـ فقدـ قالـ كـاستـريـ فيـ تـقـرـيرـهـ «ـ أـنـ الـبـحـرـ الـأـحـمـرـ وـالـخـلـيـجـ العـرـبـيـ يـشـبـهـانـ ذـرـاعـيـنـ مـدـتـهـماـ الطـبـيـعـةـ لـكـىـ تـصـلـاـ الـهـنـدـ باـلـوـرـوـيـاـ (ـ۶ـ)ـ وـعـمـومـاـ فـعـنـدـ نـشـوبـ الـحـرـوبـ النـابـلـيـونـيـةـ ،ـ أـتـضـحـتـ لـسـاسـةـ فـرـنـسـاـ الـحـاجـةـ إـلـىـ إـنـشـاءـ مـرـاكـزـ اـتـصـالـ بـالـشـرـقـ ،ـ فـبـادـرـتـ الـحـكـوـمـةـ فـرـنـسـيـةـ إـلـىـ اـتـخـازـ خـطـوـتـيـنـ بـخـصـوصـ مـنـطـقـةـ الـخـلـيـجـ العـرـبـيـ .ـ

وقد راقت بـريطانيا نشاط هذه البعثـاتـ الفـرـنـسـيـةـ بـحـذرـ شـدـيدـ ،ـ فـقدـ تـبـينـ لهاـ بـعـدـ الغـزوـ الـفـرـنـسـيـ لـمـصـرـ ،ـ أـنـ فـرـنـسـاـ تـعدـ العـدـةـ لـلـهـجـوـمـ عـلـىـ مـسـتـعـمـرـاتـهاـ فـيـ الشـرـقـ ،ـ وـمـنـ ثـمـ رـاحـتـ السـلـطـاتـ الـبـرـيـطـانـيـةـ فـيـ الـهـنـدـ تـتـخـذـ الـاجـرـاءـاتـ الـلـازـمـةـ لـجـابـهـةـ الـمـوقـفـ .ـ

كذلك اتخذت ادارة شركة الهند الشرقية في لندن منذ شهر يوليو عام ١٧٩٠ إجراءات معينة لتأمين المنافذ البحرية المؤدية إلى الهند ومنها إرسال حملة بحرية إلى البحر الأحمر عن طريق رأس الرجاء الصالح بقيادة الاميرال جون لانكتيت J. Blankett ، وتعيين ممثل سياسي في بغداد.

وأخيراً عقد اتفاق مع سلطان مسقط لمنع الفرنسيين من التسلب للخليج وقبيل خروج الحملة الفرنسية من طولون كان مانيستي Manisty ممثل شركة الهند الشرقية الانجليزية في البصرة ، قد اقترح الدخول مع مسقط في اتفاق عسكري للتعاون ضد قراصنة العرب في الخليج ، وكانت السياسة السائدة في الهند حتى ذلك الوقت ترمي إلى عدم التوسيع أو التدخل ما أمكن حتى لا تتلف الشركة نفقات لا تعود عليها بربع مؤكداً . ولكن هذه السياسة تغيرت في ابريل ١٧٩٨ م عندما وصل إلى كلكتا حاكم عام جديد وهو اللورد ولزلى Wolsely ، وكان من دعوة سياسة التوسيع وتقوية النفوذ البريطاني في منطقة الخليج العربي (٧) .

وما كاد عام ١٧٩٨ يقترب من نهاية حتى كانت الصدمة التي أحدثتها الحملة الفرنسية في الهند قد أخذت تزول ، ولكن حملة بونابرت على بلاد الشام لم تثبت أن آثارت مخاوف السلطات البريطانية في الهند من جديد كما ان اتصالات بونابرت بشريف مكه وإمام مسقط (٨) جاءت لتجعل من تلك المخاوف حقيقة واقعة ، اذ خشيت بريطانيا من أن يكون بونابرت بحملته على بلاد الشام إنما يمهد الطريق لغزو الهند عن طريق الخليج أو البحر الأحمر وعموماً فقد ظلت بريطانيا منذ مطلع القرن التاسع عشر تنتظر بحظر وحيطة لمشروعات بونابرت في الشرق ، ولعل ذلك يرجع لأن بونابرت أرسل عام ١٨٠٢ لكولونيل سباستيانى Sebastiani إلى سوريا «لتقييم قوة القوات الانجليزية والعثمانية هناك» كما أرسل عام ١٨٠٣ الجنرال ديكان Decaen إلى الهند

«المحاولة التوصل إلى تفاهم مع ابن تبو صاحب وامراء البلاد» واقتصر عام ١٨٠٧ على القيصر اسكندر بأنه يجب على فرنسا وروسيا أن تجبر تركيا على فتح بوابات الشرق » .

المحاولات البريطانية لفرض السيطرة البحرية على الساحل المهادن،

لم يكن انسحاب الحامية البريطانية من قسم في أوائل عام ١٨٢٣ م نهاية للمحاولة البريطانية لفرض السيطرة البحرية على الساحل المهادن ، بل كان يمثل انتهاج أسلوب جديد في هذه المحاولات ، إذ اتجهت السلطات البريطانية إلى أسلوب تخصيص أسطول متوجل في الخليج لتأمين خطوط الملاحة التجارية الهندية البريطانية .

ويذكر العابد أنه لا يخفى أن سلطان بومباي البريطاني قد تكب الخسائر المادية والبشرية من جراء استعمال بريطانيا للقوة مع القبائل العربية الشيء الكثير ، مما جعلها تلجأ إلى أسلوب مهادنه هذه القبائل ، في محاولة التوصل إلى ماربها في فرض سيطرتها بأقل خسائر ممكنة من ثنايا ضرورة العمل على تشجيع القبائل العربية على التحول إلى التجارة وتعويدهم على المسالمة بمنحهم كل حماية ممكنة ، وعدم التدخل في شفونهم بشكل سافر والابتعاد عن أخذهم بالحزم والقوة . غير أنه في مطلع عام ١٨٢٤ م صدرت ثلاثة دوريات قواسمية لإحدى سفن الساحل الجنوبي للجزيرة العربية واستولت عليها فأثار هذا العمل المقيم البريطاني ستانوس Stannus ، مما جعله يصدر تعليمات لقيادة الاسطول البريطاني المتوجل بملحقة الدوريات القواسمية المعنية وإلقاء القبض عليها أن أمكن ، واتخاذ أقصى العقوبات ضد المراكب التي تعترض السفن البريطانية أو تلك التي تحمل العلم البريطاني ، بإرسالها إلى المقimية في بوشهر .

وأدى ذلك إلى إثارة العرب ضد السلطات البريطانية ، وبالتالي انهيار سياسة الطرق السلمية التي أخذت تتبعها بريطانيا لمعالجة الموقف وبات واضحاً أن كل المحاولات المبذولة للقضاء على القرصنة عديمة الجدوى في ظل الصراع البحري المستمر بين سكان الخليج ومع ذلك فقد استمرت السلطات البريطانية توجه جهودها لمنع هذا الصراع من التأثير على تقدم التجارة .

غير أن الصراع على طول شاطئ «القرصنة» استمر طيلة الاشهر الاخيرة من عام ١٨٣٤م ، مما حرم سكان ذلك الشاطئ من مواردهم الرئيسية التي كانت تمثل في صيد اللؤلؤ ، وحل الدمار بالمحاصيل والمزروعات وازدادت أعمال القرصنة .

وفي ظل هذه الأوضاع فقد شهدت الفترة المتقدمة بين عامي ١٨٢٩ ، ١٨٣٥ م نزاعات مستمرة بين القبائل العربية المختلفة على الساحل المهادن ، كان أهمها تلك النزاعات التي قامت بين قبائلبني ياس في أبوظبي والقواسم، وامتدت براً وبحراً وأدت إلى تعريض التجارة في الخليج إلى مخاطر جمة .

وكانت أحداث عام ١٨٣٤ - كما سبق الاشارة - على جانب كبير من الخطورة لدرجة أصبح معها الأمن البحري في الخليج في مهب الريح ، ففي نوفمبر من نفس العام استغل والي صحار حمود بن عزان فرصة غياب السيد سعيد في أملاكه الأفريقية وقام بهجوم على مدينة سوبق على ساحل الباطنة ونهبها ، مما دفع بكل من هلال بن السيد سعيد وابن عمه محمد بن سالم إلى طلب المساعدة من سلطان بن صقر وخليفة بن شخبوط شيخ أبوظبي لجابةه الموقف المتردى والتصدى لأبن عزان فاستجاباً لهذا النداء الذي وجد فيه كل منهما فرصة لتحقيق مصالحة ومطامحه ، فسلطان كان يرنو الي السيطرة

على أرض مسقطية ، وأما ابن شخبوط فقد كان يعاني شعبه من ضائقة اقتصادية ، فرأى في هذه الفرصة ما يهيء له مجالاً يحقق من خلاله ربحاً مادياً يخفف من وطأة تلك الضائقة (٩)

وتؤسساً على ذلك ، أمر سلطان بن صقر أسطوله بالابحار إلى خليج عمان وتوجه بنفسه على رأس قوته إلى خليج خورفكان ، الذي احتله ، وكذلك فعل خليفة بن شخبوط ، فأمر مراكبه بالتمركز أمام القوين وف مدل الخليج حتى تقوم بمحاجمة السفن التجارية وسلبها ، فقادت هذه المراكب بسلب العديد من السفن وإرسال غنائمها إلى أبو ظبي ، ولم تكتف مراكب أبو ظبي بهذا ، بل تحدي الأسطول البريطاني الذي تصدى بدوره لها ، دون أن يتحقق أي نجاح في بادئ الأمر ، بل كانت كفة أسطول بنى ياس راجحة ، حيث استولى على سفينة بريطانية ، غير أن ذلك لم يستمر طويلاً إذا أخذ الأسطول البريطاني ببذل جهوداً مضاعفة لمحابهة الموقف ، حتى استطاع استرداد السفينة التي وقعت في الأسر ، وإجبار بنى ياس على دفع تعويضات عن هذا العملية وازاء هذا الموقف المتفجر ، أخذت سلطات بومباي في التخطيط لوضع حداً لهذا الوضع ، بإيقاف المشاحنات البحرية في الخليج من خلال سيطرة بريطانية فاعتبرت خط سير هذا التخطيط عقبة تمثلت في مجلس مديرى الشركة الانجليزية الذي كان قد اتخذ قراراً في أغسطس ١٨٣٤ م بمنع سلطات بومباي من جعل نفسها حكماً في النزاعات البحرية .

ومن الملاحظ أن المدة الممتدة ما بين عامي ١٨٢٥ ، ١٨٤٣ م لم تشهد أيه أعمال قراصنة بين سكان الساحل الهادن ، ولم يعكر صفو الهدوء في مياه ذلك الساحل أية حوادث تستحق الذكر .

وكان عام ١٨٣٥ م قد شهد اتفاقية تقضي بوقف النزاعات البحرية

ومعاقبة من يخل بها بدفع تعويض مناسب وشجعت النتائج الايجابية لمعاهدة عام ١٨٣٥م أوائل عام ١٨٤٣م الشيوخ جميما في إبرام معاهدة لمدة عشر سنوات ، كمعاهدة بين شيوخ الساحل المهازن ، حيث وقعا في الأول من يونيو ١٨٤٢م تم بموجبها إقامة هدنة بحرية لمدة عشر سنوات وأن يتعهد كل شيخ بدفع التعويض عن أي اعتداء بحري يقوم به أحد رعاياه وتتم المطالبة بالتعويض في مثل هذه الحالات عن طريق الحكومة البريطانية بصفتها ضامنة للمعاهدة .

كانت بريطانيا تعتبر نفسها مسؤولة عن حماية الامن البحري فقط وبذلك كانت تتتجنب أي تدخل في العداوات التي تحصل حتى على الشاطئ ، إذ كانت تعتبر ذلك خارج نطاق العداوات البحرية ، وقد بينت ذلك للشيخ قبل توقيع الاتفاقية ، ومع ذلك ، فقد حقق هذا النظام نجاحاً انعكس أثارة على تخفيف عدد الدوريات البريطانية المقيمة في الخليج .

ويرى العابد (١٠) أن هناك عاملين أساسين قد ساعدوا على نجاح نظام الهدنة هما :

١- ابتعاد الوهابيين عن شمال عمان مابين عامي ١٨٣٩م ، ١٨٤٥م بعد طرد حاميتهم من واحة البريمي عام ١٨٣٩م .

٢- الاستقرار النسبي في عمان نفسها أثناء هذه الفترة ، نظر لتوجه أهلها إلى استثمار خيرات أراضيهم ، مما أبعدهم عن خضم الأحداث في الخليج .

وعموماً ، فإن هذا المعاهدة لم تضع حداً نهائياً للنزاعات البحرية ، بل وقعت بعد ذلك نزاعات عنيفة بين بنى ياس والقواسم ، بالإضافة إلى تلك التي نشبت داخل بعض المشيخات التي لم تكن مشتركة في الهدنة ، كالصراع على

السلطة البحرية أضف إلى ذلك وجود ثغرة كانت تهدد بناء الهدنة بالانهيار وهو ما يقتضي وقفه للتفصير .

فلقد كانت لمعاهدة العشر سنوات سالفه الذكر أثر كبير في توطيد نظام المهادون ، لما نتج عنها من سيادة لنظام والامن في مياه الخليج إلى حد ما وما تم خوض عن ذلك من كسب مادة جناه شيخوخ الساحل المهادون ، ومن الجانب الآخر ، أصبح لبريطانيا مركز هام في تلك المنطقة ، حيث ازداد نفوذهما لدرجة أصبحت معه في أوائل الخمسينيات من القرن التاسع عشر تمثل في نظر شيخوخ الساحل المهادون محامية لنظام المهادون وملزمة بالدفاع عنهم ضد أي خطر يتعرض له أحدهم .

ولقد عملت ببريطانيا من خلال وضعها هذا ، بكل ثقلها لمنع عودة الوهابيين إلى ساحة الأحداث ، غير أن ذلك لم يكن له نصيب من النجاح المتكامل ، إذ ما لبثت قوة الوهابيين أن عادت إلى الظهور في أواخر الأربعينيات من القرن التاسع عشر ، وذلك رغم حذر الساسة البريطانيين وعملهم الدؤوب على الوقوف في وجه هذا التيار . حيث تدخلت ببريطانيا عام ١٨٤١ للافراج عن الأمير فيصل بن تركى السعودى من معقل محمد على وكانت تأمل من ذلك استئصاله الامير والحصول على مساعدته في تهدئة الموقف في الساحل المهادون ، إلا أن الامير لم يحقق هذا الامل ، فما لبث أن وطد نفوذه بعد عودته للحكم متطلعا إلى استعادة قوة الوهابيين ونفوذهما في المنطقة .

ساعدت الظروف فيصل بن تركى ، فهيأت له أوضاع البحرين الداخلية الفرصة لتحقيق طموحاته ، حيث كانت تعانى من الاضطرابات نتيجة طرد حاكمها عبد الله بن أحمد على أيدي بعض منافسيه ، فوجد فيصل فى ذلك مجالا للعمل تحت ستار الوساطة وبالفعل استطاع بسيره في هذا الطريق أن يصل إلى إقامة علاقات مع شيخوخ الساحل المهادون .

وبعثت بريطانيا إلى الأمير بردودي بشأن اهتمام الحكومة البريطانية بأستقبال الأمن في الساحل المهادن ، وما يترتب على ذلك من حرص على أن لا يؤدي أى تدخل من قبل الأمير إلى عرقلة تنفيذ الشیوخ للاتفاقات المعقدة بينهم .

ومن هنا فقد سارت الأمور بهذه حتى عام ١٨٤٥ ، ففى مطلع ذلك العام قام القائد السعودى سعد بن مطلق على رأس قوة كبيرة بالتوجه إلى البريمى ، التى استقبله زعماؤها دون مقاومة ، مما دفع السيد توينى بن سعيد إلى استشارة المقيم бритانى فيما يمكن اتخاذه من إجراءات لمجابهة النفوذ الوهابى ، ولما كان المقيم مقيداً بتعليمات حكومته التى لم تكن آنذاك راغبة فى الاحتكاك مع الوهابيين ، فقد بعث بردود يخفف من مخاوف السيد توينى وينصحه بعدم إثارة أى إشكال مع القائد السعودى ، غير أن الأمر لم يقف عند هذا الحد بل تطور إلى أبعد من احتلال البريمى ، حيث مالت القائد السعودى أن استقر فى البريمى ، مما جعل السلطات البريطانية فى موقف حرج ولم يخرجها من تلك الورطة غير توصل السيد سعيد إلى اتفاق مع القائد السعودى لحل الإشكال القائم بشكل ودى ، وعودة البريمى إلى سلطات مسقط فى أواخر عام ١٨٤٨ .

ومن ثم ، أخذت الأمور تسير بين الهدوء تارة والاضراب تارة أخرى حتى عام ١٨٥٠ ، حين تمكن الأمير فيصل من الوصول إلى مشارف قطر وأخذ يرنو بنظره إلى الساحل المهادن لكي يضمها إلى حكومته ، الأمر الذى أثار مخاوف شيوخ الساحل وبريطانيا ، وهذا مارفع القواسم وتعابئل بنى ياس إلى تناسب خلافاتهم ومحاولة استمالة شيخ البحرين إلى جانب الوقوف أمام اطماع الأمير السعودى .

الباب الأول

غير أن هذا الوفاق بين القواسم وبين ياس لم يدم طويلاً بل زال بزوال مسبباته وعادت العداوة لتنمو مع جديد في وصولاً إلى عام ١٨٥٢ الذي شهد أثر وفاة شيخ دبي مكتوم بن بطى في أغسطس ١٨٥٢م ترتب عليه من حدوث نزاع على المشيخة بين أخيه سعيد وبين أبنائه الذين التجأوا إلى سلطان بن صقر ، طالبين منه المساعدة في تعضيد موقفهم ، على حين التجأ سعيد إلى السيد سعيد الذي لم يكن آنذاك على استعداد للتدخل في مثل هذه المشاكل، فانعكس أثر هذا الموقف على الساحل المهاidan وجعله يسير باتجاه الأضطرابات والقلق ويرى العايد أن ذلك يدل على مقام به الأمير عبد الله بن فيصل السعودي في يناير ١٨٥٣ من عودته لاحتلال البريمي .

تم التوقيع بين كل من الشيخ سلطان بن صقر شيخ عجمان ورئيس الخيمة، وعبد الله بن راشد شيخ أم القيوين ، وحميد بن راشد شيخ عجمان، وسعيد بن بطى شيخ دبي ، وسعيد بن طحنون شيخ أبوظبى - على معايدة سلام بحرى دائم مابين الرابع والتاسع من مايو ١٨٥٣م ، تعهدوا بموجبها بالاصالة عن أنفسهم وعن درتهم وحلفائهم بالمحافظة على السلام ، ومعاقبة كل منهم لأى من رعاياه أو أتباعه يرتكب عدوانا بحرى على أحد رعاياه أو ممتلكات الفريق الآخر ، وأن لا يرد أحدهم على هجوم قد يشنه آخر ، بل يقوم بالبلاغ ذلك إلى المقيم البريطاني في الخليج أو إلى قائد البحرية الانجليزى الذى يتولى تحصيل التعويضات المناسبة .

الفصل الأول

الهؤامش :

١- د. فؤاد سعيد العابد ، سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر منشورات ذات السلسل ، الكويت بدون تاريخ أصدار ص ٢١ وما بعدها .

٢- المراجع السابق ص ٢٢

٣- كانت البصره - بحكم موقعها على شط العرب الذي ينتهي إلى الخليج العربي - أكثر مدن العراق إتصالاً بالصراع الدائرى على النفوذ فى الخليج وقد شهدت البصره فنوناً من هذا الصراع .

٤- كانت فرنسا قد بدأت دورها تتطلع للحصول على نصيتها من ثروات الشرق ، وذلك بعد أن تخلصت من مشكلاتها الداخلية ممثلة في الحرب الأهلية وشرعت تبني قواها الداخلية لاستعداداً لمنازلة هولندا وإنقاذ سيطرتها البحرية راجع : العابد م . س ، ذ

٥- كان الفرنسيون قد أسسوا قبل ذلك وكالتهم في البصرة عام ١٧٥٥ ، ثم تحولت عام ١٧٦٥ إلى قنصلية ، المراجع السابق ص ٢٤ .

٦- المراجع نفسه نقل عن د. عبد الحميد البطريق - الامة العربية ، ص ٥٦ .

٧- توالى رسائل ولزلى على الحكام العرب يحذرهم من نيات بونابرت نحو الشرق العربي ، ويطلب إليهم مد كل للاسطول الانجليزي ولم ينس ولزلى أن يقول لهم أن فرنسا هي عدوة السلطان العثماني والعرب والانجليز معاً وأوفد مبعوثاً سياسياً هو «بوبيهام» لبرام معاهدة بين الحكومة والهند والحكام العرب وعلى رأسهم شريف مكه وكان ولزلى يعتمد لنجاح تنفيذ سياساته على عدة اعتبارات منها دهاء بوبيهام وسياسته ومعرفته اللغة العربية ، والهدايا التي حملها بوبيهام إلى الحكام ورؤساء القبائل ، ومنح العرب بعض الامتيازات وأغراوهم بالحديث المسؤول عن سياسة الأخاء والمساوة والمودة ، العابد م . س. ذ ، ص ٢٧ .

٨- العابد ص ٢٨ .

٩- العابد ص ١٧٥ .

١٠- المراجع نفسه ص ١٨٠ - ١٨١ .

الفصل الثاني

الاحساء

تذكر المصادر أن أول غزوة وجهها قادة الدرعية للاستيلاء على الاحساء كانت بقيادة سعود بن عبد العزيز ثم وصلت القوات السعودية إلى الاحساء في سنة ١٢٠٢هـ بقيادة سليمان بن عفیصان ، وفي السنة التالية توجه سعود بن عبد العزيز بقواته إلى الإحساء ثم عاد إلى الدرعية ، غير أنه كرر هجومه بقوات كبيرة في سنة ١٢٠٤هـ لمحاربة قبيلة بنم خالد في المنطقة الشرقية محققاً بذلك نصراً عليهم، وتلى ذلك غزوه للقطيف سنة ١٢٠٦هـ حيث أُنزل بهم خسائر فادحة وأعلن أهل الاحساء ولائهم له ، غير أنهم تمردوا عقب خروجه مما جعله يتوجه بقوات كبيرة إلى الإحساء موجهاً ضرباته الشديدة إلى مدن المنطقة الشرقية جزءاً من الدولة السعودية (١) ، ونتج عن ذلك فيما يتعلق بمجال هذه الدراسة أن الجهات الخارجية التي لها مصالح في الخليج العربي بدأت تهتم بأمر الدولة السعودية ومن هذه الجهات شركة الهند الشرقية البريطانية والدولة الفارسية ، فضلاً عن أن الدولة السعودية الفتية أصبحت ذات حدود مع بقية إمارات الخليج العربي وكانت أهم النتائج للاستيلاء آل سعود على منطقة الاحساء هو نجاح الدولة السعودية في الوصول إلى البحر وإضافة المنطقة الشرقية إلى رقعتها الزراعية مما زاد إنتاجها (٢) ومن منطقة الإحساء والمنطقة الشرقية أخذ آل سعود يتطلعون إلى جهات الخليج العربي حيث كانت غاراتهم قد بدأت على قطر سنة ١٢٠٢هـ، وتذكر بعض المصادر أن هذه الغارات قد بدأت قبل الاستيلاء على منطقة الإحساء (٣) وكانت الزيارة أهم مدن قطر باعتبارها مقرًا لآل خليفة ، وقد تمكّن آل سعود من الاستيلاء

على قطر واضطر حكامها المعارضون لغادرتها والتوجه للبحرين ، ويذكر المؤرخ الذايع الصبيت ابن بشر (٤) أن قطر أصبحت بذلك جزءاً من الدولة السعودية الأولى ، على أن آل سعود قدموا المساعدة إلى آل خليفة عندما غزا سلطنة عمان البحرينية سنة ١٢١٦هـ واستطاع الاستيلاء عليها، وكان آل خليفة يقيمون في البحرين وقد انعكست مساعدة آل سعود على ابعاد العمانيين عن البحرين وحققوا بذلك نفوذاً كبيراً وسرعان ما نشب الخلاف بين آل سعود وآل خليفة ودارت بينهما مفاوضات أدت إلى قيام آل خليفة (٥) بحكم بلادهم .

وفيما يتعلق بالكويت ، فقد غزتها القوات السعودية مرتين ، الأولى في سنة ١٢٠٨ والثانية في سنة ١٢١٢هـ بالإضافة إلى المناوشات التي حدثت بين الفريقين سنة ١٢١٨هـ ومع ذلك لم تتمكن الدولة السعودية من إدخال الكويت ضمن سيادتها .

وقد سبقت الإشارة إلى أن طلائع القوات السعودية حين وصلت إلى عمان كان حاكم مسقط سلطان بن أحمد البوسيعيدي الذي أجرى اتصالات مع كل من الدول الفارسية والدول العثمانية ، وكانت الدولتان تنتظران بحسب إلى المكاسب التي حققتها الدولة السعودية ، ويفسر ذلك تشجيعها لسلطان بن أحمد البوسيعيدي لمناولة آل سعود ووعدهما له بتأييده وتقديم المعونات له ، وأعقب ذلك ذهاب حاكم مسقط إلى مكة سنة ١٢١٧هـ ١٨٠٣م تحت ستار تأدية فريضة الحج ، وكان هدفه في الواقع التفاهم مع أمير مكة الشريف غالب بن مساعد ، والاتفاق معه على مقاومة الدعوة الاصلاحية ، غير أن آل سعود كانت سيادتهم قد انتقلت إلى مكة ، الأمر الذي جعل حاكم مسقط يرضخ في النهاية لآل سعود ويعقد اتفاقاً معهم تعهد فيه بدفع الزكاة السنوية (٦) لهم

غير أن ذلك لم يحل دون تجدد المصادمات بينه وبين السعوديين الذين زحف أميرهم سالم الحرق من البريمي إلى الباطنة وكاد يحتل البلاد لولا وفاة الإمام عبد العزيز سنة ١٢٦٨ هـ ليحل محله نجله سعود الكبير الذي كان يتسم بشجاعة ومقدرة فائقة . أما سلطان بن أحمد البورسعيدي - حاكم مسقط - فقد سقط قتيلا ثم حل محله بدر بن سيف الذي كان صديقاً لآل سعود ومتعاطفًا معهم ، وساعد ذلك علي استقرار دام لمدة ستين عندما اغتيل هو الآخر ، وتولى الحكم بعده سعيد بن سلطان فاضطراب موقف السعوديين داخل عمان وارتدت قواتهم التي كانت متمركزة في الباطنة إلى البريمي واستمرت المناوشات بين الفريقين حتى سنة ١٢٢٣ هـ حين هزم السعوديون سلطان مسقط وجيشه ، ودخلت عمان تحت مظلة الدولة السعودية في هذا العام (٧)

وسواء تعلق الأمر بالدولة الفارسية أو ببريطانيا أو الدولة العثمانية ، فقد أحدثت الانتصارات السعودية في الخليج ردود فعل متباعدة من جانب هذه القوى التي كانت لها مصالحها مع الدول السعودية الفتية فالدولة الفارسية اهتمت باستيلاء السعوديين على منطقة الإحساء ، ومن الطبيعي أن تنظر الدولة الفارسية التي تأخذ بالمذهب الشيعي - تنظر بقلق إلى ما حققهته الدولة السعودية التي تأخذ بالمذهب السنوي ، وتذكر (٨) المصادر أن اهتمام الدولة الفارسية يجد تفسيره من أنه إذا كان خلاف حاقد وجد بين انصار الدعوة الاصلاحي وبين كثير من المنتسبين إلى المذهب السنوي حينذاك فقد كان من الطبيعي أن يوجد خلاف أكثر حدة بين أولئك الانصار وبين حكومة فارس التي كانت تدين بالمذهب الشيعي ، ويدرك العثيمين (٩) أن بعض سكان المناطق الشرقية معلوم أنهم ينتمون إلى هذه المذاهب، ومع أن هؤلاء كانوا تحت حكم زعماء بنى خالد السنين قبل دخولهم المنطقة المذكورة تحت حكم آل سعود إلا

أن حكم أولئك الرسماء من بني خالد لم يكن قائماً على أساس من العقيدة مثلاً كانت عليه الحال بالنسبة للحكم السعودي ، ويفسر ذلك سبب نظرة الحكومة الفارسية بأن يتدخل شركاؤها في المذهب الشيعي تحت ظل حكومة سنية متحمسة لعقيدتها نظرة تختلف عن ذي قبل ليس هذا فحسب، بل أن الحكومة الفارسية قد تلقت صدمة نتيجة الهجوم الذي شنه السعوديون على كبراء ، البلدة المقدسة لدى الشيعة حيث تعمق الخوف لديهم من الدولة السعودية، وازداد كرهها لها ولم يكن غريباً أن تقف الحكومة الفارسية بعد تلك الحادثة بعام واحد مع سلطان مسقط في نزاعه مع آل خليفة وحلفائهم السعوديين (١٠) واستمرت الحكومة الفارسية تدعم السلطان العماني في مواجهة آل سعود ثم جاء القضاء على الدولة السعودية على يد محمد على حاكم مصر ليشكل شعوراً بالطمأنينة لدى الحكومة الفارسية إذا أنها رأت فيه أقول نجم دولة فتية كادت توحد منطقة الخليج برمتها (١١).

أما فيما يتعلق ببريطانيا ، فإن التنافس البريطاني الفرنسي على عمان في هذه الفترة رجحت كفته لصالح بريطانيا من خلال الاتفاقيتين اللتين عقدتا بين سلطان مسقط وبريطانيا في ١٢١٣هـ، غير أن هاتين الاتفاقيتين كانتا موجهتين في الواقع ضد الغزوات السعودية في تلك البلاد، وقد سبقت الاشارة إلى ازدياد نشاط القواسم بحرياً بحيث لم يقتصر على مهاجمة السفن العمانية فقط، وإنما تلك التي تتعاون أيضاً مع بريطانيا من سفن عمان، وتسبب ذلك في الهجوم البريطاني على رأس الخيمة سنة ١٢٢٠هـ ، ١٢٢٤هـ، وتشير المصادر (١٢) أن بريطانيا حاولت أن تتعامل مع القواسم وكأنهم جهة مستقلة عن آل سعود الذين لم تكن لديهم الرغبة أو الاستعداد لمواجهة بريطانيا، فضلاً عن أن حكومة الهند البريطانية قد أعربت للأمام

سعود عن رغبتها في استمرار العلاقات الطيبة بينهما ، وقد تجاوب الإمام سعود مع بريطانيا وأمر اتباعه بعدم التعرض للسفن البريطانية .

والواقع أن بريطانيا كانت مدركة لقوة آل سعود في شبه الجزيرة العربية ، وفي الوقت ذاته لم تكن راغبة في تمامي هذه القوة ويستدل على ذلك من شعور بريطانيا بالارتياح حينما انتصرت قوات محمد على على الدولة السعودية على نحو ما سينفذ الإشارة إليه ، حيث تلاشت قوة القواسم نتيجة لافول نجم الدولة السعودية الفتية ، واغتنمت بريطانيا هذه الفرصة لتفرض سيطرتها على شيوخ الخليج العربي بسلسلة من المعاهدات غير المتكافئة.

وأخيراً يأتى رد فعل الدولة العثمانية من خلال باشوية بغداد، أى العراق العثماني على نحو ما أشار إليه أبو حاكم من خلفيات تاريخية طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أما وقد وصل سعود بن عبد العزيز بقواته إلى الإحساء ، فقد كان ذلك بمثابة صدمة لحاكم بغداد العثماني ، وقد حدثت بين الطرفين العديد من المصادرات والمعارك أدت في النهاية إلى تبادل الرسائل والاتفاقات على صلح يتم بموجبه عودة الجيش العثماني إلى العراق، وقد تم ذلك بالفعل (١٢١٤هـ) غير أن العلاقات ما لبثت أن توترت بين باشوية بغداد وبين الدولة السعودية الأولى وبلغت (١٤) بهاجمة سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود منطقة الزبير والبصرة والحق هزائم متتالية بالقوات العثمانية في العراق، ولم تتوقف الهجمات السوفيتية إله حينما انشغلت الدولة السعودية الأولى بالحملة المصرية العثمانية التي انطلقت من مصر للقضاء عليها (١٥) ويلاحظ العثمانيين أن آل سعود لم ينموا أية أراضي عراقية إلى دولتهم .

الهوا منش:

١- تنتهي أسرة آل سعود إلى قبيلة عنزة طبقاً للمفهوم الشائع لدى الكثيرين في حين تذكر بعض المصادر أن السعوديين ينتمون إلى بني حنيفة، ومعرف أن عنزة وبني حنيفة من وائل وتأسисاً على ذلك يمكن القول أن آل سعود واثليون ، وكانت الأسرة السعودية قبل تسميتها بهذا الاسم تدعى آل مقرن نسبة إلى مقرن بن مرخان جد محمد بن مسعود مؤسس الدولة السعودية الأولى ، وكان أحد أجداد آل سعود ، مانع المریدی ، مقيناً في مكان يقال له الدرعية قرب بلدة القطيف في المنطقة الشرقية من جزيرة العرب، وقد تم إطلاق اسم «الدرعية» احياماً لاسم البلدة القديمة نسبة لابن درع الذي منحهم ذلك المستقر ، والباحث في تاريخ الأسر السعودية منذ استقرارها في الدرعية حتى تولي محمد بن سعود إمارة هذه البلدة - أي ما يقرب من مائتين وثمانين عاماً - يرى أنه مشابه لتاريخ كثير من القبائل التي كانت تحكم بلدان نجد في تلك الفترة ومنذ تولي محمد بن سعود زمام الأمور في الرياض سنة ١١٢٩ هـ والاستقرار الداخلي يسود هذه المنطقة ، ثم جاء الإمام محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود حيث تستمر الزعامة السياسية لآل سعود وأن تكون الشئون الدينية لمحمد عبد الوهاب ونسله ، وقد أيدت الفئات الاجتماعية المختلفة دعوى الشيخ بالإضافة إلى العلماء ورؤساء البلدان وقبائل نجد وخاصة في جهود الشيخ للانضمام للدولة الجديدة .

راجع في تفصيل ذلك المؤرخ الذايي الصبيح عثمان بن عبدالله بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد - تحقيق عبد الرحمن آل الشيخ ، إصدار وزارة المعارف السعودية ، الرياض ١٣٩١ هـ.

- حسين بن غنام روضة الأفكار والآفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذي الإسلام ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ .

- اعتمدنا في هذا الجزء من الدراسة على التحليل القيم للدكتور عبدالله صالح العثيمين ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، الجزء الأول ، الرياض ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

وتتجدر الاشارة إلى قيام تمود آخر ضد آل سعود من جانب بعض أعيون المنطقة الشرقية سنة ١٢١٥هـ غير أن سعود بن عبد العزيز تمكّن من إخضاعهم تماماً .

٢- الدكتور عبدالله صالح العثيمين ، مرجع سابق ، ص ١٢٠-١٢١ .

٣- عثمان بن عبدالله بن بشر ، مصدر سابق ، ص ١٤٤ .

٤- المصدر نفسه ، ص ١٩٥ - ١٩٧ .

٥- المصدر نفسه ص ١٩٥ - ١٩٧ .

٦- وربما يفسر ذلك إطلاق لقب الكبير عليه ليصبح اسمه سعود الكبير ولا زال حلله يحملون هذا اللقب في المملكة العربية السعودية «المباحث» .

٧- أمين سعيد ، ص ٥٠ .

٨- الدكتور عبدالله صالح العثيمين ، مرجع سابق ص ١٦٤ .

٩- المرجع نفسه ، ص ١٦٥ .

١٠- المرجع نفسه ، ص ١٦٥ نقلًا عن : دكتور عبد الرحمن عبد الرحيم ، الدولة السعودية الأولى (١٧٤٥-١٨١٨هـ) (١١٥٨-١٢٢٣هـ) الطبعة الثالثة ، معهد البحث والدراسات العربية ، القاهرة : ١٩٧٦م ، ص ٢٨٨ ، ٢٩١ .

١١- الدكتور عبدالله صالح العثيمين ، مرجع سابق ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

١٢- المرجع نفسه ، ص ١٥٨ وكان نص الرسائلتين المتبادلتين بين الطرفين بشأن شروط الصلح وهي :

أ - تخلى السعوديين عن الاحسأء

ب - دفع تكاليف الحملة .

ج - عدم تعرض السعوديين بذئ قوافل الحجاج العراقيين ، والواقع أن الدولة السعودية كانت تحرصن دائمًا على تحقيق الأمان لقوافل الحجاج .

١٣- وكان أحد العراقيين قد اغتال الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود وهو يصلى في أحد مساجد الدرعية في أحد أيام شهر رجب سنة ١٢١٨هـ وذلك بتشجيع من على باشا حاكم العراق العثماني .

١٤- الدكتور عبد الله صالح العثيمين ، مرجع سابق ، ص ١٦١ ، وراجع أيضًا :

El Batrik A. H. Turkish and Egypt Rule in Arabia (1810-1840).

ph. D. Rbesis, University of London pp. 75-84 .

الفصل الثالث

الساحل العماني ١٨٣٩ - ١٨٩١ م

لم تهتم بريطانيا بما يجري داخل الساحل العماني ولم تكن تتوى إقحام نفسها فيما لا يعود عليها بفائدة اقتصادية أو سياسية وكانت بريطانيا كما سبقت الاشاره قد اجبرت في الفترة منذ عام ١٨٢٠ حتى عام ١٨٤٠ على التدخل في شئون المنطقة الداخلية في الساحل العماني ، وغدت بعد هذه الفترة ترقب ما يجرى وتوجهه ما كان ذلك في امكانها كما سبقت الاشاره أيضا إلى أن سياسة بريطانيا منذ ١٨٣٠ إلى ١٨٤٠ في داخل المنطقة كانت تميل إلى تجميع القبائل في اتحادات بعد الحد من خلافاتهم الموروثة (١)

و عموما فقد استعاد السعوديون زمام الامور لصالحهم في أواسط الجزيرة العربية منذ عام ١٨٢٤ م ولم يأت عام ١٨٣٠ حتى امتدت سلطتهم إلى الاحساء ولكن السعوديين وقد علمتهم التجارب السابقة ابعدوا عن التدخل في شئون مشيخات الساحل العماني رغم ما لهم فيه من عقيدة وانصار ومربيدين . ولم يلب السعوديون دعوة راشد بن حمد شيخ عجمان حين دعاهم للتعامل معه ضد الشیوخ الأخرى في الساحل العماني ، وأعربوا للشيخ راشد عن اعترافهم الصريح بأن سيد مسقط وشیخ الشاقرة هما رأس القبائل العمانية ولن يقوم اتصال الا بواسطتها (٢) . وقام الامير تركى بارسال راشد بن حمد ليمد جسور الصداقة والتفاهم مع الحكومة البريطانية (٣)

اعترف السعوديون بالشيخ سلطان بن صقر الذي كان حذا ومن الناحية الظاهرية تظاهر سلطان لل سعوديين بالولد ولكن خابر ستانوس عنهم وسائله عنهم وسائله عن موقف بومبای إذا اضطره السعوديون للعمل ضد السيد سعيد ورد ستانوس بأن اتصال سلطان بال سعوديين يجب أن لا يكون ذريعة

لاحيا «القرصنة» وان أى هجوم مسلح ضد السيد سعيد، هو فى نظر الحكومة أمر غير ودى ولا يحظى بالقبول وتتأكد قول المقيم بخطاب افلاستون الذى جاء فيه بأنه لا ضير من امتداد السعوديين ماداموا قد قصرروا نشاطهم العسكري على البر، أما اذا تطلعوا إلى البحر فيجب مواجهتهم (٤) .

سبقت الاشارة إلى تطلع ابن عفیسان والى السعوديين على الاحسأء إلى عمان، وقصرت جهوده ، رغم حشوده ، دونها وذلك لخوفه من ان يهاجمه طحنون بن شبوط ويقطع عليه خط امداداته إلى الاحسأءات ابن عفیسان فرصة غزو عمان حين عممت فوضى الاضطرابات مشيخة ابو ظبى لتحتل طحنون وتنزع شيوخ أبو ظبى على السلطة فى ابريل ١٨٣٣ م / ١٢٤٨ هـ (٥) .

ويرى الدكتور عبد العزيز عبد الغنى أنه فى غمار هذه الفوضى سقطت أبو ظبى ، مؤقتا ، لل سعوديين ولحقت جيوش ابن عيisan اطراف عمان وطلبت من السيد سعيد دفع الزكاة واسرع سعيد إلى النجدة ويطلبها من المقيم бритانى الذى لم يزيد على نصحه بانتهاج سياسة سلمية تجلى السعوديين ومعالجة اموره بمقتضى الحال (٦) .

لم تقف حكومة بومبای موقف العداء الصريح للامتداد السعودى فى عمان ودائى البعض ان سقوط عمان فى ايدي السعوديين وبسط نفوذهم عليها لا تعنى بالضرورة عودة «القرصنة» بل يمكن ان يعين ذلك فى حماية تجارة بريطانيا نتيجة للتجانس الذى سيفرضه السعوديون على المنطقة ورأى حكومة الهند ان لا تتدخل ما احترم السعوديون العلم бритانى وامتنعوا عن الشغب فى البحار كما رأت ان تترك مسقط لمصيره اما اذا بدأ القرصنة فأن أمر كبحها سيكون أهون على الحكومة وأقل نفقة من ان تعين قوتهم سيد مسقط كلما هدد السعوديون سلطتهم وكثيرا ما كانوا يفعلون . كما فضلت الحكومة

التعامل مع حاكم واحد يدرك سطوة بريطانيا على التعامل مع الامام ومجموعة الشيوخ ، وقررت الحكومة اخيرا التزام الحياد ونفض يدها من التحالف الوثيق مع امام مسقط اطلق سراح خالد بن سعود الذى أخذته جيوش محمد على على معية أخيه بعد خراب الدرعية ويبدو أنه كان «مجرى النزعة والأهواء» واستطاع التغلب على فيصل بن تركى واخذ الرياض حيث تراجع فيصل إلى الاحسأء فادركه خورشد هناك واحتل الاحسأء فى ديسمبر ١٨٣٢ م / ١٢٤٨هـ وهذا تدبرت السياسة البريطانية خططها ورأى البعض ان امتداد قوة والى مصر على سوريا والعراق والخليج قد يكون مفيدة ذلك لأن القوات المصرية قد تتحدى مع القوة الفارسية ويقيمان سد يقف ضد اطماع روسيا في المنطقة ، اما الاحتمال الثانى هو أن اتحاد هاتين القوتين قد يكون مضرًا بالمصالح البريطانية إذ قد يولد هذا التزاوج قوة بحرية تربط ساحلى الخليج إلى بعضهما وتتفق ضد المصالح البريطانية «ففارس في أعمها ، مسلمة ويرغم اختلاف الشيع والاحزاب الاسلامية في المنطقتين إلا أنهما قد يتقيان عند هدف مقدس يحتم عليهما طرد المسيحيين من الهند التي بها عدد من المسلمين عظيم». كما رأى هؤلاء الساسة ان تحالف القوتين المسلمتين قد يكون ضد روسيا لتخليص مسلميها من زبقة الروس. ورأى البعض ان مصر قد تتفق وروسيا على اقتسام فارس مما يسبب لحكومة الهند مشاكل متازمة ومع ذلك فقد وصلت السياسة البريطانية إلى نتيجة فحواها انه ليس من الحكم ان تشجع محمد على باشا على التوسع .

أخذت كل من الحكومة البريطانية والهند تعاملن في تناسق تام بهدف وقف النفوذ المصري في الخليج وبعث بالرسائل إلى كامبل ممثل الحكومة البريطانية في مصر خطابا بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٨٣٨ م يطلب إليه فيها ان

يوضع لحمد على بأن الحكومة البريطانية تود جادة ان لا ترى قواته على ساحل الخليج (٧).

وقام سلطان بن شيخه بتأكيد تضامن أخيه حاكم أبوظبي مع شيخ البحرين وكانت هذه محاولة بريطانية لتوحيد المنطقة لتفادي وجه الزحف المصري.

وفي الأول من مايو ١٨٣٩م - ١٢٥٥هـ عرف أحد قادة السفن البريطانيين في الخليج بوصول جماعة مسلحة قومها ١٥٠ رجلا إلى الشارقة بقيادة سعد بن مطلق (٨).

وعرف القائد أن هذه القوة قد أتت من القطيف تحمل تقوياً من الأمير خالد باسترداد السيادة السعودية في البويريمي من النعيم. طير ذلك القائد الخبر إلى المقيم الذي تحرى فيه وعرف أن شيخ الشارقة قد أعد لسعد منزلة محصنا، وأن سعداً قد نادى على قبائل البويريمي بالتسليم وتمتنع القبائل بقيادة النعيم عليه واستعتصت وشد حمود بن عزان والى صحار من ازر رجال هذه القبيلة بارسال ٢٠٠ محاربا بقيادة أخيه، كما عضدهم خليفة بن شخبوط حاكم أبوظبي.

وقد دافع سلطان بن صقر عن نفسه حين أوى القائد السعودي بأنه يخشى اتخاذهم مع شيخ أبوظبي، أو أى آخر من شيوخ المنطقة وأن قوة أى شيخ متهد مع السعوديين يمكن أن تنال من مركزه وأرضه (٩) بموجب ما ذكره الدكتور عبد العزيز عبد الغنى نقاً عن الوثائق البريطانية.

استطاع المقيم المساعد في غضون هذه الأحداث أن يحصل على تعهد مكتوب من شيوخ أبوظبي ودبي والشارقة وام القوين جاء فيه أن هؤلاء الشيوخ يساندون السياسة البريطانية لأنها ترمي إلى الحفاظ على

(استقلالهم) ويعرضون السياسة المصرية التي تسعى (لافساد) استقلالهم (١٠) وأضاف المقيم إلى تعهد سلطان بن صقر بinda الزم فيه الشيخ نفسه بعدم الدخول في علاقات تعاون مع أي قوة أجنبية كما التزم هذا الشيخ أيضاً بأن لا يتفاوض مع أي جهة أجنبية إلا عن طريق الحكومة البريطانية وأنه يعتبر صديق بريطانيا صديقه وحليفه ومن يعاد بريطانيا عدوه (١١)

وافقت حكومة الهند على كل ما قام به مكتب المقيم من اجراءات وقائية ، وعموماً فقد زال خطر محمد على عن مشيخات الساحل في سبتمبر ١٨٤٠ م / ١٢٥٦ هـ حين تصدت له تركياً وبريطانياً والنمسا ووافقت بمقتضى ميثاق الإسكندرية على أن ينسحب من سوريا والجزيرة العربية وعدن وكريت . (١٢)

صار موقف الأمير خالد بعد هذا ضعيفاً فأخرج من الرياض في ١٨١٤ وعاد إلى الاحساء، وقام الأمير فيصل بن تركى في ١٨٤٣ م / ١٢٥٩ هـ ليحكم في منطقة الدولة السعودية وما عادت حكومة الهند بعدها تهتم بالمنطقة الداخلية من الساحل العماني اهتماماً مباشرًا ، إنما كانت تسترق السمع ثم تحاول معالجة الأمر بما يتطلبه الموقف كان هنيل يثق أن فيصل بن تركي سيعمل على صدقة البريطانيين الذين لابد وأن قد عرف عنهم وهو في منفاه ، القوة والمنعنة .

ولما جاء فيصل من مصر واستقر له الأمر كتب في يوليو عام ١٨٤٣ م / ١٢٥٩ هـ إلى شيوخ البويرمي يعلن عن عزمه على استرداد سلطة السعوديين في المنطقة واتصل هؤلاء الشيوخ بالقيم يسألون المساعدة فلم يتحمس لقضائهم ورد عليهم بأن ما يحدث في الداخل لا يعني حكومته البته لأن حكومتهم كانت تحميهم من الامتداد المصري ولكن ما يحدث حالياً يعتبر

نزاعاً بين القبائل في المنطقة وليس بينهم وبين الاتراك والمصريين هذا أمر لا يهم حكومته قام الأمير فيصل بن تركى بإيفاد سفارة في عام ١٨٤٣ يسأل تجديد علاقات الصداقة التي امتدت اواصرها منذ عهد أبيه تركى. وقد رحب المقيم بالسفارة وقال ان غاية الحكومة البريطانية من التواجد في الخليج هو العمل على كبح «القرصنة» وصيانة أمن البحر، وحفظ اموال المواطنين ، وارواحهم فوق مياه الخليج (١٣) .

ان ما سبق الاشاره اليه يعتبر تبريراً زائفاً للسياسة البريطانية للتواجد بالمنطقة وفيما يتعلق بنفوذ الدولة العثمانية فانه لم يتخذ شكلاد جدياً في المنطقة إلا منذ سنة ١٨٧٠م، وقد مهدت لهذه عوامل مختلفة تضافرت جميعها على دفع العثمانيين نحو الخليج ، منها تولى مدحت باشا حكمة بغداد (١٨٦٩/١٨٧٢م) وكان الرجل يمثل فريق المصلحين الذين يرون ضرورة تثبيت السلطة الفعلية في جميع المناطق التي تخضع للدولة اسماً وان خير وسيلة لتعويض الخسائر الاقليمية في البلقان هي تأكيد السلطة العثمانية في البلاد الاسلامية التابعة (١٤) هذا فضلاً عن أن مدحت باشا كان ينطلق من رغبة ملحة لمناؤة البريطانيين في الخليج وكان يقدر استجابة الخليجيين السنين باعتبارهم رعايا الخليفة العثماني.

أدت التنظيمات في الجيش العثماني ، بعد حرب القوم، إلى أن يصبح هذا الجيش جيشاً نظامياً مما مكن للسلطان عبد العزيز (١٨٦١/١٨٧٦م) ان يخضع بعض المقاطعات التي تزعزع ولاؤها للدولة ، وعمل السلطان عبد العزيز على مضاعفة حامية مكة والججاز وبدأ يتجه إلى نجد والخليج العربي (١٥) . وقد سبقت الاشارة ان حملة الاحساء خرجت بقيادة نافذ باشا في ابريل سنة ١٨٧٠م/١٢٨٧هـ وجرت ورعاها عديداً من القبائل العربية التي

تنزل جنوب العراق، كما ساعدها عبد الله الصباح حاكم الكويت بوضع عدد كبير من سفنه تحت تصرفها وانتهز الشيخ قاسم آل ثاني فرصة وصول العثمانيين إلى أطراف بلاده وطلب منهم اقامة حامية عثمانية ببلاده وكان دافع قاسم إلى ذلك مقاومة ادعاءات حاكم البحرين على شبه جزيرة قطر . وقد أثار وجود العثمانيين في قطر مشكلة الحدود بين قطر وبين أبو ظبي ، ولم تعترض حكومة الهند على تحركات مدحت باشا في حدود المناطق المعترف بها للعثمانيين في شمال قطر ، ولكنهم ما ان بلغوا قطر حتى استمات البريطانيون في وضع حد لزحفهم عند العديد ، كما قامت بريطانيا بتأكيد اتفاقاتهما مع شيوخ البحرين حتى لا يصل إليهم العثمانيون (١٦) .

ولما كانت الحكومة العثمانية تتطلع إلى ضم البواديقى التي تعتبرها جزءاً من نجد فإن ذلك الشيخ سيجد فيها حليفاً طبيعياً مما جعلشيخ أبو ظبي يستجيب لنداء العثمانيين وهو أن القبيسات وهم فرع من بنى ياس قد هجرموا أبو ظبي ونزلوا عند خور العديد في ١٨٦٩ ، وكان هذا دأبهم كلما اختلفوا مع أحد شيوخ أبو ظبي ، وزحل هؤلاء القوم مرتين قبل هذه الفترة إلى هذه المنطقة ، مرة في ١٨٣٥ م (١٧) أخرى في عام ١٨٤٩ م وكان الرأي البريطاني الغالب أن هذا قد يجعلشيخ أبو ظبي يرکن للأتراك لمساعدته ضد القبيسات ، كما ان قبولشيخ أبو ظبي لدعوة الاتراك سيؤكد تبعية القبيسات له إذ رفض العثمانيون اعتبارشيخ أبو ظبي تحت الحماية التركية (١٨) .

غير أن الوضع ظل على حاله حتى عام ١٨٧٦ م ولم تهتم الحكومة البريطانية بأمر القبيسات ونزاعهم معشيخ أبو ظبي ، وانقلب الوضع في تلك السنة اذ قام بعض بنى هاجروبى مررة Murrah بتعكير صفو الأمن البريطاني على الخليج اذ حدث ان قتل بعض بنى هاجر في يوليو ١٨٧٦ م (ناخودة)

لمركب تابع لأبو ظبى عند خور العديد (١٩) ، واستولوا على المركب وما عليها من لألىء . وما ان حل العثمانيون بالمنطقة حتى تعقد الأمر وقد «سبب هذا طعنـة نجلاء لصالحتـنا في الخليج وهـيـبتـنا فوق مـياـهـهـ فـنـحنـ ما دـمـناـ نـفـلـ أـيـدـىـ الشـيـوـخـ الـمـهـادـنـينـ عنـ القـبـائـلـ الـأـخـرـىـ بـحـرـاـ فـلـيـسـ أـقـلـ مـنـ اـنـ نـحـمـيـهـمـ قـرـاصـنـةـ الـأـخـرـينـ الـذـيـنـ لـيـسـ لـنـاـ مـعـهـمـ اـنـقـاقـاتـ مـمـثـلـةـ (٢٢)ـ كـمـ ذـكـرـ المـقـيمـ الـبـرـيطـانـيـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ وـالـذـىـ أـشـارـ أـنـهـ يـرـىـ اـنـ تـشـجـعـ زـاـيدـ بـنـ خـلـيـفـةـ عـلـىـ ضـمـ خـورـ العـدـيدـ وـأـضـافـ بـاـنـهـ يـخـشـىـ مـنـ تـأـزـمـ الـأـمـرـ اـذـاـ حـدـثـ اـنـ إـتـصـلـ بـطـىـ بـنـ خـادـمـ بـالـأـتـرـاكـ لـيـعـنـيـوـهـ .ـ وـاسـتـقـرـ رـأـيـ المـقـيمـ اـخـيـرـاـ إـلـىـ اـنـ يـرـىـ اـنـ يـفـوـضـ الـبـرـيطـانـيـوـنـ الـعـشـمـانـيـوـنـ لـيـقـنـعـوـهـ بـأـنـ الـبـدـعـ وـوـكـرـهـ وـالـعـدـيدـ وـغـيـرـهـاـ مـنـ هـذـهـ الـمـنـاطـقـ هـيـ مـنـاطـقـ مـجـدـبـةـ فـقـيـرـةـ لـاـ تـعـودـ عـلـىـ الـأـتـرـاكـ بـنـفـعـ وـلـنـ تـجـلـبـ لـهـمـ رـبـحاـ،ـ وـلـكـنـهاـ فـيـ نـفـسـ الـوقـتـ تـضـايـقـ سـيرـ التـجـارـةـ الـبـرـيطـانـيـةـ وـتـعـوـقـ السـيـاسـةـ الـبـرـيطـانـيـةـ فـيـ الـخـلـيـجـ وـعـرـفـ الشـيـوـخـ الـمـهـادـنـوـنـ أـنـ لـابـدـ لـهـمـ مـنـ اـحـتـراـمـ تـلـكـ السـيـاسـةـ الـتـىـ هـىـ جـزـءـ مـنـ النـظـامـ التـهـادـنـىـ .ـ غـيـرـ أـنـ هـذـهـ السـيـاسـةـ يـمـكـنـ التـدـخـلـ فـيـهـاـ مـنـ الـجـهـاتـ الـأـخـرـىـ بـسـهـوـلـةـ وـيـسـرـ لـتـضـعـ حـدـاـ لـلـسـيـادـةـ الـبـرـيطـانـيـةـ فـوـقـ الـخـلـيـجـ .ـ

أشـارـ السـكـريـتـرـ الـبـرـيطـانـيـ فـيـ مـذـكـرـتـهـ الـحـكـومـةـ الـهـنـدـيـةـ إـلـىـ ضـرـورـةـ تـعـدـيلـ الـاـنـقـاقـاتـ الـتـىـ تـرـبـيـطـهـمـ وـبـالـشـيـوـخـ الـمـهـادـنـينـ وـغـيـرـهـمـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ وـانـ تـعـادـ صـيـاغـتـهـاـ بـطـرـيـقـةـ تـسـمـحـ بـالـتـدـخـلـ الـبـرـيطـانـيـ بشـكـلـ مـباـشـرـ .ـ وـعـمـومـاـ فـقـدـ اـرـسـلـتـ حـكـومـةـ الـهـنـدـ إـلـىـ الـمـقـيمـ فـيـ الـخـلـيـجـ لـكـىـ يـعـالـجـ الـوـضـعـ بـمـاـ يـرـاهـ مـنـاسـبـاـ .ـ

كتـبـ المـقـيمـ فـيـ يـوـنـيـوـ ١٨٧٧ـ مـ أـيـضاـ إـلـىـ شـيـخـ اـبـوـ ظـبـىـ يـنـهـىـ إـلـىـهـ انـ حـكـومـةـ الـهـنـدـ قـرـرـتـ اـرـجـاعـ مـنـطـقـةـ الـعـدـيدـ لـتـكـونـ تـحـتـ سـيـادـتـهـ .ـ وـأـرـسـلـ إـلـىـ حـكـومـةـ الـهـنـدـ لـتـرـسـلـ لـهـ بـارـجـةـ حـرـبـيـةـ كـبـيـرـةـ لـتـعـيـنـهـ عـلـىـ إـرـجـاعـ الـمـنـطـقـةـ لـسـيـادـةـ

شيخ أبو ظبى ، واستجابت له حكومة الهند فارسلت فى مارس ١٨٧٨م / ١٢٩٧هـ سفينة الحرب الملكية تسر Teaser الى بوشهر (٢١).

وقد أوصى المقيم فى الخليج العربى بأن تعاد صياغة الاتفاques مع هؤلاء الشيوخ لأن الأمير السعودى وهو مسئول تركى يرى أن البحرين وأبو ظبى ودبى جزء من نجد وأضاف أن على الحكومة البريطانية أن تتخذ موقفاً صارماً حيال هذا الأمر (٢٢).

بريطانيا تقاوم المد الفارسى على أرض الساحل المهادن :

حاول الفرس فى النصف الثانى من عام ١٨٧٧م أن يتدخلوا فى سياسة الساحل وكان أمين سر السلطان هو قائد هذا الاتجاه لدى الحكومة الفارسية وقد وجد هذا الاتجاه قبولاً لدى الحاج احمد خان نائب حاكم بوشهر ، وتحمساً من ملك التجار احد اثرياء بوشهر ، الذى كان يسيطر على الموانئ الفارسية ودخل جماركها فى ذلك الوقت . عرف روث Ross المقيم فى الخليج حينذاك ان الحاج احمد خان يزمع زيارة أبو ظبى وبعض مشيخات الساحل العمانى وقد حجز له مكاناً على الباخرة كابيت Cadet التابعة للشركة التجارية لبومبای والخليج ، وأدرك روث خطورة هذه الرحلة ونبذ ان يكون الغرض من ورائها ، كما هو معلن ، زيارة مجاملة للأصدقاء فى تلك الارجاء .

وقد ارسل المقيم الى حكومة الهند بأنه يرى ان يقاوم النفوذ الفارسى فى المنطقة بفرض قيود اتفاques جديدة على شيوخ الساحل المهادى واقتراح المقيم عقد اتفاق بمنع شيوخ الساحل المهادن من التعامل مع ممثلى الدول أو ايجاد نوع من الصلات مع اي قوى اجنبية ويمنع الشيوخ من ان يتصرفوا فى اي قطعة من اراضيهم الى وكلاء اي حكومة بغرض السكن فى المنطقة .

وقد اعقب ذلك توقيع تعهد غير متكافئ في صيغة اتفاق يقطع على كل القوى كل أمل في حيازة المنطقة أو اقامة علاقة بها لحماية تجارة بريطانيا على الخليج ، ووقع على هذا التعاوه شيخ أبو ظبى ورأس الخيمة وعمان وأم القوين والشارقة ودبى كل فى تاريخ مختلف عن الآخر ، ولعل أبرز ما جاء فى هذا التعهد (٢٢) .

- أ - أن الشيوخ لن يقيموا أى علاقات إلا مع الحكومة البريطانية.
- ب - سوف لن يسمح الشيوخ المعنيون لوكيل أية دولة ان يسكن فى مناطقهم إلا بموافقة الحكومة البريطانية .

وبالرغم من ذلك فقد رأى المقيم البريطاني أن اتفاق ١٨٨٧ م غير كاف وانه يقيد هؤلاء الشيوخ فقط ولا يمتد إلى خلفائهم ووافقت حكومة الهند بموجب خطابها رقم ١ المؤرخ فى ٢٤ نوفمبر ١٨٩١ م / ١٣٠٩ هـ على البنود التى اقترحها المقيم بعد تعديلها وقد وقع شيخ أبو ظبى ودبى وعمان والشارقة على هذا الاتفاق النى عرف فيما بعد باسم الاتفاق المانع أو الابدى أو السرمدى وكانت بنوده تنص على ما يلى :

- أ - ألا يتدخل هؤلاء الشيوخ فى علاقات إلا مع الدولة البريطانية.
- ب - لا يمنحون الاذن بالإقامة فى مناطقهم لممثلين لأى حكومة أخرى.
- ج - إلا يتازلوا ببعا أو هبة أو ايجارا بأى صورة من الصور عن أى قطعة أرض من أراضيهم لأى اجنبي إلا بموافقة الحكومة البريطانية.
- د - أن يكون هذا الاتفاق مقيدا لهم ولوريثتهم ومن يخلفهم .

وقد وافقت حكومة لندن على هذه الاجراءات بموجب خطابها الصادر إلى وزير الدولة لشئون الهند بالرغم ٢٧ - سري - فى ٢٧ يوليو ١٣١٠ م / ١٨٩٢ هـ.

الباب الأول

وبهذا الاتفاق كما يؤكد الدكتور عبد العزيز عبد الغنى أن تم لبريطانيا مطلق السيطرة فى التصرف فى مقدرات الساحل المهادن . وظل الاتفاق ورقة رابحة فى يد بريطانيا تقامر بها ضد كل الظروف المحلية والإقليمية والدولية.

الهوامش :

١- دكتور عبد العزيز عبد الغنى ابراهيم علاقة ساحل عمان ببريطانيا مطبوعات دار الملك عبد العزيز الرياض ٢٠٢-٢٧٥ م ص ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م من .

(1.0) Kemball, S. H. E. in S. R. I. XXIV p. 511. -٢

(1.0) Loc. cit -٣

(1.0) Hennel, H. S. J. in S. R. I. XXIV. -٤

٥- دكتور عبد العزيز عبد الغنى ، م، س، ذ.

H. S. J. in S. R. I. XXIV -٦

٧- المرجع نفسه نقل عن :

(P. R. O.) F. O. /78/343, Palmerstone to Campbell. 29 th Mov 1838.

(P. R. O.) F. O. /78/373, Campbell to Pamerstone 21, and 26 Jon 1939.

(P. R. O.) F. O. /1/220. Okland to wood enclosing notes of a cont between Admiral Sir F. Okland and Sheiks of the Persan Gulf between 22-30 April 1839.

٨- دكتور / جمال زكريا باسم الخليج العربى ١٨٤٠ - ١٩١٤ م ص ٦٩



-٤(1.0) Envlosure to Bobary Sec. letters, Vol. 14 Mvllah Hussain to Hennell, 3 Rabi, Gulf, 1255/17 May 1839.

١- المرجع نفسه نقل عن :

(1.0) Kemball, H.S. W. in S. R. I. XXI v. p. 447

١١- المرجع نفسه نقل عن :

(1.0) Enclosure to Bombay Sec. letters. Vol. 14, Hennellt ot Wil-loughby, 10 June 1839.

١٢- المرجع نفسه نقل عن :

Abu Hakima, A. M. "Political" mnovment in Arabia and its impact on India In 19th Century India and the Arab World, ed S. M. Mo-hammed (new Delhi. Sept. 1969) p. 22.

١٣- المرجع نفسه نقل عن :

(1.0) Hennellt. H. S. W. in S. R. I. XXIV p. 454.

١٤- دكتور صلاح العقاد. التيارات السياسية في الخليج العربي من ١٨٣ - ١٨٤ .

١٥- المرجع نفسه ص ١٣٧ .

١٦- دكتور عبد العزيز عبد الغنى ، م. س. ذ. ص ٢٨٦-٢٨٧ .

١٧- المرجع نفسه نقل عن :

(1.0) Mann (Major Clorence. C.) Abu Dhabi Birth of An Oil Sheikhdom (Beirut, 1969) p. 35-36

الباب الأول

١٨- المرجع نفسه نقل عن :

(1.0) Sec. letters and seclos. from india, Vol. 16 Grant to Ross
1873.

١٩- المرجع نفسه نقل عن :

(1.0) Mann (Major Clorence) op. Cil. p. 55.

٢٠- المرجع نفسه نقل عن :

(1.0) Pol. & Sec. Letters and Enclose. From India, vol. 7 got i Council
to sec. of state for India & fed. 1876.

٢١- المرجع نفسه نقل عن :

(1.0) Pol. & Sec. Letters and Enclos. From India, vol. 22 Lyt-
ton S, Despatch on 22 May 1879 on Turkish Jurisdiction on the Ara-
bian Coast.

الفصل الرابع

مسألة البويرم

استعاد بنو خالد حكم الأماكن المطلة على ساحل الخليج العربي بعد القضاء على الدولة السُّنَّرِيَّة الأولى ، غير أن المناوشات سرعان ما بدأت بين الإمام تركى بن عبد الله وبين زعيم بنى خالد سنة ١٢٤١هـ ووصلت ذروتها سنة ١٢٤٥هـ حينما غزت القوات السعودية الإحساء ودارت إشتباكات عنيفة بين الجانبين حيث إنتصرت القوات السعودية وبaidu كبار الإحساء (٢) الإمام تركى وخرجت الإحساء من حكم بنى خالد لتصبح جزءاً من الدولة السعودية الثانية بعد أن بايعه أيضاً زعماء القطيف كما وفدى إليه زعماء رأس الخيمة مجددين ولاهم له بعد أن إستقرت الأحوال في المنطقة الشرقية ، والواقع أن هؤلاء الزعماء ظلوا على ولائهم لآل سعود في محبتهم إبان فترة حكم محمد على ، وقد أرسل الإمام تركى حملة قوية (٣) إلى عمان سنة ١٢٤٨هـ وأضطرر سلطان عمان إلى إظهار المودة ووصل نفوذ آل سعود مرة أخرى إلى جهات عمان ، وكان لذلك تأثيره على العلاقات السعودية البحرينية حين كان آل خليفة يحكمون البحرين وجزءاً كبيراً من قطر ، وقد اعترف آل خليفة بولائهم للإمام تركى على أن يساعدهم في مواجهة أي عدوan ضد البحرين (٤).

ويذكر العثيميين (٥) أن هذا الإنفاق لم يستمر حتى نهاية عهد الإمام تركى ، فقد إنتهز آل خليفة فرصة الخلافات التي قامت في القطيف وأغرقوا بعض رجال بنى خالد للثورة ضد الإمام تركى حيث توجه نجله فيصل بن تركى إلى القطيف للقضاء على هذا التامر ، غير أن أخبار إغتيال أبيه في الرياض (٦) جعلته ينسحب عائداً إلى الرياض ، والواقع أن الإمام فيصل قد بذل جهداً كبيراً للوصول إلى عديد من الإنفاقيات مع إمارات الخليج ، كذلك

سارت سياساته الإقليمية تنهج الحلول السليمة تارة والمناوشات الحربية تارة أخرى ، وكان يأخذ في الاعتبار ضرورة التفاهم مع كل من الدولة العثمانية وبريطانيا ، وهما القوتان اللتان كانتا تشكلان أهمية في منطقة الخليج العربي في هذه الفترة ، وهو ما يحتاج إلى تفسير غير قليل.

يلاحظ الباحثون أن المصادر التاريخية لم تهتم بالعلاقة بين الإمام فيصل بن تركي وبين الكويت ، في حين كانت العلاقات مع البحرين سارت على نهج سلفه الإمام تركي بن عبد الله من حيث التوصل إلى اتفاق يدفع بموجبه آل خليفة الزكاة إلى الإمام فيصل وأن يساعدهم الإمام فيصل في مواجهة أي عدوان خارجي ، غير أن العلاقات مع البحرين كانت تسير في منعطف متذبذب من التقليات ، فاحتياجاً يسود الوفاق وأحياناً أخرى تتواتر العلاقات وقد يتتطور الأمر إلى المناوشات العسكرية أو التهديد بالغزو ، وكان التدخل البريطاني ذات تأثير على العلاقات بين الإمام فيصل وأآل خليفة ، وتفسير ذلك أن بريطانيا كانت تقف بجوار حاكم البحرين وذلك وفق مصالحها في الخليج العربي ، وعلى العكس من علاقاته بالكويت والبحرين ، فقد نجح الإمام فيصل في مد نفوذه إلى جهات عمان حتى كادت سيادته تصل إلى مسقط وصغار ، ومرة أخرى تحركت بريطانيا ضد الإمام فيصل ، إلا أن حاكماً هاتين المدينتين كانا يدفعان الزكاة إلى آل سعود ، ومن المرجح أن الإمام فيصل بن تركي قد وافق على تبعيته - كما ترى (٧) المصادر - للدولة العثمانية - أسمياً على الأقل - ويرى أحد الباحثين الغربيين (٨) أن الإمام فيصل قد ذكر في إحدى رسائله إلى المقيم البريطاني في الخليج أنه تابع للسلطان العثماني ، وأن والي بغداد مثلاً للدولة العثمانية قد إحتاج على بريطانيا لاعتدائها على أراضي الإمام فيصل (٩) .

وكان موقف بريطانيا من الإمام فيصل يسير وفق تحقيق مصالحها في

الخليج العربي حيث كانت تعارض بشدة أية دولة قوية تحاول مد نفوذها في الخليج وساحل عمان، وقد حدث ذلك مع الدولة السعودية نفسها حيث كانت بريطانيا تقف ضدها ، ثم عارضت محمد على لدى وصول قواته إلى ساحل الخليج العربي ، وفيما يتعلق بالأمام فيصل بن تركى فقد سبقت الإشارة إلى رغبته فى إقامة علاقات ودية مع بريطانيا على غرار تلك العلاقات التى كانت قائمة مع أبيه ، غير أن القوات السعودية حينما توغلت فى عمان ، فقد وقفت السياسة البريطانية للحيلولة دون إستيلاء الإمام فيصل على مدینتى مسقط وصحار ، فضلا عن أن بريطانيا قد شجعت حاكم البحرين ضد أية محاولة من جانب الإمام فيصل لغزو بلاده (١٠) .

وسواء تعلق الأمر بالدولة السعودية الأولى أو الدولة السعودية الثانية فهناك حقيقة تاريخية ثابتة يمكن إيجازها فى عمق العلاقات بين العربية السعودية والمشيخات الساحلية التى تشمل قطر والإمارات وسلطنة مسقط وعمان وفي إطار هذه الحقيقة التى تشير إليها المصادر السعودية فإن أمور الخليج العربى كانت تستثير دائما باهتمام آل سعود وقد سبقت الإشارة إلى جهود الإمام تركى بن عبد الله بن سعود الذى أرسل فى سنة ١٢٤٤ هـ أحد قادته - عمر بن محمد عفيفيisan - أميرا على البريمى ، وأحد علماء الدين الإسلامى - الشيخ محمد بن عبد العزيز العوسجى - قاضيا ، وقد وفد أكثر أهل عمان لمبايعة الإمام تركى على السمع والطاعة والواقع أن واحة البريمى هى إحدى واحتين (١١) عند الطرف الشرقي وعلى سفوح جبال الحجر الغربى التى تمتد فى عمان فى شكل إ إنحاء جنوبى شرقى من شبه جزيرة مسندم على طول الطرف الشرقي من شبه الجزيرة العربية وحتى المحيط الهندى . وتمتد منطقتها (١٢) من قاعدة شبه جزيرة قطر غربا ، وشرقا بين ساحل

الخليج والربع الخالي حتى واحة البريمي نفسها ، ويذكر المؤرخ العماني سليم بن روزيق أن الحد القديم لواحة البريمي يمتد في المنطقة التي تقع من صحراء الجفورة في سنة ١٨٠٠ م من خلال إمتداد الدعوة الإصلاحية السلفية للإمام محمد بن عبد الوهاب الذي ذاع صيته في أواسط الجزيرة العربية في القرن الثامن عشر تحت زعامة آل سعود .

وبالرغم من أن الباحثين الغربيين وأبرزهم سانت جون فيليبى كان معظمهم غير منصفين في وصف الإلتحام الديني والعسكري وأهداف هذه الدعوة النبيلة ، فإنهم يعترفون في النهاية بانتشار مبادئ هذه الدعوة طبقاً ل تعاليم القرآن الكريم وراء حدود نجد حيث تم إستيلاء آل سعود على مناطق الإحساء الواقعة على طول ساحل الخليج ، وما كان ضغطهم قد يشغل بعد عام ١٨٠٣ م في الحجاز فإن عمان ظلت بعيدة عن هذا الضغط حتى ١٨٠٨ م حيث أوفد آل سعود في نهاية العام مطلق المطيري إلى البريمي ، وفي عام ١٨١٢ م، أرسلوا أميراً جديداً هو عبد العزيز بن غرورنة إلى البريمي ليحل محل المطيري ، ثم انتهى حكم آل سعود للبريمي في عام ١٨١٩ م حيث كان الإهتمام البريطاني بالخليج أخذًا في التعايش منذ مستهل القرن التاسع عشر ، كما سبقت الإشارة من خلال بداية جهود شركة الهند الشرقية تجارتها مع الدولة الفارسية في حين إختفى الحظر الفرنسي على الشرق في عام ١٨١٠ م وأصبح شيخ أبي ظبي مسؤولاً عن الساحل المتند من دبي غرباً إلى قطر ، وكثيراً ما كان المقيم البريطاني يستفسر منه عن جدوى أعمال «القرصنة» وظهر نظام التصالح إلى حيز الوجود في ساحل الخليج العربي ، وظلت الهدنة البحرية تتجدد سنوياً كما سبقت الإشارة حتى عام ١٨٤٣ وعندما تم التوقيع على هدنة لمدة عشر سنوات ، وقعت في نهايتها معايدة دائمة للسلام البحري

تتولى الحكومة البريطانية مراقبتها ووضعها موضع التنفيذ ، وأصبح ساحل القراءنة يحمل بعد هذا التاريخ اسم «الساحل المتصالح».

كان الإمام تركي بن عبد الله آل سعود قد تمكن من نشر الدعوة الإصلاحية في شرق الجزيرة العربية ما بين عامين ١٨٣٤-١٨٢٤م ، حيث إستطاع في السنة الأولى إخراج الحامية المصرية من الرياض وجعل منها عاصمة نجد الجديدة ، وإستعاد الأحساء في عام ١٨٣٠م ثم إتجه إهتمامه إلى الشرق والجنوب الشرقي باتجاه البحرين وقطر وعمان ، ويبدو أن الأوضاع المضطربة (١٢) في الساحل المتصالح قد أبرزت الدور المتعاظم لآل سعود ، وقد أصدر الإمام تركي أوامره في أواخر عام ١٨٣٢م إلى حاكم الإحساء عمر بن حفيصان - والذى كان قد أغاد على البريمي في عام ١٨٢٨ - بالزحف ثانية على الواحة والإستيلاء عليها وإقامة حامية دائمة فيها ، وبالفعل وصل عمر بن حفيصان إلى البريمي ووجه طلبا إلى سلطان مسقط - سعيد بن سلطان - بضرورة دفع الزكاة وخضع السلطان ، وظل السعوديون الموحدون على براعتهم في إستقطاب القبائل العربية في شمال عمان والساحل المتصالح وقد إنعكست هذه المهارة على قدرتهم في الإحتفاظ بواحة البريمي طيلة ست سنوات التالية ، وكتب وكيل المقيم البريطاني في الشارقة في سنة ١٨٣٤م يصف مهارة آل سعود قائلا : «يخلص أهل رأس الخيمة لقائد الحامية السعودية» (١٤).

وفي إطار المحاولات البريطانية للسيطرة الكاملة على ساحل عمان والبوريمي ، فإن أول بريطاني وصل إلى البريمي وهو هاملتون من وزارة الهند ، حيث حاول تأليب القبائل العربية على آل سعود من ناحية وعلى خورشيد باشا القائد المصري للحملة المصرية من ناحية ثانية ، وقد نجحت السياسة البريطانية في جعل السيطرة على واحة البوريمي مجزأة بعد عام

١٨٤٠ م بين بنى نعيم وأمير أبى ظبى - خليفة بن شحبوط - وفى يونيو فى ١٨٤٣ م تسلم الأمير فيصل بن تركى زمام الأمور بعد عودته من أسره فى القاهرة، وبصفةـ المصادر الأمير فيصل بأنه أعظم حكام آل سعود فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، فمن ناحية أعلن عن عزمه إعادة فرض سيطرة آل سعود على جميع الأماكن التى كانت قائمة من قبل، ومن ناحية أخرى فقد أوفد مبعوثاً إلى البريمرى وكانت مناولة بريطانيا لجهوده مما جل القبائل وحكام عمان الشمالية يخشون من إحتمال قيامه بإعادة إحتلال البريمرى، وإذا ما أضفنا عوامل دولية وإقليمية أخرى (١٥) فإن هذا يفسر أسباب مناولة السياسة البريطانية للسياسة السعودية فى عمان وواحة البريمرى على وجه الخصوص ، وهو ما جعل قبائل عمان الشمالية تنظر بحسد إلى طموحات آل سعود، وأن ذلك قد حمل - كما تذكر الروايات البريطانية(١٦) - الكراهية تجاه النائب السعودى - يعد بن مطلق - والذى كانت "سوء معاملته" - على حد وصف هذه الروايات - سبباً فى إثارة قبائل عمان الشمالية وسواحلها عليه، بل وإنضمام إلى صفوف معارضيه حتى أصبح موقفه حرجاً وخاصة أن الأمير فيصل بن تركى - كما تزعم المصادر البريطانية - قد وصلته أنباء أن - نائبه سعد بن مطلق قد إحتفظ لنفسه بجزء كبير من المال الذى جمعه، وقد فكر سعد فى المضى لى نجد لتبييد الوشایات والإشاعات لدى الأمير فيصل وتحدد يوم سفره من البريمرى لولا وصول مبعوثين من الأمير فيصل بن تركى تحدثه على تثبت مرکزه فى البريمرى وإرسال ما يمكنه من المال إلى نجد دون إبطاء غير أنه فى أواخر عام ١٨٤٧ م تم إستدعاء سعد إلى نجد ليوضح أسباب تدهور الأوضاع على حدود عمان وهو ما جعل موقف آل سعود فى البريمرى حرجاً، وقد حاول نائبه فى البريمرى فض المنازعات والعواطف الثائرة لدى القبائل المجاورة بالوسائل السليمة للحفاظ على "الحد المعقول من السلطة" التي كان لايزال قادراً على ممارستها فى البريمرى (١٧)

استمرت سياسة الدولة السعودية الثانية تجاه واحة البوريمي تتسم بمحاولة تحقيق التضامن مع القبائل غير أن العلاقات بين آل سعود وقبائل الساحل العربي قد قوبلت بعزوّف بريطانيا عن تأييد هذه السياسة ، وقد تعرّضت المصادر البريطانية إلى ذلك في تفصيل غير قليل محاولة تبرير السياسة البريطانية بالزّانع بين القبائل التي أرادت أن «تحافظ - وفي فترات ذروة فوق الدّعوة السلفية على إستقلالها ورفضت أن تدفع الزّكاة التي يطلبها الزعيم السعودي (١٨) ، والواقع أن السياسة البريطانية كانت دوافعها تحقيق مصالحها في السيطرة عن الخليج العربي وإحباط أي محاولة لتفوق أي قوة إقليمية والتي كانت تتمثل وقتئذ في قوة الإمام فيصل بن تركى وحكمته وهو ما اعترف به صراحة المسؤولون البريطانيون ، وأن فتنة ١٨٤٥-١٨٤٨ م تتسم فيها واحة البوريمي بالنسبة للمصادر السعودية بأن الواحة لم تكن مجرد مركز أمامي وسيط للحدود فيه حاميات من الفاتحين في بلاد أجنبية، وإنما كانت جزءاً لا يتجزأ من الدولة السعودية ، لها مركز إقليمي كامل المكانة (١٩).

وقد يستخدم الإمام فيصل بن تركى مهاراته السياسية في محاولات إستقطاب قبائل ساحل عمان بدءاً بـ مطالبة المقيم البريطاني في الخليج لتأييد نائبه في البوريمي ولمنع القبائل هناك من التدخل في مرور المؤن بطريق البحر إليه في نجد والإحساء (٢٠) ، بالإضافة إلى مطالبته شريف مكة - محمد بن عون - والذى تجاوب مع موقف الإمام فيصل بن تركى، وإنعكس ذلك على إيفاده مبعوثاً إلى المقيم البريطاني في الخليج في شهر مارس ١٨٤٩ يحمل رسالة ودية جاء فيها (٢٢) : « أرجو أن أبلغك أن فيصل بن سعود من رعايا السلطان العثمانى ، وإن له حصونا في عمان كما لا يخفى عليك ، وأن

البوسعيد وسعيد بن طحنون قد أخرجاه منها ، وهو يدفع إلى خزانة السلطان العثماني سبعة عشر ألف ريال ».

« وأنه قد أحال الامر لى ، بعد أن نقل إلى أبناء الاعمال العدائية التي يشنها على ابن طحنون والبوسعيد » . وذكر أن ابن طحنون يقيم في جزيرة في البحر وليس لديه وسائل للوصول إليه ، واستطرد محمد عبد عوف مخاطباً المقيم البريطاني قائلاً أن ابن السعود - يعتب على الامام فيصل بن تركي من رعايا السلطان ، ولكن أمل لذلك أنه لن تسمح بمعارضته ولقد أثرت أن لا أطيل رسالتى الموجهة إليك نظراً لأنك لا تعرف اللسان العربي معرفة تامة ..»

وفي إبريل ١٨٤٩ كتب الامير فيصل إلى المقيم البريطاني في الخليج يطلب إليه أن يحول دون تمرد سعيد بن طحنون بشأن إثارته للقلق تجاه النائب السعودي في البوريمي . غير أن ابن طحنون استمر في مناوشته للحامية السعودية بمساعدة قبائل المناصير والمزاريع والبوشميس ، وبالرغم من ذلك فقد تمكن الامام فيصل من الوصول بنفسه إلى حدود قطر في نهاية عام ١٨٤٩ م على رأس قوة كبيرة كان قد أعدها في الأصل لغزو البحرين، ومن الأرجح أنه لم يكن راغباً في الزحف على ساحل عمان، واكتفى بالاشارة إلى دور زعيم القاسميين سعيد بن طحنون في سقوط البوريمي وأنه سيحاسبه على ذلك وواجه الامام فيصل صعوبات في فرض سيطرته على شرق الجزيرة العربية نظراً لأنه واجه ائتلاف بنى ياس والقواسم ضده ، فضلاً عن أن المقيم البريطاني في البحرين كان يعمل هو الآخر على إضعاف القوة السعودية الصاعدة ، ومع ذلك فقد تمكن فيصل من التوصل إلى تسوية معشيخ البحرين (٢٣) .



وفي أوائل سنة ١٨٥١ شعر فيصل بقدرته على القيام بمحاجة جديدة لاستعادة البوريسي ، وأرسال ابنه عبد الله على رأس قوة كبيرة باتجاه الجنوب من الأحساء، ووصل عبد الله إلى البوريسي في فبراير ١٨٥١ م ووجه تعليمه إلى جميع شيوخ الساحل للمجيء إليه ، وأوضح أنه جاء ليصحح الأخطاء التي عانى منها شيخ عمان ، وبالرغم من أن الباحثين الأوربيين غير منصفين (٢٤) في تحليل أحداث هذه الفترة والدافع التي قام فيصل من أجلها بارسال ولده عبد الله لاستعادة البوريسي إلا أنهم يعترفون جميعاً بحكمة الإمام فيصل وقدراته القيادية التي استقطبت شيخ عمان، وبالطبع فقد جاء رد فعل بريطانيا ليحقق مصالحها في المنطقة بالدرجة الأولى من خلال تأديب شيخ الساحل الآخرين وهو ما قام به المقيم السياسي البريطاني J.B.Kambel والذي بادر بإجراء مفاوضات خاصة لبرام معايدة سلام بحرى مع شيخ «المصالحين» كما أمر طراديين بريطانيين بالقيام بأعمال الدوريات على ساحل الإمارات المصالحة في مواجهة القوات السعودية التي تمكنت من الوصول إلى اتفاق يقضي بأن يدفع سلطان مسقط اثنى عشر ألف ريال، وتذكر المصادر أن هذا الاتفاق قد اتسم بالروعة لخلوه من القسوة ، ويصف ابن بشر المؤرخ السعودي الذائع الصيت ذلك قائلاً: بأن أداء الزكاة على هذا الوضع كان يتم بصدق وایمان في الدولة السعودية في نفس الوقت الذي كانت تجبي فيها العادات التي تحمل احياناً اسم الزكاة من مشيخات ساحل الخليج (٢٥).

دفع الزكاة كل من سلطات مسقط وشيخ البحرين والبونعيم والقواسم آل سعود، وقد قبلت السياسة البريطانية ذلك نظراً لتفوق القوة السعودية، ومن ناحية أخرى فإن بريطانيا لم تكن تريد الاعتراف بـأى سيادة سعودية على مشيخات الخليج العربي وقد أوضح المقيم البريطاني في الخليج لحكومته أنه

يرى أن من مصلحة الحفاظ على السلام البحري في الخليج أن يواصل شيوخ الخليج دفع الزكاة للإمام فيصل، غير أن حاكم البحرين توقف عن الدفع، فتحرّك فيصل لهاجمة البحرين في عام ١٨٥٤م ولكن التدخل البريطاني جعل الطرفين يتتفقان بأن يكون هذا الجزء من الزكاة بمثابة ضريبة عن أملاك اللاجئين في مدينة الدمام، وتتجدر الاشارة أنّ الأمير فيصل كان يؤكّد تبعيته دوماً للدولة العثمانية، وقد بعث في ١٤ يناير ١٨٥٥م إلى المقيم البريطاني في الخليج قائلاً «لما كنت من اتباع الباب العالى ، فإن لدى التأكيد الكافى من السلطان بأنّ لى سلطنتى على العرب جميعاً (٢٦) ، وكان هذا بمثابة تأكيد برؤية سيادة الإمام فيصل على البحرين وساحل عمان، وقد كتب فيصل إلى المقيم البريطاني قائلاً : «إننى لا استطيع أن أفهم السبب فى معارضة الحكومة البريطانية . . . طالما هناك تفاهم قائم بين وبين الحكومة البريطانية على البلاد التابعة لى والممتدة من عمان إلى الكويت والتى تنفي عنكم الحق فى ممارسة أى إشراف عليها أو التدخل فى أى شكل من الأشكال فى شئونها » (٢٧) .

وقد حاول الإمام فيصل في مناسبات عديدة أن يؤكّد سيادته على ساحل عمان سواء تعلق الأمر بتبعيته للإمبراطورية العثمانية أو بمحاولاتة (٢٨). إقامة علاقات ودية مع بريطانيا وأن اعمال نائبه في البوريمي موجهة دائماً إلى منع قبائل الداخل من الاعتداء على القبائل المقيمة على الساحل، وأنّ أى مشكلات تثور بين القبائل فإن حلها يكون «من خلال نائبه في عمان الذي يمثل مركزه هناك ما يرضي الله والرسول والسلطان أمير المؤمنين ، أعز الله به الإسلام» (٢٩) .

ويحاول الباحثون الغربيون المحدثون غير المنصفين تجاه العرب تفسير هذه الأحداث من أن الإمام فيصل بن تركي كان من رعايا الدولة العثمانية في

تواجد آل سعود في عمان وأن هذا «الاحتلال» - من وجهة (-٩٣٠) نظرهم - كان «إحتلال عثمانيًا» ، وأن النتيجة المستخلصة - من وجهة النظر هذه - هي أن «أية حقوق سيادية تحققت لآل سعود قد إنتهت بزوال الدولة العثمانية (٣١)».

وقد إتسمت الفترة ١٨٥٣-١٨٦٥ م بثبيت الإمام فيصل بن تركى سلطاته في البوريمى والإحساء ونجد بالإضافة إلى المنطقة الجنوبية الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، كما ساعدت الظروف المحلية والإقليمية (٣٢) جهود الإمام فيصل في تدعيم سيادته على البوريمى بصفة خاصة بالإضافة إلى مناطق عديدة تقع داخل عمان (٣٣) ، غير أنه بحلول عام ١٨٦٥ م إشتدت الغارات على الحامية السعودية في البوريمى من جانب البورسعidiين من قبائل عمان وصحار الذين بثوا الرعب في نفوس سكان الساحل، وهو ما اضطر القوات السعودية بالتدخل بشن غارات مضادة ، وقد إنتهز المقيم البريطاني في الخليج لويس بيلي هذه الفرصة ليبعث برسالة إلى الإمام فيصل بأن بريطانيا ستقوم بأعمال تأديبية في موانئ ساحل الإحساء التي تقع تحت السيادة الفعلية لآل سعود، وقد وصلت هذه الرسالة للإمام وهو يحتضر على فراش الموت في ديسمبر ١٨٦٥ م ، وبدأت بعدها عمليات قصف غير فعالة لمدينة الدمام (٣٤).

خلف الأمير عبدالله والده الإمام فيصل بن تركى وقد سار على نهجه حيث كان راغبا في التفاهم مع بريطانيا حتى يتحقق التوازن والاستقرار بما يحقق المصلحة المشتركة ، وتذكر المصادر أن الإمام عبد الله بن فيصل كان يعتبر نفسه من رعايا الإمبراطورية (٣٥) العثمانية وكان لجهود الأمير عبد الله بن فيصل أثراها في إبرام سلسلة من الاتفاقيات التعاهدية مع الحكومة البريطانية ، وقد شملت هذه الاتفاقيات سلطنة مسقط وإمارة البحرين والإمارات المتصالحة وتركزت حول عدم الحق أي أضرار بالرعايا البريطانيين

المقيمين في الأراضي الواقعة تحت سيطرة عبد الله بن فيصل وعدم مهاجمة أراضي القبائل المتحالفة مع الحكومة البريطانية التي كانت تدعي أنها تدافع عن إستقلال إمارات الساحل في شرق الجزيرة العربية ففي مواجهة الدولة الفارسية والدولة العثمانية بالإضافة إلى مطالب (٣٦) آل سعود بضرورة إستمرار دول الساحل في دفع الزكاة إلى الإمام عبد الله ، حتى أن المقيم البريطاني في الخليج طلب منشيخ البحرين بإستمرار دفع الزكاة إلى الأمير السعودي باعتبار أنها تؤدي إلى تحقيق السلام على الساحل العربي» (٣٧).

وقد إستمرت جهود الإمام عبد الله بن فيصل الرامية إلى جمع القبائل الموالية له وجمع مشايخ الساحل حوله وقام نائبه في البويرمي تركي السديري برحلة إلى الشارقة لهذا الهدف غير أنه قتل هناك في إبريل ١٨٦٩ وقد اعتبره سكان الشارقة بالرغم من ذلك « بمثابة الشخص الذي نشر السعادة وأن المنطقة حرمته من زعيم ظل يعمل دون كلل طيلة سنتين للقضاء على الخلافات المستمرة في دبي والشارقة» (٣٨) وأعقب ذلك مزيد من الغارات والغارات المضادة على ساحل عمان من جانب القبائل الساحلية ، ومع ذلك فقد ظل الإمام عبد الله بن فيصل القائد الذي تهاب شخصيته من جانب القبائل الساحلية ، غير أن السعوديين بدأ شائهم يضعف تدريجيا في الخليج العربي (٣٩) بسبب الخلافات العائلية التي إشتدت بين الإمام عبد الله بن فيصل وشقيقه سعود بن فيصل فأنقسمت نجد إلى قسمين مما أدى في النهاية إلى التدخل السافر من كل من بريطانيا والدولة العثمانية لتعزيز هذه الخلافات ، وبالرغم من ذلك فقد وصلت قوة (٤٠) سعودية صغيرة إلى البويرمي في سنة ١٨٧١م ومكثت سنتين ، وإنقضت أكثر من خمسين سنة بعد هذا التاريخ قبل أن يتمكن آل سعود من الظهور في البويرمي .

الهواش:

- ١- بدأت الدولة السعودية الثانية بوصول الإمام تركي بن عبد الله إلى بلدة عرقة (بكسر العين وسكون وفتح القاف) ، وهي من قرى إمارة الرياض في سنة ١٢٣٨هـ / ١٨٢٣ م ، وتجمع حول الإمام تركي أمراً، الوسم وجلاجل وسدير، ثم سار إلى الرياض ومنفحة، وهناك تمت المواجهة مع جنود الجيش المصري وبعد استقراره في عنزة بالقصيم واجه تمرداً من سكانها فسار إلى المدينة المنورة ، ثم استولى على خرما وثادق وبابيه أهل الزلنى ومريملاء، وفي سنة ١٢٤٠هـ / ١٨٢٥ م تمكّن من دخول الرياض راجع ، عثمان بن بشر - عنوان المجلد في تاريخ نجد ، مصدر سابق ، الجزء الثاني .
- ٢- المصدر نفسه ، وراجع أيضاً حمد الجاسر ، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، بدون تاريخ نشر .
- ٣- وكان قائد هذه الحملة عمر بن عفيمسان .
- ٤- راجع في تفاصيل ذلك :

Winder, B. B., Saudi Arabia in the Nineteenth century, New York, 1965, p. 81.

- ٥- الدكتور عبد الله صالح العثيمين ، مرجع سابق ، ص ٢٢١ .
- ٦- عثمان بن عبد الله بن بشر ، عنوان المجلد ، الجزء الثاني مصدر سابق ، ص ٦١ .
- ٧- الدكتور عبد الله صالح العثيمين ، مرجع سابق ، ص ٢٧٤ .
- ٨- Winter, Op. Cit., pp. 1759-1799, 205-7.
- ٩- لمزيد من التفاصيل حول علاقة الإمام فيصل بن تركي بالدولة العثمانية راجع: دكتور عبد الفتاح أبو عيلة ، الدولة السعودية الثانية ، الرياض ، ١٣٩٤هـ من ص ١٤٥-١٥٤ .

وتتجدر الإشارة أن الإمام فيصل كان يدفع مبلغا سنويا من المال للدولة العثمانية رمزاً لتبعيته لها، غير أن ذلك كان خاضعاً للظروف المحيطة به، وينظر العثيمين أنه من المرجح أن الإمام فيصل لم يدفع ما كان عليه أن يدفعه خلال العقد الثامن من القرن الثالث عشر الهجري نظراً للازمات التي تعرضت لها سلطة الدولة العثمانية في غرب الجزيرة العربية

، راجع : الدكتور عبد الله صالح العثيمين ، ص ٢٧٥ .

١٠- المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

١١- أما الواحة الثانية فهي واحة لива .

١٢- أى المنطقة التي تقع فيها واحة البوريمي .

١٣- حيث كان بنو ياس والقواسم يخوضون صراعاً على السلطة وفي عمان كان أحد أمراء البورسيعديين يحاول الإطاحة بالسلطان الحاكم .

١٤- وتتجدر الإشارة أن معظم مكاتب المقيم البريطاني في الشارقة عن قائد الحامية السعودية في الشارقة - محمد بن عبد العزيز - ومعاملته أهل الشارقة . . . كانت هذه الكتابات غير منصفة فلم يكن آل سعود قط تقوم سياستهم على استثناء المنافسات والمنازعات بين شيوخ أبي ظبي ، وإنما ثبّتت العقيدة السعودية من العقيدة الإسلامية وهو ما يفسر إستقطاب آل سعود لإقليم عمان «الباحث» .

١٥- وقد تفاعلت العوامل الإقليمية والدولية والتي أضافت أبعاداً جديدة في مواجهة السياسة السعودية تجاه البوريمي، من ناحية في شروع مصر في الإنسحاب من نجد صيف عام ١٨٤٠م، وجاء إنسحاب مصر كلياً من شبه الجزيرة العربية كشرط أساسى في اتفاق الإسكندرية في نوفمبر / ديسمبر ١٨٤٠م وفي التسوية العامة للمسألة الشرقية في مؤتمر لندن لعام ١٨٤١م وقيل أن خالد بن سعود حاكم نجد الذي تم تعيينه من قبل مصر قد فكر في أكتوبر ١٨٤١م بشن حملة على ساحل عمان، غير أن أفكاره هذه لم تتبادر قط

الباب الأول

لأن المقيم البريطاني في الخليج قام بتحذيره ، وعموماً فقد أطاح الأمير عبد الله بن ثنيان بالأمير خالد في عام ١٨٤١ ، وعندما أعلن عبد الله بن ثنيان عن عزمه لإعادة إحتلال واحة البوريمي، فقد أدعى شيخ البوريمي أنهم على علاقة حمائية ببريطانيا أولاً منهم أن يبعدوا عبد الله بن ثنيان عن إحتلال البوريمي، وفي يونيو ١٨٤٢ م تسلم الأمير فيصل بن تركي زمام الأمور .

- ١٦- ولا ينتظر أن تكون هذه الروايات منصفة تجاه العرب «الباحث».
- ١٧- المذكرة البريطانية - الجزء الثاني - الملحق ب - رقم ١٠ - من هينيل إلى السكرتير العام في بومباي في ٩ سبتمبر ١٨٤٧.
- ١٨- المذكرة البريطانية - الجزء الثاني - الملحق ب - رقم ٤ - من هينيل إلى السكرتير العام في بومباي في ٧ مايو ١٨٣٩.
- ١٩- نص المذكرة السعودية بهذا الخصوص ، الجزء الأول ، الفصل الرابع، الفقرة ١٦٤ ، وبالطبع فإن وجهة النظر البريطانية قد عارضت ذلك بهدف تحقيق المصالح البريطانية في السيطرة على ساحل الخليج عموماً في هذه الفترة .
- ٢٠- من فيصل إلى الرائد هينيل في ٢٠ محرم ١٢٦٥ ٢٧/١٢٦٥ ديسمبر ١٨٤٨.
- ٢١- من محمد بن عون إلى المقيم البريطاني في الخليج في ١١ ذي القعدة ٩/١٢٦٤ ٩ أكتوبر ١٨٤٨.
- ٢٢- من فيصل إلى هينيل بتاريخ ١٥ جمادى الأولى / ٩ إبريل ١٨٤٩.
- ٢٣- من الملا حسين إلى هينيل في ٩ إبريل ١٨٥١ حيث كان الملا حسين شاهداً على هذه التسوية .
- ٢٤- وتنذكر المصادر الغربية روايات غير منصفة بهذا الشأن، حيث كان سلطان مسقط «البورسيعيدي» بعيداً في زنجبار ، وكان ولده «ثوبنی» نائبه في عمان يتسم بضعف

حيويته وأدراكه للأمور فضلاً عن عجزه عن إبداء أية مقاومة لعبد الله بن فيصل، وكان هذا العجز دافعاً لسعيد بن طحنون لتولى الأمر القيادي في مواجهة قوات الإمام فيصل، وترى هذه المصادر الفضل للقيم البريطاني J.B.Kambel التي وصف سعيد بن طحنون نتيجتها بأن «الثمن كان غالياً» وهو ما يدل دلالة قاطعة على نجاح السياسة السعودية للأمير فيصل بن تركي «الباحث».

٢٥- عثمان بن بشر «عنوان المجلد في تاريخ نجد ، مصدر سابق ، الجزء الثاني .

٢٦- من فيصل إلى كيمبل في ٢٤ ربيع الثاني ١٢٧١ الموافق ١٤ يناير ١٨٥٥ .

٢٧- من فيصل إلى كيمبل - سوى رقم ٦٦ - بتاريخ ٣١ يناير ١٨٥٥ .

٢٨- وينذكر كيلي أن الإمام فيصل قد أدعى وجود اتفاق بين بريطانيا وبين آل سعود لمدة مائة عام للحفاظ على السلام في البحر » راجع: ج. ب. كيلي ، تعریب خیری حماد، الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، نوفمبر ١٩٦٩ ، الواقع أن ماذكره كيلي بهذه الطريقة لا يعدو أن يكون تشويهاً للحقائق وتحقيقاً لمصلحة بريطانيا بالدرجة الأولى «الباحث».

٢٩- من فيصل إلى كيمبل في ٢٤ ربيع الثاني ١٢٧١ هـ .

٢٠- كيلي ، مرجع سابق ، ص ١٢٥ وقد سبقت الإشارة إلى أن هذا الباحث غير منصف لوجهة النظر السعودية في عرضه لهذه الأحداث «الباحث».

٢١- وينذكر كيلي أن إحدى الرسائل المرسلة من والي بغداد إلى قنصل بريطانيا العام في سنة ١٨٦١ تشير إلى أن «فيصل بك هو قائم قائم نجد»، من أحمد توفيق باشا إلى كيمبل في ٢٥ جمادى الأولى ١٢٧١ هـ الموافق ٢٩ نوفمبر ١٨٦١ ، ويدعى كيمبل أن الإمام فيصل قد تحدث عن معاهداته مع السلطان عبد الحميد في رسالة المقيم البريطاني في عام ١٨٥١ ، « من فيصل إلى جونز في ٧ ربيع الثاني ١٢٧٦ هـ .



-٣٢- كيلي ، مرجع سابق، ص ١٢٥ ، واللاحظ أن هذا الباحث يشوه الحقائق أو غير متهم للطبيعة القبائلية في شبه الجزيرة العربية في هذه الفترة حيث يسمى التواجد السعودي في البوريمي بـ «الاحتلال» وكرر عن عدم هذا اللفظ باستمرار في عرضه لسياق الأحداث (الباحث) .

-٣٣- فمن ناحية توفى شريف مكة «محمد بن عون» في سنة ١٨٥٨ ، كما أن حزم الأمير تركي بن فيصل جعله يتغلب على كل معارضة متبقية من قبائل نجد والإحساء ، ومن ناحية أخرى فقد ساعدته الإطاحة بسعيد بن طحنون شيخ أبي ظبي في عام ١٨٥٥ ، وهو من أشد المعارضين لآل سعود في الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة العربية ، ثم إنقسام سلطنة مسقط بعد موت سعيد بن سلطان ، وهذه العوامل المحلية والإقليمية كانت بمثابة عوامل مساعدة للإمام فيصل بن تركي في مد نفوذه آل سعود على مساحات شاسعة في شبه الجزيرة العربية والخليج العربي .

راجع في تفصيل ذلك : لوريمير ، مرجع سابق، المجلد الأول ، من ص ١١٠-١١٨ ، ١١١-١١٣ .

-٣٤- من فيصل إلى كيمبل في ٢٤ ربيع الثاني ١٢٧٢ هـ / الموافق ١٩٥٥ يناير ١٨٥٥ .

-٣٥- لوريمير ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، من ص ٤٧٣ - ٤٧٧ .

-٣٦- مجموعة الرسائل السياسية إلى الهند الرسالة رقم ٦١ بتاريخ ٢٢ أغسطس ١٨٦٦ من بيلي إلى السكرتير العام - بومباي - في ٢٢ أبريل ١٨٦٦ (رقم ٤٢ الدائرة السياسية)

-٣٧- كيلي ، مرجع سابق ، ص ١٣٢ .

-٣٨- الواقع أن دفع الزكاة وإستمرار ذلك من جانب إمارات الساحل لآل سعود كان يعني إعترافاً بالسيادة السياسية لآل سعود على هذه الإمارات ، وقد أورد الأمير عبد الله بن فيصل نفسه عبارة الزكاة إلى المقيم البريطاني - بيلي «بتاريخ ٢٨ يناير ١٨٦٦ ، ٢١ ، ١٨٦٦ إبريل ١٨٦٦ .

٣٩- نص الرسالة التي بعث بها المقيم السياسي البريطاني في الخليج كوتون واي بيلي إلى
حكومة بومباي في ١٥ إبريل ١٨٦٩ .

٤- وكانت هذه القوة بقيادة محبوب بن جوهر السكرتير الشخصي السابق للإمام فيصل بن
تركي .



الفصل الخامس

اليمن منذ مطلع القرن العشرين

دخل اليمن ابرز تاريخه الحديث والمعاصرمنذ أن تولى أمره الإمام يحيى «المتوكل على الله» في عام ١٩٠٦م (١)، ورغم أن ترتيب هذا الإمام كان هو السابع والثمانين في قائمة الأنفة من نفس الأسرة ، إلا أنه هو الذي أعاد بناء هذه الدولة حتى أصبحت تتنسب إليه وتسمى بالدولة الموكليّة اليمنيّة.

وكانت الدولة العثمانيّة تحتلّ اليمن منذ عهد سليمان القانوني ، ودفعها إلى ذلك الإحتلال ضرورة توحيد البلاد العربيّة والإسلاميّة في جهة واحدة تحت إدارة مركزيّة ، يمكنها أن تدافع عنها أمام هجمات الأعداء ، وترد عنها أطماع الأجانب المستعمرين وكان لموقع اليمن الاستراتيجي أهمية خاصة في أعين رجال الدولة العثمانيّة، إذ أنه كان يسمح لهم بالتحكم في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، ويمكنهم بذلك من منع سفن البرتغاليين من الدخول فيه ومن مهاجمة سواحل مصر والأراضي المقدسة، كما كان يسمح لهم بإقامة قواعد على مياه المحيط الهندي ، الذي إزداد فيه خطر الإستعمار الأوروبي في ذلك الوقت وبخاصة على سواحل شرق إفريقيا وسواحل الهند الإسلاميّة وتوضّح أحداث التاريخ الحديث تلك الصفحة الطويلة من الصراع بين المسلمين ، وعلى رأسهم الدولة العثمانيّة ، وبين قوى الإستعمار التي توغلت في المحيط الهندي ، منذ مجيء البرتغاليين والهولنديين حتى مجيء الفرنسيين والبريطانيين ، ولقد حاول كل منهم الإستيلاء على مناطق في جنوب اليمن ، وخاصة في عدن أو قربها ، حتى يدعم خطوط مواصلاته ، ويفرض كلمته على الشرق ، وينفرد بإستغلال موارده ، وتوصلت بريطانيا في عام ١٨٣٩م إلى الإستيلاء على عدن في الوقت الذي إستعدت فيه لمواجهة الدولة المصرية التي أنشأها محمد علي ،

ووجد بها دول الشرق العربي وبقيت هذه القاعدة الإستعمارية عاملاً هاماً يؤثر في الموقف السياسي والإستراتيجي في العالم العربي ، ويؤثر في علاقة القوات العربية والإقليمية الواحدة بالأخرى، حتى وقتنا الحاضر .

غير أن بقاء الإستعمار البريطاني في جنوب اليمن لم يؤد إلى تدعيم العلاقات بينقوى العربية والإسلامية في هذه المنطقة : فقد حاول العثمانيون فرض «الوحدة» على اليمن ، كما أن اليمنيين حاولوا من جانبهم التخلص من الإدارة العثمانية ، وبخاصة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . فارسلت الدولة العثمانية حملات متتالية إلى هذا الإقليم العربي ، بقيادة الغازى مختار باشا ، ثم أحمد فيضي باشا ، ثم عزت الألبانى ، وسارت الحملتان الأخيرتان على اليمن في عهد الأمام يحيى في سنة ١٩٠٦ م وسنة ١٩١٠م ، فهل كانت العوامل الداعية إلى التفرقة بين العرب والمسلمين أقوى من عوامل توحيد الجبهة ، وبخاصة أمام وقوفقوى الإستعمارية على الأبواب؟

نترك الدكتور جلال يحيى يجب على هذا التساؤل الهام في تفسير غير قليل قائلًا: « كان المذهب الديني السائد في اليمن، ومنذ قرون ، يختلف عن المذاهب السائدة في الدولة العثمانية، ففيما كان المذهب الشافعى السنى هو المذهب الرسمى للدولة، كان المذهب الشيعى الزيدى هو السائد في اليمن، منذ القضاء على القرامطة في عصر الدولة العباسية، ولكن الكفاح بين أهل اليمن والدولة العثمانية لم يأخذ اللون المذهبى ، ولم يحاول اليمانيون توحيد مجهوداتهم مع غيرهم من الشيعة في مسقط أو في العراق، وبالتالي فلا يمكن إلغاء وجود المنطق، ولو بشكل بدائي برفض العامل المذهبى كأساس لتدور علاقة اليمانيين بالدولة العثمانية .

وكذلك الأمر بالعمق في أساس المشكلة الذي يستند إلى ظهور شخصية قوية في اليمن، تسعى إلى بناء دولة مستقلة الذي تنفصل بها عن جسد الدولة إذ أن يحيى بن محمد حميد الدين لم يسبغ على نفسه لقب الملك، بل ولم يحاول من جانبه بناء جهاز حكومة يسمح له بالوصول إلى ذلك.

لقد كانت الشخصية الأولى في اليمن تحفظ لنفسها بلقب «الإمام»: الإمام يحيى فالمسألة تتعلق إذن بإدارة شئون المسلمين وهذا هو أساس الاختلاف بين اليمن، وبين الدولة العثمانية وبالرجوع إلى مطالب الإمام تتضح أهمية هذا العامل وخطورته على الوضع القائم في جنوب الجزيرة العربية.

فما أن حصل الإمام يحيى على البيعة حتى أذاع منشوراً للتعبئة وللجهاد ضد الترك «الذين سعوا في الأرض بالفساد ، وتركوا الشرائع، وظلموا العباد» فرسوه الإدارة العثمانية والظلم لهما مكانهما ، وترك العمل بالشريعة الإسلامية له مقامه وما دام رأس هذه الحركة يحتفظ لنفسه بلقب الإمامة فتطبيق الشريعة الإسلامية يزيد في أهميته .

وفي هذا السياق يمكن الربط بين كفاح اليمن ضد الدولة العثمانية وبين الحركات التي انتشرت في المناطق الإسلامية الأخرى في السودان، ووسط الجزيرة ، والصحراء الليبية ، وزادت قوتها منذ أواسط القرن التاسع عشر، وجاءت نتيجة مباشرة لموافقة الدولة العثمانية على نصائح الغرب بإدخال وسائل الإدارة الحديثة في أقاليمها، وكانت الدولة الغربية تسعى للوصول إلى مرحلة تعرف بالمساواة بين المسلمين والمسيحيين وبخاصة في البلقان التي بدأت شعوبها تدخل في مرحلة «القوميات»، ووافقت الدولة العثمانية على تطبيق تشريعات وضعية ، والسير على طرق حديثة في إداراتها ، غير أن هذه «الترشيعات الوضعية» كانت صدمة عنيفة للشعوب المديدة التي لا ترضي عن

الشرعية الإسلامية بديلاً، بل ولا تقترب بشيء من يقين من خيرها . وهكذا أدت هذه السياسة إلى زيادة حقوق الشعوب المسيحية في البلقان من ناحية، وعملت على التفرقة بين المسلمين، حتى وأن كانوا من العرب، من ناحية أخرى ، وقسمتهم إلى أنصار لحررين، من بين ذوى الثقافة الحديثة، وأنصار الشريعة من بين ذوى الثقافة الإسلامية التقليدية وكان الإمام يحيى على رأس الطائفة الثانية ، والذي كان ينتمي إليه أغلبية اليمنيين في مطلع القرن العشرين .

وبالرغم من وجود البريطانيين في عدن ، فقد بدأ الإمام يحيى بالكفاح ضد الدولة العثمانية التي تركت الشرائع الإسلامية جانبًا ، ومن الثابت أن الأتراك أنفسهم قد احترموا هذا الموقف من الإمام فبعد أن نجح أحمد فيضي باشا في الدخول إلى صنعاء سنة ١٩٠٦ م طلب إلى الإمام أن يتقدم بمطالبه، وكانت طلبات الإمام تتلخص في ضرورة «تطبيقي أحكام الشريعة الفراء».. وعدم تولية أحد من غير أهل الكتاب على المسلمين ، وترك الإمام يتصرف في أمور تعين القضاة وحكام الشرع وعزلهم ومعاقبة الخائنين والمرتدين ، إقامة الحدود الشرعية على مرتكبي الجرائم من ، كما أمر الله تعالى بها، وأجرهاها رسوله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ثم أبطلها الموظفون الترك في اليمن، وكذلك في إشرافه على الأوقاف للإنفاق منها على التعليم وترك الإمام للدولة العثمانية أمر المحافظة على أمن اليمن الخارجي من الاعتداء وجباية الأموال بواسطة مشايخ البلاد ، باشراف مأمورى الدولة ، دون أن تكون له علاقة بتأستان الأموال الأميرية ، وكذلك تخصيص الرواتب للحكام ، كما طلب إعلان العفو العام في اليمن، وأعترف بسلطان الإسلام ودعا الله أن يؤيد ملكه.

غير أن الدولة العثمانية رفضت هذه الشروط ، إذ رأت فيها إنقاضاً لحقوق سيادتها وتناقضها مع السياسة التي رسمتها وحاولت تطبيقها، لإدخال

وسائل الإدارة الحديثة في أقاليمها، والدخول في «المجتمع» الأوروبي الحديث وحاولت أن تثبت للأمام أن هذه الإدارة الحديثة لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية فراسلت له وفداً لمناقشته يختلف من عشرين عالماً من علماء الحجاز، ولكن الأمام يحيى شرح لهم أن أجداده لم تكون لهم إدارة (سوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) . وإقامة الشريعة ، وتعديل المسائل، وأرشاد الجاهل، وتقرير المؤمنين وإرشاد الظالمين ثم شرح ما كان بين والده والموظفين الآتراك الذين تنوّعت معاراضيهم وأرتكبوا الشهوات ظاهراً بلا حياء وإحتشام (حتى مضى لسيله) . . . فانتصبنا لذلك المقام، ولم نقم والله لدرهم ولا لدينار) وختم باصراره على موقفه بمحاولة استئصال الحجاز إلى أرائه (ها نحن تناشدكم والله بالإسلام ، هل تجدون ناسخاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ أم هل تجدون من محرم للدفاع عن الأموال والأعراض والآنف والبنين والبنات؟ أم هل من مانع لقتال من أصياع أركان الإسلام؟ أم هل من تثرب على من إقتضى الأمر بآيات القرآن قرناً، الحجة على الأمة في كل عصر وأوان؟ الذين أوجب الله محبتهم على كل بنى الإنسان، أم هل من ناسخ لآيات ومن لم يحكم بما أنزل الله ؟

تظهر أسس الخلاف بين اليمن والإدارة العثمانية واضحة رغم وجود القوى الإستعمارية في عدن في جنوب اليمن، وإزدياد الأطماع الإستعمارية على سواحل اليمن الغربية المطلة على البحر الأحمر .

وفشلت الدولة العثمانية في الوصول إلى حل مشكلة اليمن وقامت ثورة تركيا الفتاة سنة ١٩٠٨م وجاءت تدافع عن مبادئه تزيد في تعارضها مع إتجاه اليمن عن الإتجاه السابق في العصر الحميدي ، إذ أن رجال الإتحاد والترقي كانوا يهدفون إلى الوصول إلى «توحيد» الإمبراطورية العثمانية على

أسس مركبة في الإدارة ، فيصبح الجميع عثمانيين لهم نفس الحقوق ، وعليهم نفس الواجبات ، فلا فرق بين العربي والكردي ، بل ولا فرق بين المسلم والذمي فوجدت الحكومة الإتحادية أن من واجبها القضاء على هذه «المقاومة» المعلنة في جنوب الجزيرة العربية ، وأرسلت ضدها حملة عسكرية بقيادة عزت باشا اللبناني سنة ١٩١٠ وشارك في أركان حربها كل من عصمت (إينونو) وعزيز على المصري وسليم الجزائري ، وكان على هذه الحملة أن تخضع اليمن ، وتقضى على النزعة التقليدية الموجودة فيه ، حتى يتم التقارب بينه وبين بقية أنحاء الإمبراطورية . ولكنه كان هناك عامل آخر تدخل في المسألة وفي صالح اليمن .

ذلك أن رجال الإتحاد والترقي كانوا - رغم إصرارهم على ضرورة تطبيق الإدارة المدنية يحترمون الروابط الإسلامية أعمق الاحترام ، وسرعان ما أخذوا على أنفسهم إعادة تطبيق «السياسة الإسلامية» التي سار عليها السلطان عبد الحميد في الماضي وزاد مع الأيام إقناعهم بضرورتها لإمبراطوريتهم ، وخاصة في الأقاليم الإسلامية التي لا توجد بها آية أقلية مسيحية فأخذ ضباط الحملة من الأتراك والعرب في التفاوض مع الإمام يحيى ، ووصلوا معه إلى اتفاق عقد في دعان ، احترام حقوق السيادة العثمانية ، واعترف بإستقلال اليمن داخليا ، وخاصة في شأن تطبيق الشريعة : فأصبح للأمام حق إنتخاب حكم مذهب الزيدية وإنتخاب القضاة بما فيهم أعضاء محكمة الاستئناف ، ورئيسها ، على أن تصدق القسطنطينية على هذا الإختيار وكذلك أصبح الإمام هو المشرف على جميع شئون الأوقاف والوصايا ، وأصبح من حقه إستلام الهدايا والهبات من الوفود والمشائخ ، ونصت الاتفاقية على ضرورة جباية التكاليف الأميرية (بحسب الشرع) وتعهد الإمام بدفع عشر حاصلاته للدولة .

الباب الأول

نظمت هذه الاتفاقية علاقة إقليم أو ولاية اليمن بالدول العثمانية حتى خروج تركيا من الحرب العالمية الأولى ، وإنسحابها من كل أقاليمها العربية ، واعترفت بمركز الزيدية ، ويمركز خاص للإمام يحيى في جنوب الجزيرة.

غير أن تحسين العلاقات بين الإمام يحيى والدولة العثمانية باتفاقية دان سنة ١٩١٠ لم يقض على كل الأخطار التي كانت تهدد اليمن، إذ أن قوات بريطانيا الإستعمارية كانت تستند إلى قاعدة عدن، وتحاول التوسيع منها بين مشايخ العرب ورؤسائهم في جنوب الجزيرة، وكانت منطقة العسير في شمال اليمن في ثورة معلنة على الدولة العثمانية، وبقيادة محمد الأدرسي؛ وجاء العام التالي لكي يشهد أعلان إيطاليا الحرب على الدولة العثمانية، وإرسال حملة بحرية وبرية قوية لاحتلال ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي؛ وزاد شعور إيطاليا بعجزها عن غزو هذين الأقليمين العربين ، فأرسلت وحداتها البحرية لضرب الموانئ العثمانية في الشام ومصر والجaz واليمن، واحتلت جزر الوديكانير وتدخلت في ثورة العسير.

ولقد أثارت الحرب الإيطالية التركية في طرابلس شعور العرب والمسلمين ووحدت بين صفوف أبناء الشرق الأدنى ، فزاد إقترابهم من بعضهم ووضحت المصالح المشتركة بينهم ، وظهور رجحان كفة من يعملون من أجل الرابطة الإسلامية ، ومن بينهم الإمام يحيى ، وزاد من قيمة التجربة أن محمد على الأدرسي (صاحب صبيا) تعاون مع إيطاليا ، وتسلم منها الأموال والأسلحة والذخائر ، وقبل حضور بعثة عسكرية إيطالية لتنظيم وتدريب رجاله، وإعدادهم لحاربة دولة الخلافة فلم تتدخل اليمن في هذه الحركة وبقيت موالية للدولة العثمانية ، محافظة على روابطها الإسلامية معها، واستمرت في هذا الموقف بعد أن أعلنت الحرب العالمية الأولى ، وطوال مدة هذه الحرب.

وزادت أهمية اليمن من الناحية الإستراتيجية نتيجة لوقعها الجغرافي في أقصى الجنوب العربي المجاورة لعدن ولضيق باب المندب وقريبة من الساحل الإفريقي وشعرت القيادة العثمانية وحلفاؤها الألمان بأهمية هذا الموقع فحاولت إستغلاله في مهاجمة عدن وإخراج البريطانيين منها ومن «محميات الجنوب»، وفي التحكم في مضيق باب المندب وإغلاق البحر الأحمر من الجنوب في الوقت الذي يقوم فيه جمال باشا بمهاجمة قناة السويس وقطع طريق المواصلات البحري للحلفاء من الشمال بل لقد كان في إستطاعة الأتراك والألمان أن يتصلوا لاسلكياً من اليمن بمستعمرة تنجانيقا الألمانية في شرق إفريقيا ويتعاونوا معها في مطاردة البريطانيين في كينيا وزنبار وكان في إستطاعة العثمانيين أن يتذذوا من اليمن قاعدة لإمداد محمد بن عبد الله حسن في الصومال بما يلزمها من أسلحة وذخائر ويساعدونه في حرب التحرير التي بدأها في سنة ١٨٩٨ م ضد كل من البريطانيين والفرنسيين والإيطاليين ، والأحباش في منطقة الصومال وزادت أهمية اليمن وضوها سنة ١٩١٦ م حين أشهر إمبراطور الحبشة لييج يسوع إسلامه ، وأعلن الحرب على «الحلفاء» ، وإنضم إلى دول الوسط ، وطلب إلى الدولة العثمانية أن تعترف به كأمير مسلم يحارب إلى جانبها الإستعمار الغربي ، لقد كان في إستطاعته أن يسير غرباً لإخراج البريطانيين من الخرطوم في الوقت الذي تزحف فيه قوات السلطان على دينار من دارفور على الضفة الأخرى لوادي النيل.

كان في إستطاعة الأتراك أن يحصلوا على كل هذه المزايا من قواudem في اليمن، وساعدهم على ذلك أن الإمام يحيى كان من أنصار الحركة الإسلامية التكاليفية والتقلدية ، في الوقت الذي ظهرت فيه الآراء الغربية ، الإنفصالية التحريرية ، في الشام والعراق فأرسلت الدولة العثمانية فرقتين

عسكريتين إلى اليمن ، وساعد مجيء هذه القوات على القضاء على كل أمل لدى البريطانيين في عدن أو في لندن ، لنجاح المفاوضات السرية التي حاول المقيم السياسي البريطاني في عدن أن يبدأها مع الإمام يحيى : ذلك أن الإمام قد إحتفظ بموقف سلبي تجاه البريطانيين وحتى النهاية بل لقد قامت القوات العثمانية في اليمن وبمساعدة الزيود ، بالتوغل في منطقة المحميات البريطانية في الجنوب ، ونجحت في تحرير سلطنة لحج ، ولكنها لم تقو على مهاجمة عدن نفسها ، وخاصة بعد أن نقلت بريطانيا بعض وحداتها المحاربة من مصر إلى جنوب شبه الجزيرة .

حاوت الدولة العثمانية أن ترسل إمداداً إلى اليمن ، فجهزت قوة تبلغ ٣٥٠ جندي بقيادة خيري بك ، وكان عليها أن تتعاون مع إحدى البعثات الألمانية التي ترغب في العمل في قنفدة ، وتفتح ميادين جديدة ضد قوات الحلفاء ، سواء أكان ذلك مع شرق إفريقية أو على مياه المحيط الهندي ولكن الشريف حسين علم بأمر هذه الحملة من جمال باشا ، فأعلن ثورته على الدولة قبل وصولها إلى جدة ، وأضطرت الحملة والبعثة إلى الرجوع إلى الشام.

ورغم أن إعلان الثورة قد حرم الإمام يحيى من المدد ، وقطع خطوط مواصلاته مع الدولة العثمانية ، وقضى على كل أمل له في زحزحة البريطانيين من الجنوب العربي ، فإنه لم يغير من موقف الودي تجاه تركيا : فأعطي لرجال الحامية العثمانية في بلاده ما يحتاجون إليه وقدم لهم القروض حين إنقطع وصول رواتبهم .

إضطرت تركيا إلى قبول هدنة مودروس ، وخرجت من الحرب مستسلمة بلا قيد ولا شرط فطلب القائد العام للقوات البريطانية في عدن من القائد العثماني في اليمن ومن الوالي ، التسليم والخروج برجالهم من الإقاليم وإتصل

في نفس الوقت بإمام اليمن وأبلغه ضرورة جلاء القوات العثمانية، وإدارة هذه الدولة من بلاده وحاول كل من الإمام والقائد العثماني الإتصال بالدولة العثمانية، وإبقاء القوات والإدارة في اليمن، ولكن القيادة البريطانية أصرت على ضرورة تسليم الأسلحة، والإنسحاب والجلاء فقرر القائد العثماني ترك أسلحته وذخائره ومعداته لليمنيين، وقبل أن يستقل مع جنوده الباقي التى نقلته إلى مصر، نشر بлагаً مؤكداً نهاية الحرب، وشارحاً أن سبب الإنهاز هو إعلان إخوانهم العرب من أهل الحجاز وفلسطين وسوريا والعراق الحرب على الدولة، وإشتراكهم مع العدو: (فنحن مجبون على التخلى عن اليمن، وأهل إخواننا المجاهدين، الذين إشتركونا معنا في الجهاد منذ أربع سنين، ومع أننا كنا على استعداد لبذل أرواحنا ودمائنا في سبيل المحافظة على تربة اليمن المقدسة، إلا أننا مضطرون للتقيد بتعهدات حكومة الاستانة وأوامرها.. وعلى كل فإننا نتمنى، ونحن نغادر اليمن مضطرين، لإخواننا في الدين، الإتحاد والاتفاق التام، وأن يقاوموا إستيلاء الأجانب، ويصدوهم عن بلادهم، فيكون في ذلك عزاء لنا).

وعموماً فقد دخل اليمن في طور جديد من تاريخه، وأصبح على الإمام أن يقف وحده أمام الاطماع الإستعمارية الأوروبية، وبخاصة أطماع البريطانيين وأطماع الإيطاليين، وهو ما يستدعي وقفة للتفسير:

كانت البحرية البريطانية قد هاجمت ثغر الحديد وإاحتلته قبيل نهاية الحرب، ثم قامت بتسلیمه إلى محمد علي الإدريسي، الذي إشترك في العمليات الحربية إلى جانب «الخلفاء» رغم أن الحديد هي ميناء صنعاء الطبيعي فجاء هذا العامل مضافاً إلى الاطماع التوسعية البريطانية في الجنوب الغربي، لكي يضع المصالح اليمنية في تضارب واضح مع الخطط البريطانية.



ويعلم ذلك بذاته أن الإمام البشّار عليه قدر عالي من مهاراته في فنون الأداء وبذاته
إلى أن سفينة في موريتانيا تشن - بطلب أميرها إلى الملك عبد الله ، whom تم إدراجه باسم
أبي حليف للدولة المشتركة ، وأعتبرت أن موقوفه في الحرب كان هو موقفه الحميد
ثم أرسلت إليه هدية باسم الملك جورج السادس ، هي سيارة فاخرة في عام
١٩١٩م وبصادرت في عام ١٩٢١م وأرسلت مساعد المقيم السياسي في عدن ،
يحصل الهدايا للأمام ، ويسعى الوصول إلى تسوية للمشكلات المعلقة بشأن
الحدود مع المحبيات في الجنوب ، ويهدف الوصول إلى الاتفاق والصداقة بين
القتين المتعارضتين ، ولكن هذه البعثة لقيت الصعاب في الطريق بين الحديدة
وصنعاء ، وإحتجزها الأهالي في الأسر مدة ثلاثة أسابيع ، إضطررت بعدها
إلى العودة فاشلة إلى عدن فواصلت بريطانيا مجهوداتها وأرسلت بعثة جديدة
في عام ١٩٢٢ طلبت إلى الإمام عقد معايدة صداقة مع سلطات عدن فأشتهرت
الإمام بعد المفاوضات أن تقوم السلطات البريطانية أولًا بأن تعيد إليه ثغر
الحديدة مع المناطق المجاورة له ، لأنها من أراضي اليمن ، ولأن الحديدة ثغر
صنعاء الطبيعي فقد فشلت هذه البعثة .

توفي محمد على الأدريسي سنة ١٩٢٤ وقام نزاع بين ابنه على وبين
أخيه الحسن على الإمارة ، وانتهزت اليمن هذه الفرصة وزحفت قواتها واحتلت
ثغر الحديدة وجاء كبير من السهل الساحلي للعسيرة ، ولم يوقفها إلا تدخل
ال سعوديين في أمر هذا الإقليم وهو ما سبقت الاشارة إليه في تفصيل غير
قليل (٢) .

اعتقد البريطانيون أن إستيلاء اليمن على الحديدة يقضي على الخلاف
القائم ويمهد الطريق للوصول إلى اتفاق مع الأمام يحيى ، فأرسلوا المسير
جلبرت كلايتون (٢) إلى صنعاء لحاولة إقناعه بضرورة التفاهم مع بريطانيا

بالذريعة هنا ، سلوكاً فعل معهتم الأمراء العرب ، والآن الإمام يحيى ، إشتغل أملاكه ، واعتبر أن كل زين ، ولهذا لازماً جزئياً ، لأنها ملكه ، إنما أثرها في الأسرى ، لم يعترفوا بالاتفاقيات البريطانية مع المشائخ المحليين ، ولا باتفاقاتهم حتى مع الدولة العثمانية ومكثت هذه البعثة ٢٦ يوماً في صنعاء ، وتأكدت من فشل كل مجسديواداتها وثارت مشكلة العسير حين التجأ الحسن الأديسي إلى نجد ، وطلب حماية عبد العزيز آل سعود ، وكان من الطبيعي أن يحاول الإمام يحيى الربط بين الأطماع البريطانية في الجنوب ، وفي العسير ، وبين حماية السعوديين للأدارسة ، خاصة وأن جلبرت كلايتون هو الذي سوى مشكلات السعوديين مع كل من العراق وشرقى الأردن ، وهي مناطق نفوذ بريطانيا ، فاتجه الإمام إلى دولة أوربية أخرى ، أزداد نفوذها قرب بلاده في السنوات الأخيرة ، وظاهر أنها تتنافس ببريطانيا منافسة لا غبار عليها وكانت هذه الدولة هي إيطاليا ، التي غيرت سياستها نتيجة لوصول موسوليني على رأس الحزب الفاشي إلى الحكم .

ووجدت إيطاليا أن بريطانيا قد مهدت الطريق لها في اليمن ، وذلك بموقفها في مسألة الحدود الجنوبية وفي مسألة العسير ورأت إمكانية مد نفوذها على السواحل الشرقية جنوب البحر الأحمر ، في نفس الوقت الذي تحكم فيها الأرطيريا ، على الساحل الأفريقي ، وبشكل يساعدها على التحكم في خطوط المواصلات الدولية بين الشرق والغرب عند باب المندب فأسرعت بإرسال حاكم عام ارتيريا ، مندويا فوق العادة وسفيرا ، في زيارة رسمية في أواخر شهر أغسطس سنة ١٩٢٦م ، فاكرم اليمنيون إستقباله ، ووقع الإمام يحيى معه في ٢ سبتمبر على معايدة فائقة الأهمية ، إذ أنها كانت أولى المعاهدات الدولية التي إعترفت «بمملكة اليمن» وباستقلالها وسيادتها الكاملة

غير المنقوصة وتعهدت فيها إيطاليا بعدم التدخل في شئون اليمن الداخلية، ولكن كلا من الطرفين تعهد فيها بتسهيل التبادل التجارى مع الطرف الآخر الواقع أن هذه المعاهدة جعلت من اليمن منطقة نفوذ إقتصادية لإيطاليين ، وصرحت فيها الحكومة اليمنية برغبتها فى إستيراد البضائع والآلات والفنين من أيطاليا ، وتعهدت فيها الحكومة الإيطالية بإرضاء رغبات الحكومة اليمنية فى أقرب وقت وربطت هذه المعاهدة بين الدولتين لمدة عشر سنوات.

غير أن الأمور سارت بسرعة ، فنجد من ناحية أن عبد العزيز آل سعود قد عقد معاهدة الطائف مع السيد حسن الإدريسي فى أكتوبر سنة ١٩٢٦، ووضع بها إقليم العسیر تحت الحماية السعودية ، وأبلغ هذه المعاهدة للإمام يحيى الذي إضطر إلى إداره أمره إلى قواته فى هذا الإقليم بعدم التوغل شمالا، والوقوف في الأماكن التي تحتلها .

يشتد النزاع بين البريطانيين واليمنيين من ناحية أخرى بشأن الحدود ، خاصة وأن قوات الإمام كانت قد دخلت أمارة الصالح ورفضت تركها رغم أصرار بريطانيا على أنها تحت حمايتها فأخذت طائرات سلاح الطيران البريطاني تضرب الأهالي اليمنيين في مناطق الحدود ، إرهاباً للوطنيين الذين فقدوا كثيراً من القتلى ، ومن بينهم النساء والأطفال وزاد شعور بريطانيا بالملهانة بعد أن أجبرتها روما على الإعتراف في شهر يناير ١٩٢٨ بأن اليمن منطقة نفوذ إقتصادي لإيطاليين ، لا يزاحمهم فيها مزاحم ، فأسرفت القوات البريطانية في إنتقامتها من اليمنيين ، مما أثار ثائرة الرأى العام في البلاد العربية ووصل الأمر إلى مناقشات في مجلس العموم البريطاني ، وتدخل سلطان لحج للوساطة فقادت الهدنة وبعد محاولات طويلة تمكّن البريطانيون من عقد معاهدة مع اليمن في ١١ فبراير سنة ١٩٣٤ ، وكانت معاهدة

«صداقة» إعترفت فيها بريطانيا بـاستقلال اليمن، وتعهد فيها الطرفان بالعمل على سيادة السلم بينهما ولكن المعاهدة أجلت البت في مسألة الحدود إلى أن تتم مفاوضات خاصة بشأنها ، وفي إنتظار ذلك ، تعهد الطرفان بابقاء الحالة القائمة على ما هي عليه ، وقت التوقع على المعاهدة ، ومنع قواتهما من تخطي هذه الحدود، ومنع تدخل كل منهما في شؤون الأهالي في الجانب الآخر منها وكانت المعاهدة صالحة لمدة أربعين عاما وبقيت مشكلة الحدود معلقة .

وفي تقييم هذه المعاهدة يمكن القول أنها عجزت هذه المعاهدة عن أن تحد من زيادة النفوذ الإيطالي في اليمن، رغم أنها كانت دعامة للمملكة اليمنية في مسألة الإعتراف بـاستقلالها في المحيط الدولي وكانت هذه المملكة مهددة فعلا وقت التوقيع على المعاهدة بزحف قوات السعوديين عليها من الشمال ولا يستبعد أحد المؤرخين العرب أن الإمام قد وقعها مع بريطانيا لكي يغلق باب المشكلات الجنوبية مؤقتا ، حتى يتفرغ للمشكلات الشمالية ، مع جيرانه .

بدأت المشكلات بين اليمنيين السعوديين وفي البروز عندما أبلغ عبد العزيز بن عبد الرحمن معاهمـة الحماية التي عقدـها مع الأدارسة إلى الإمام يحيـي ، وكانت حـكومـةـ الـيـمـنـ تـعـتـبـرـ هـذـهـ المـنـطـقـةـ تـابـعـةـ لـهـاـ وـتـأـلـمـ إـلـيـمـ يـحـيـيـ مـنـ قـبـولـ إـبـنـ سـعـودـ وـضـعـ الأـدـارـسـةـ تـحـ حـمـاـيـتـهـ ، بـعـدـ الدـورـ الذـىـ أـنـجـزـهـ فـىـ آـثـاءـ الـحـرـبـ إـلـىـ جـانـبـ إـنـجـلـيـزـ وـضـدـ دـوـلـةـ الـخـلـافـةـ إـسـلـامـيـةـ . وـكـانـ إـبـنـ سـعـودـ قدـ بدـأـ يـحـسـبـ لـلـسـيـاسـةـ وـشـئـونـ الـحـكـمـ حـسـابـهاـ خـاصـةـ وـأـنـ وـضـعـيـةـ الـقـوـىـ إـسـلـامـيـةـ كـانـتـ قـدـ تـغـيـرـتـ - مـنـ النـاحـيـةـ السـيـاسـيـةـ بـعـدـ الـحـرـبـ وـلـكـنـ حـاـوـلـ إـزـالـةـ مـاـ بـنـفـسـ إـلـيـمـ يـحـيـيـ ، وـحاـوـلـ الـوصـولـ مـعـهـ إـلـىـ تـفـاـهـمـ ، يـسـتـنـدـ إـلـىـ إـلـيـمـ مـنـ نـاحـيـةـ ، وـيـسـتـنـدـ إـلـىـ الـظـرـوفـ السـيـاسـيـةـ وـالـإـسـتـراتـيـجـيـةـ ، بـلـ شـئـونـ الـحـكـمـ الزـمـنـيـ ، مـنـ نـاحـيـةـ أـخـرىـ، وـأـثـبـتـ بـذـلـكـ أـنـ لـايـزاـلـ مـخـلـصـاـ لـلـروـابـطـ إـسـلـامـيـةـ رـغـمـ إـهـتـمـامـهـ بـشـئـونـ الـحـكـمـ الزـمـنـيـ (٥) .

أرسل عبد العزيز بن عبد الرحمن وفداً إلى اليمن لمحاولة الوصول إلى تسوية ، ولكن وجهات النظر كانت متباعدة بين الطرفين ، إذ أصر اليمنيون على أن إقليم العسير هو جزء من بلادهم ، وأنه ليس للأدريسي أى حق فيه ، ورفض الإمام التنازل عنه والإعتراف لأية حكومة أخرى بعلن سيادتها عليه ، بينما أصر السعوديون على أن إقليم العسير لا يدخل في نطاق اليمن ، وبالتالي ليس لأنمة الزيدية أى حق فيه ، بل هو إقليم مميز داخل حدود واضحة ، وكان تحت سلطة الدراسة الفعلية ، وإنقل إلى سيادة السعوديين ، فطالبوا بالأعتراف بهذه الحقوق ، وبجلاء اليمنيين عن المناطق التي يحتلونها في الإقليم ، ففشلت المفاوضات .

إضطر عبد العزيز آل سعود إلى إرسال وفد جديد إلى صنعاء ، لمحاولة عقد اتفاق ينص على الإحتفاظ بالحالة الراهنة على الحدود ، ومحاولة الوصول إلى أساس ترسم عليها الحدود فيما بعد بشكل نهائي ولكن هذا الوفد فشل كذلك في مهمته نتيجة لإصراره على ضم كل إقليم العسير ، بل ومنطقة نجران أيضاً ، إلى سلطة السعوديين ، وأرسل الإمام اليمن وفداً ثالثاً إلى مكة ، ولكنه فشل بدوره نتيجة لتشبث السعوديين بموقفهم في إقليم العسير ، وإن كانوا قد أكدوا للأمام يحيى عدم طمعهم في بلاد اليمن ، وملك اليمن ، فظهر الموقف في شكل أزمة بين قوتين عربيتين إسلاميتين ، ولا يمكن لأحد أن يفيد منها إلا الخصوم والأعداء ، فقادت محاولات التقارب بين وجهات النظر ، وسافر وفد من القاهرة إلى صنعاء برئاسة أحمد زكي باشا ، وحاول إقناع الإمام يحيى بالإتفاق مع السعوديين لخيرعروبة والإسلام ورغم توثر الموقف ، نتيجة لتغل بعض المشايخ الزيدية ووعظهم لذهبهم في العسير ، فقد إتفق الطرفان في شهر ديسمبر سنة ١٩٣٠ على المحافظة على الصداقة وحسن الجوار

واشتملت هذه الإتفاقية على تسليم المجرمين السياسيين وغير السياسيين ، ومن الطرفين ، ومعاملة كل حكومة لرعايا الحكومة الأخرى طبقاً للأحكام الشرعية ، ومنع الأمراء والعمال من التدخل بما قد يحدث القلق ، ويوقع سوء التفاهم بين الدولتين ، فظهر أن كلاً من الحكومتين السعودية واليمنية تسعى إلى تثبيت دعائمه في المناطق الخاضعة لها ، وتنظر من الحكومة الأخرى نفس المعاملة .

غير أن تطور الأمور داخل أراضي السعوديين أنفسهم أدى إلى نقض هذا الإتفاق الذي كان يتعارض مع واجب العرب لحماية المستجيرين بهم فقد حاول أحد رؤساء العرب أن يهاجم السعوديين في الحجاز (ابن رفادة) وإتجأ بعض رجاله ، بعد فشله ، إلى اليمن ، ثم أعلن فريق من الادارسة الثورة على السعوديين والتوجهوا إلى إمام اليمن كذلك ، وحين طلبت السلطات السعودية تسليم اللاجئين أحابيت حكومة صنعاء بأنها ستحدد مكان إقامتهم ومنعهم من القيام بأى نشاط فما كان من ابن سعود إلا أن أعلن إلغاء إماراة الادارسة وضم إقليمها إلى مملكته ، وصمم على تسوية المشكلات المعلقة مع اليمن بشكل نهائي ، فاقتصر تثبيت الحدود بين البلدين بشكل لا يتحمل التأويل والشك ، والإتفاق على التساند والتعاون في سائر المواقف الدولية ، سواء داخلية أو خارجية ، وتحديد صلات الأمراء والعمال على الحدود ، والرجوع إلى الملكين شخصياً في المسائل الهامة ، وتعهد الطرفين بأن يصبح أمرهما واحداً وكلمتها واحدة وعائلتهما كأنهما واحدة .

ووافق الإمام يحيى على بدء المفاوضات على هذه الأسس ، ولكن هذه المفاوضات كانت بطيئة ، وحاول اليمنيون فيها أن يعيدوا أثارة مسألة الدراسة وحقوق اليمن في إقليم العسيرة كله ، بينما رفض السعوديون مناقشة مسألة

اعتبروها منتهية ، وذهبوا إلى أن رفضوا الإعتراف بدخول منطقة نجران نفسها داخل حدود اليمن وضاق صبر السعوديين فاتهموا اليمنيين بالماطلة والتسويف في المفاوضات وتدخل عبد العزيز آل سعود بنفسه ، واقتصر منطقه نجران منطقة حياد بين الطرفين ، ولكن الإمام يحيى رفض هذا الإقتراح فقرر عبد العزيز بن عبد الرحمن استخدام القوة كوسيلة للضغط على اليمن وأصدر أمره بتحرك قواته وتجمعها في منطقة العسير وأدى التسويف من جانب ، والرغبة في الوصول إلى حل سريع من جانب آخر ، علاوة على تشتت كل من الطرفين بحقوقه الإقليمية في منطقة العسير ، إلى إعلان الحرب في ٢٢ مارس سنة ١٩٣٤ ، أي بعد أشهر من عقد الإمام لمعاهدته مع البريطانيين .

ومن الثابت أن مقاومة القوة لكل من الطرفين ، هي مقاومة مغلوبة إذ كانت الغلبة موكدة لل سعوديين (٦) ، أما الدول الأوروبية فإنها لم تتدخل في النزاع ، فنجد أن بريطانيا قد أظهرت عطفها على السعوديين ، كما أرسلت طائراتها إلى جزيرة القمران بدعوى حماية أرواح رعاياها ، ولكن حكومة لندن أعلنت حيادها في الحرب السعودية اليمنية (٧) ، مدعية أن لها علاقات ودية مع الفريقين المتحاربين ، أما إيطاليا فقد ظهر أنها تعطف على اليمنيين ، وأرسلت إحدى بوارجها للحديدة وحاولت إنزال بعض قواتها ، ولكن السعوديين منعواها من ذلك فأعلنت الحكومة الإيطالية أمام توغل السعوديين أنها لا تتوافق على سقوط اليمن في يد حكومة غير يمنية (٨) .

باتخذ الإمام يحيى في هذه الحرب موقفاً واضحاً بسيطاً ، هو إصدار الأمر إلى قواته بعدم الالتحام مع السعوديين ، وأعلن أنه لازال محافظاً على السلم والصداقة مع أخيه الملك عبد العزيز وإتصل بالهيئات العربية والإسلامية وبالجنس الإسلامي الأعلى في فلسطين وطلب منه التدخل وإرسال رجل

للوساطة ، فارسل المجلس الإسلامي وفد ضم هاشم الاتاسي (عن سوريا) ومحمد على عازيه (عن مصر) وشكيب أرسلان (عن لبنان) وال الحاج أمين الحسيني (عن فلسطين) وترك هذا الوفد السويس يوم ١٢ أبريل إلى جدة للوساطة في الصلح .

وبعد وصول الوفد كانت قوات السعوديين قد توغلت جنوبا بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز (٩) ، فأبرق الإمام يحيى إلى الملك عبد العزيز: (يكفي ما قد كان ، ونعود بالله من شرود المتربيصين بالإسلام الدوائر لتحقيق مطامعهم ووافق الملك على المفاوضة ، على أساس إنسحاب الجنود اليمنية من منطقة نجران ، وإعادة الدجئين والأدارسة إلى السعوديين .

وبعد المفاوضات بين الطرفين وفي حضور وفد المؤتمر الإسلامي ، وإنتهت بعقد معاهدة الطائف في ١٢ يونيو سنة ١٩٣٤م ، وإنتهت بذلك حالة خطرة بين قوتين عربيتين إسلاميتين وتذكر «مقدمة» المعاهدة أن الملكين .. «رغبة منها في إنهاء حالة الحرب التي كانت قائمة لسوء الحظ فيما بينهما وبين حكومتيهما وشعببيهما ورغبة في جمع كلمة الأمة الإسلامية العربية ورفع شأنها وحفظ كرامتها وإستقلالها (١٠) .

«ونظراً لضرورة تأسيس علاقات عهدية ثابتة بينهما وبين حكومتيهما وببلادهما على أساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة ، وحبا في تشبيث الحدود بين بلاديهما وإنشاء علاقات حسن الجوار وروابط الصداقة الإسلامية فيما بينهما وتقوية دعائم السلام والسكينة بين بلاديهما وشعببيهما .

«ورغبة في أن يكونا عضداً واحداً أمام الملامات المفاجئة وبنيانا متراصاً للمحافظة على سلامة الجزيرة العربية - قررا عقد معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية فيما بينهما

كانت معاهدة الطائف بين المملكة السعودية والمملكة المتوكية نقطة هامة



في تاريخ كل منهما وفي تاريخ علاقتهما بهم وبهضمهما وببقية الدول العربية ، وجاءت لتدعم سلطة «الدولة المسئولية» في أقليم مصر ، وإنترف السعوديون فيها من ناحية أخرى باستقلال اليمن و تمام سيادته . فهى معاهدة تتم ، من وجهة نظر السعوديين ، الإتفاقيات التى عقدت لرسم الحدود مع كل من العراق وشرق الأردن فى الشمال ونجد من ناحية أخرى أنها أظهرت اليمن فى شكل دولى واضح متميز عن غيره من الوحدات الدولية العربية ، أى أنها معاهدة تقوم بدورها فى عملية تقسيم العالم العربى إلى دول ، وتمهد بذلك لنشأة «قوميات» «عربية» « محلية» داخل هذه الإطارات الجديدة .

وجاءت هذه المعاهدة لك تتم المعاهدين السابقتين التى عقدتها اليمن من كل من إيطاليا سنة ١٩٢٦م ومع بريطانيا سنة ١٩٣٤م ولكن إذا كانت الصداقة الإسلامية والأخوة العربية قد سادت بين اليمن والمملكة العربية السعودية فإن اليمن لم يعترف بحق البريطانيين فى البقاء فى الجنوب العربى ، ولذلك فإنه قد اضطر إلى الاحتفاظ بصداقته لإيطاليا وكان مضطراً لذلك أمام تهديد الاستعمار البريطانى وتعديه على حقوق العرب وأن الإيطاليين لم يحتلوا أية مناطق من اليمن ، بل كان نفوذهم إقتصادياً ، وأمدوا اليمن ببعض المعونات الفنية والإقتصادية (١١).

حاول البعض أن يرى فى بقاء العلاقات اليمنية الإيطالية فى مستوى التعاون الإقتصادى دليلاً على ميل الإمام يحيى إلى زعماء الفاشستين وعلى وضعه لبلاده داخل منطقة نفوذهم الإقتصادى ، وساد هذا الاعتقاد وأصبح وسيلة لهاجمة إيطاليا بأنها تحقق أطماعها الإستعمارية فى المناطق القريبة من البلاد العربية سواء أكان ذلك فى حوض البحر المتوسط أو فى الحبشة ، ذلك أن موسولينى قد عمل بالفعل على زيادة سيطرته فى حوض البحر

المتوسط ، وعمل على إحتلال الحبشة وضمها للإمبراطورية الإيطالية في شرق إفريقيا ، ومع هذه العمليات الإيطالية ظهرت المطامع الإيطالية واضحة في مصر وفي فلسطين ثم في السودان واليمن وجاءت صيحات التحذير للأمام يحيى بشكل خاص من البلاد العربية التي يتتفوق فيها النفوذ البريطاني والأخلاص والولاء للصداقية البريطانية ، فكانت أكثر إرتفاعاً في العراق عنها في بقية البلاد العربية ، ولكن نظرة واحدة إلى قيمة التبادل التجاري بين اليمن وإيطاليا تثبت أن اليمن لم يصل إلى مرحلة الوقوع بين براثن «الإستغلال» الإيطالي ، كما أن نظرة ثانية لعدد الإيطاليين في اليمن ومشاركة اليمن في الأحداث الدولية تثبت أن اليمن لم يكن منطقه نفوذ سياسي إيطالي ، فلم يتم اليمن بمحاولة إخراج البريطانيين من الجنوب العربي ، ولم تعد المسألة إذن إستناد الإمام يحيى إلى نفوذ إيطاليا حتى يتمكن من الاحتفاظ بموقف «الدفاع» عن بلاده أمام الأطماع التوسيعية البريطانية ، أى الاحتفاظ بالوضع القائم ، مستوى الصفر ، بدلاً من أن تقرض فيه بريطانيا وتتخفض حالة بلاده ووضعها الدولي إلى ما تحت الصفر (١٢).

انتهت صلاحية المعاهدة اليمقية الإيطالية سنة ١٩٣٦ ووافق الإمام يحيى على تجديدها ، مما أثار ثائرة بريطانيا ضده وما ساعد على إرتفاع أصوات زعماء العرب في بغداد ، أولئك الزعماء الذين مهدوا في ذلك الوقت لتدعيم علاقاتهم مع الإمبراطورية البريطانية ، وذلك بالدخول في حلف سعد أباد ، ولكن الإمام يحيى لم يغير موقفه بين الدولتين الاستعماريتين (١٣)

وإعتقدت حكومة بغداد أن في إستطاعتها تقديم المعونة لحكومة اليمن ، وخاصة في النواحي الفنية ، وإعداد بعض الضباط اللازمين للجيش اليمني بدلاً من ترك هذا الميدان للإيطاليين ، وكان الإمام قد إنضم إلى ميثاق بغداد،

الذى نص على التعاون والتاخى بين ساكنى العراق والمملكة العربية السعودية فرحب بهذه المعونة الفنية العراقية ، دون أن يغير من موقفه تجاه بريطانيا ، أو تجاه إيطاليا (١٤).

وظل اليمن فى هذة وادحة عن بقية العالم العربى ، وساعدت صعوبة المواصلات مقلة التعليم -لى تمهله فى هذه الحالة ، وإن كان الإمام يحيى قد إحترم الوضع القائم مع البلاد العربية المجاورة ، وبخاصة مع المملكة العربية السعودية ، فإنه قد رفض الإعتراف بشرعية وجود البريطانيين فى عدن وفي الجنوب العربى ولم تكن معاهادة سنة ١٩٣٤م إلا عبارة عن هدنة فى تلك الجبهة التى أعيد فتحها بعد الحرب العالمية الثانية (١٥).

وهكذا نجد أن الإمامة تتحول في اليمن إلى دولة ، وتترى باعتراف بغيرها من القوى العربية الناشئة ، ولكنها ترفض الاعتراف بأى حق للاستعمار فىبقاء فى المنطقة فكان موقفها راديكاليا واضحا فى علاقتها مع المستنصر ، وفي إحتفاظها بحقوق العروبة الإقليمية على سواحل المحيط الهندي ، وإن كان حكمها وعلاقتها بأبناء البلاد لا تمت للقرن العشرين بصلة تذكر وصولا إلى الفترة المعاصرة حيث توحدت اليمنيتين (الشمالي والجنوب) ودخلت اليمن المجتمع الدولى المعاصر وخاصة فى العقود الماضيين بتجربة ديموقراطية فى التعددية الحزبية والتى تعتبر فى حد ذاتها تجربة جديدة فى التحديث السياسى لهذا الجزء الحيوى من منطقة الخليج العربى وبأوضاع الاستراتيجية والجيوپوليتيكية العامة .

الهوامش:

- ١- لعل من أفضل الدراسات العربية التي تناولت تاريخ اليمن الحديث والمعاصر ، دكتور جلال يحيى ، م. س. ذ. ص ص ٨٣-١٠٤ .
- ٢- راجع في تفصيل ذلك الفصل التمهيدي من الكتاب وراجع أيضاً بشأن هذه النقطة : محمد المانع ، توحيد المملكة العربية السعودية ، ترجمة الدكتور عبدالله صالح العثيمين ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ بدون مكان اصدار .
- ٣- راجع : Арнольд Дильсон ، الخليج العربي ، ترجمة عبد القادر يوسف ، الكويت ، ١٩٧٠ .
- ٤- دكتور / جلال يحيى ، م. س. ذ. ص ص ٩٠-٩٦ .
- ٥- محمد المانع ، م. س. ذ.
- ٦- المرجع نفسه .
- ٧- راجع ، كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة منير فارس ونبيه بولعكى ، بيروت ١٩٤٩ ص ص ٣٤-٤١ .
- ٨- المرجع نفسه .
- ٩- محمد المانع ، م. س. ذ.
- ١٠- المرجع نفسه .
- ١١- دكتور / جلال يحيى م. س. ذ.
- ١٢- المرجع نفسه .
- ١٣- كارل بروكلمان ، م. س. ذ.
- ١٤- Арнольд Дильсон ، م. س. ذ.
- ١٥- دكتور / جلال يحيى ، م. س. ذ.

الفصل السادس

الشيخ زايد بن خليفه

خلف الإمام فيصل بن تركي والده في عام ١٨٨٨ وراح يتفق في عام ١٨٩٦ مع الشيخ زايد بن خليفه على أن يدفع له «فارزة» أو جعلا سنوياً قدره ثلاثة ألف ريال مقابل الحفاظ على السلام والأمن في مناطق الحدود الشمالية من أراضي السلطان . (١) وظل بنو نعيم على أى حال يتلقون مساعدة سنوية من السلطان العثماني .

وظل الشيخ زايد بن خليفه في وفائه لالتزاماته التي تحملها تجاه الدولة العثمانية يعمل بالتعاون مع والى السلطان في صحار سليمان بن سوileم ، ولقد دعي في عام ١٨٩٩ إلى استخدام نفوذه مع قبائل الظاهره ، لحملها على تسوية بعض الخلافات التي نشبت بينها وبين السلطان ، ولقد تصرف زايد عن طريق أحمد بن هلال الذي كتب إليه في شهر إبريل من ذلك العام يقول . . .

«أبعث إليك ببعض الرسائل الموجهة منا إلى السلطان السيد فيصل وإلى واليه ابن سوileم فإذا كانا يعتزمان الوصول إلى تسوية للمشكلات القائمة بينهما وبين أهل الظاهره وكانا يرغبان في وساطة عادلة ، فهذا هو الخير كل الخير ، وفي وسعك أن تلتزم الجانب الذي تراه مناسباً حسب تجاربك ، وحاول أن تقلل من إنتهازية أهل الظاهره وأقنعهم بالرضى عن كل ما قد يقدمه إليهم السيد فيصل طوعاً ، وأنت تعرف أن أهل الظاهره يميلون إلى إهاب الفرصة التي يتيحها لهم أى وضع من الأوضاع ، أما إذا كان السيد ينشد أهل الظاهره ، فلا بد من إعادة النظر في الموضوع كله ، هذه هي المهمة التي لابد من درسها ، وعليك أن تتخذ قرارتك فيها (٢) .

وغضب البوشمير من أهل منطقة البريمي في عام ١٩٠٢م لعدم

تسليمهم مخصصاتهم المعتادة من السلطان ، فأنغاروا على ساحل الباطنة وتعهد زايد بأن يعيدهم إلى أماكنهم ، وكتب إلى أحمد بن هلال في شهر سبتمبر يقول ..

« لابد من إبلاغك بأننا طلبنا إلى شيخوخ البوشميسيس إعادة ما نهبه رجالهم من ساحل الباطنة وتضمن طلبنا أيضاً أن يمنعوا جماعتهم من مهاجمة الباطنة .. ووعدناهم بأن نعمل لصلحتهم بالنسبة إلى ما يتلقونه من معونة مالية من السيد .. ونود أن نوضح للسلطان ولواليه سليمان ابن سويلم الحاجة إلى مواصلة إعانته البوشميسيس ، إذ إنهم يعتمدون على الله وعليينا وسيظل الوضع على هذا النحو إذا شاء السيد فيصل بن تركى أن يحلنا من مسؤوليتنا عنهم وإذا شاء ذلك فيه الخير » (٢)

عاد البوشميسيس ثانية إلى الإغارة على ضواحي صحار في صيف عام ١٩٠٥ م مصحوبين بالمقابيل الذين يعيشون في ضواحي وادي الجزيء وتدخل الشيخ زايد في يوليو ببعث بولده خليفة مع أحمد بن هلال ، لإجبار البوشميسيس على الإنسحاب وكانت أوامره إلى أحمد بن هلال كما يلى . . .

« إذا كانت المداع التي أثارها المقابيل والشواميس التابعون لسيف بن سلطان في قرى صحار لا تزال قائمة فإن على أخيك خليفة أن يمضي إلى هناك تنفيذاً لأوامرنا للتوسط بين الجانبين وكل مانبلفك إياه ، ونطلب منك عمله ، أن تصاحب ولدنا خليفة في هذا العمل ، والمطلوب منك أن تفعله أيضاً . أن تبذل قصارى جهودك لتسليم جميع الرسوم المطلوبة من المعينين » (٤)

ومن الثابت أن العبارة الأخيرة كانت تشير إلى « الفارزة » التي كان السلطان يدفعها إلى زايد ، وذلك لأن مساعدة الوالى في صحار كتب في شهر

سبتمبر إلى أحمد بن هلال يقول . . . « نود أن نبلغك أن «والد» الوالي سليمان بن سويم قد أمرنا بأن نبعث إليك بـ ألفي ريال ، وهو المبلغ الذي يدفع عادة إلى الشيخ زايد ونحن نأمل في أن نصل إليك قريبا ، وسننقل إليك شفهياً مانود قوله (٥) .

سافر النقيب بن كوكس الذي أصبح فيما بعد السير برسى كوكس إلى البريمي والظاهرية من الساحل المتصالح في عام ١٩٠٢ عندما كان معتمداً سياسياً في مسقط وذكر كوكس فيما بعد أن الشيخ زايد ابن خليفة « أصر على أن أصبح خليفاً على حاكم مسقط » (٦) ووجد كوكس ابن رحلته أن نفوذ الشيخ زايد أكبر بكثير في منطقة الظاهرية العمانية كلها من نفوذ سلطان مسقط وأن هذا النفوذ كان يمارس كما يستطيع كل إنسان أن يحكم في مصلحة المسلام العام (٧) « وعاد كوكس بعد ثلاثة سنوات وبعد أن غدا وكيل للمقيم البريطاني العام في الخليج إلى زيارة البريمي وتنقل كما في المرة السابقة تحت حماية زايد بن خليفة الذي كتب إلى أحمد بن هلال قبل أن يتجه كوكس إلى الداخل في شهر ديسمبر من عام ١٩٠٥ يقول :

« وصل سعادة المقيم السياسي إلى هنا في السادس من الشهر ، ولقد أجرينا معه بعض المحادثات وبيدو أنه يعتزم السفر إلى منطقة « الجو » في البريمي عن طريق رئيس الخيمة ونطلب إليك أن تمضي عند وصوله بإذن الله لاستقباله ومن المحتمل أن يرغب في الذهاب إلى الباطنة وصغار وعليك أن أبدى مثل هذه الرغبة أن ترافقه مع من يروق لك إختيارهم من جماعتنا ونحن نأمل في أنك لن تتولى عن تنفيذ طلبتنا » (٨) .

وصل كوكس إلى البريمي قادماً من رئيس الخيمة في نهاية الشهر وكتب فيما بعد الوصف التالي للواحة .

« ودخلنا البوريمي في هذه الرحلة من الشمال الغربي ، عن طريق القرية الحديثة التي أقامها بنو ياس والمسماة بالسعودي وكان الولد الأكبر لشيخ أبي طبى في مقدمة الركب ، ونصبنا خيامنا في قرية القيمي ، لأن هذه القرية أقرب من غيرها إلى قلب الواحة ، ومناسبة كنقطة للتجول في ربوعاً عندما يتحدث المرء عن البريسي ، فإنه لا يعني القرية التي تحمل هذا الإسم وإنما يعني الواحة كلها والتي تضم عشر قرى منفصلة ، تقع في خط دائري تقريباً بحيث يبلغ قطر الدائرة نحوً من ستة أميال . ولقد أطلق إسم البريسي على الواحة كلها لأن القرية التي تحمل هذا الإسم هي أقدم القرى في الواحة كلها وهي مقر بنى نعيم ، الملوك الأصليين للواحة ، وفيها الحصن المربع المأهول المبني من الأجر المجفف عن طريق الشمس مع برج في كل زاوية . . . وتقع مياه القرية في عدة «أفلال» أو أقبية تحت الأرض تسيل من التلال الواقعة إلى الشرق ، مع قناة أخرى أو قناتين تمتدان من جبل حفيت وبالرغم من أن التربة ليست كثيفة إلا أنها في غاية الخصوبة ، وتشير الحسابات إلى أن في الواحة أكثر من ستين ألف شجرة من أشجار النخيل ، بالإضافة إلى ما في المنطقة من ثمار وخضار وتتركز التجارة إلى حد ما مع صغار الواقعة على الساحل إلى الشرق ولكنها تحولت الآن إلى الشارقة ودبي ، وقد أصبحت الأخيرة الميناء الذي تتوقف فيه بواخر الشركة البريطانية الهندية ، ولا توجد في البوريمي أسواق من الطراز المعروف في أشراق ، إذ أن معظم التجارة المحلية تجري في شكل مقايضة وفي أسواق مكشوفة في العراء ، تقع في حي خدامة في قرية البوريمي بمنازل شيخ بنى نعيم ، وإن كانت القبيلة قد فقدت مركزها كأقوى القبائل في الواحة يتمتعون بمكانة خاصة بالنسبة إلى تاريخهم السابق أما السلطة الفعلية في الأماكن القرية المجاورة فقد غدت في يد شيخ



أبي ظبي ، الذي تتزايد ممتلكاته المادية ونفوذه وبالتالي في الواحة سنة بعد أخرى .

اجتمع الحكمان مع المقيم السياسي الرائد كوكس في ديسمبر ١٩٠٥ وبعث كوكس بتحذير إلى ابن سعود عن طريق شيخ الكويت من أن أى تدخل من جانبه في شؤون ساحل عمان المتصالح لن يجد ترحيباً من الحكومة البريطانية ورد ابن سعود على هذا التحذير في شهر فبراير من عام ١٩٠٦ بالرسالة التالية : عن طريق مبارك شيخ الكويت .

ـ « نعرف سعادتك من قبل أن أهل عمان كانوا على إتصال بنا منذ الأيام التي كنا فيها في الكويت - وكنا نبعث إليه بالكتب والرسائل ولكننى أقسم بالله أننا لم نكن مدفوعين إلى ذلك بأية عوامل أو حواجز أخرى . ونحن لم نشر في هذه الرسالة إلى أية شؤون نرى فيها أى ضمير ، إلا إذا كانت قد وقعت ببعض أمور لم نهتم بها فوالله لم نكن نقصد أى ضرر أو أذى (٩) . »

لم يقم ابن سعود بعد هذه الإتصالات بأى تحرك باتجاه ساحل عمان ، نظراً لافتقاره إلى أية موارد تمكنه من القيام بأية مغامرة خارج حدود نجد يضاف إلى هذا كان راغباً في عدم إغتصاب السلطات البريطانية في الخليج في هذه المرحلة وكان قد عرض على بريطانيا إقامة علاقات ودية معها في عام ١٩٠٢م وعام ١٩٠٤م أيضاً ، عندما كان هناك خطر إحتلال الأتراك لمنطقة القصيم في نجد .

غير أن هذه العروض لم تلقى نجاحاً في المرتين ، فعاد في عام ١٩٠٦م ، وبعد إحتلال الأتراك للقصيم في السنة السابقة فتقدم بطلب أكثر جداً من سابقيه وبالرغم من أن الأتراك قد عينوا أباًه عبد الرحمن قائماً على نجد ، فإن ابن سعود كان يطمع في طرد الأتراك من كل القصيم والإحساء ولو

أفلح في إخراج الأتراك من الإحساء وإستعادتها ، فإن هناك إحتمالاً بأن يشن هؤلاء هجوماً مضاداً بطريق البحر وتقدم ابن سعود بعرضه ثلاث مرات على المقيم السياسي في عام ١٩٠٦م وقد حمل أحدها رسول شخصي وتوسط في ثانيتها شيخ قطر وفي ثالثتها شيخ الكويت ، وكان في هذه العروض يطلب إشراكه في نظام الإمارات المتصالحة وكن راغباً ، إذا قبل طلبه ، في أن يقبل بوجود معتمد سياسي بريطاني في بلاده وأن يقيم إرتباطات شبّيه بتلك التي تربط الشيوخ المتصالحين المتعلقة بالقرصنة وتجارة الرقيق والحروب البحريه وعدم التفريط بأى أرض إلى دول أخرى ، وسيطرة بريطانيا على شؤون بلاده الخارجية ولكن بريطانيا رفضت هذه العروض ، لأنها كانت تخشى أن يؤدى قبولها إلى أرباك علاقاتها مع الباب العالى من ناحية ، وولأن ابن سعود لم يكن في مركز يمكنه من الدخول في أية إلتزامات تجاه جيرانه أو حتى تجاه نفسه .

ظل زايد بن خليفة حتى اليوم الأخير من حياته في عام ١٩٠٩م، يحتفظ بسلطته على الأقسام الساحلية والشمالية من عمان ، ولقد أوضحت ما سبقت الإشارة إليه الطبيعة المطلقة لصلاحياته في المناطق الواقعة بين الصفرة والظاهرة ، وهي الصلاحيات التي لم تتعرض للتحدي في السنوات الثلاثين الأخيرة من حكمه ، باستثناء هجمات شيخ قطر على ليوا في ثمانينيات القرن الماضي ، وعوده آل سعود إلى الحكم في نجد في نهاية القرن ولم يسبق لأى من حكام البوفلاح أو غيرهم من شيوخ الساحل، إن مارس نفس السلطان التي وصل إليه زايد في شرق الجزيرة العربية ولا يرجع السبب في هذا إلى شخصية الشيخ زايد وكفايته وحدهما ولا إلى الظروف المحددة لهذه الفترة كعدم وجود قوة وهابية قوية في نجد ، وإنما يرجع إلى أن أبا ظبي كانت دائمًا القوة الإقليمية القيادية بين مشيخات الساحل ، فلقد كانت رأس الخيمة والشارقة ودبى من الإمارات البحريه الخالصة وكانت مواردها توجد في سفنها وفي الرجال الذين يبحرون فيها .



الهوامش:

- ١- لوريمر - دليل الخليج - ص ٧٤٧ - المجلد الأول .
- ٢- جي . بي . كيلي الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية وتصويب خبرى حمادة - مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧١ .
- ٣- مذكرة المملكة المتحدة - الجزء الثاني - الملحق (ب) رقم ٦ من زايد إلى أحمد بن هلال ١٧ جمادى الثاني ١٣٢٠ سبتمبر ١٩٠٢ .
- ٤- مجموعة الظواهر - من زايد إلى احمد بن هلال في ١١ جمادى الأول ١٣٢٣ .
- ٥- مذكرة المملكة المتحدة - الجزء الثاني - الملحق ورقم ٧ من يوسف ابن سعيد الهمري إلى أحمد بن هلال في ٤ رجب ١٣٢٣ .
- ٦- مقال بعنوان «بعض الرحلات في عمان» - المجلة الجغرافية العدد ٦٦ من ٢٠٠ .
- ٧- مذكرة المملكة المتحدة - الملحق ب رقم ٢٥ من كوكس إلى السكرتير السياسي لحكومة الهند في ١٨ يناير ١٩٠٤ (رقم ١٧٦) - راجع المذكرة السعودية - الجزء الأول الفصل الرابع - الفقرة ٢٩٧ إذ تقول «لم يكن هناك في المنطقة الداخلية الممتدة من أبي ظبي إلى ماءراء عبرى أى موظف سياسي يمثل أبو ظبي أو مسقط ، ولم تكن هناك أية إشارات إلى وجود سلطة سياسية لهما هناك ، وبالرغم من أن المذكرة السعودية تنسب هذه العبارة إلى مقال كوكس في المجلة الجغرافية ، إلا أنه لا وجود مطلقاً مثل هذه العبارة أو ما يشابهها في المقال .
- ٨- مذكرة المملكة المتحدة - الجزء الأول ص ٣٦ من زايد إلى أحمد بن هلال في ١٠ شوال ١٣٢٣ .
- ٩- مذكرة المملكة المتحدة - الجزء الثاني - الملحق د رقم ١ من التقيب نوكس المعتمد السياسي في الكويت إلى كوكس في ٢٥ فبراير ١٩٠٦ ، ينقل نص رسالة ابن سعود إلى الشيخ مبارك .

الباب الثاني

تغيرات إقليمية جذرية

الفصل الأول: الحدود الشرقية

الفصل الثاني: التشريف حسين

الفصل الثالث: الملك عبد العزيز

الفصل الرابع: خد والكويت

الفصل الخامس: الخلل في توازن القوى الإقليمية

الفصل الأول

الحدود الشرقية

شهدت الفترة اللاحقة على عام ١٩٠٩ العديد من المفاوضات حول ترسيم الحدود، حيث قاد الأمير عبد العزيز آل سعود هذه المفاوضات مع الأتراك، وتبصر الحدود الشمالية لسنجد نجد العثماني عند خط الحدود الذي ينتهي في الجنوب عند الخليج الذي يواجه جزيرة الزخنونية التي تتبع السنجد وهناك فاصل في أقصى الأجزاء الدنيا من الخليج ويمتد مباشرة إلى الجنوب حتى الرابع الخالي ويفصل نجد عن قطر. بحيث تتخلص الحكومة السلطانية العثمانية عن كل أدعاء لها في أراضي قطر، وأصبح من المفهوم لدى الدولتين أن قطر هي التي كان يحكمها الشيخ جاسم آل ثاني وخلفاؤه من بعده.

وتشير الوثائق البريطانية حول الميثاق الإنجليزي - التركي في ٢٩ يوليو ١٩١٣ المادة ١١ أن الحكومتين العثمانية والبريطانية شرعنما في صيف عام ١٩١١ في سلسلة طويلة من المفاوضات حول عدد من القضايا ومنها القضية المتعلقة بإنشاء سكة حديد بغداد واحتمال مدتها إلى رأس الخليج حيث قررت الحكومتان القيام رسمياً بتحديد مناطق نفوذهما في منطقة الخليج وأثمر هذا القرار عن ميثاق التاسع والعشرين من يوليو من عام ١٩١٣ وهو ما يستدعي وقفة للتفسير والتحليل.(١)

فقد كان هذا الميثاق معيناً بصورة خاصة بالكويت وقطر. ونصت المادة الأولى من علي اعتبار الكويت قضاء في الإمبراطورية العثمانية. وتخلص الباب العالي عن كل حقوق له في قطر، إن أقصى حدود السلطة العثمانية في شرق الجزيرة العربية لا تعود الحدود الشرقية لسنجد نجد. ورسمت هذه الحدود في خط يبدأ على ساحل الخليج إلى الغرب من قطر من جزيرة الزخنونية وممتدًا إلى الجنوب إلى الرابع الخالي. ويسير هذا الخط بصورة تقريبية في أواسط صحراء الجفورة. ولقد أسمى هذا الخط آنذاك بالخط الأزرق.

وبينما كانت المفاوضات تدور لعقد هذا الميثاق أو الاتفاق، كانت الأحداث تجري في شرق الجزيرة العربية تسير بشكل مخالف ، فلقد انطلق الأمير السعودي الشاب في شهر مايو من عام ١٩١٣ ، من نجد وطرد الحامية والادارة التركيتين من الاحساء، وأعلن أنه سيحكم هذه المنطقة مباشرة وترك بن سعود يوضح ذلك قائلاً: «وها نحن استولينا اليوم على بلاد آبائنا وأجدادنا في الاحساء والقطيف، وملحقاتها».

وبعث برسالة إلى برسي كوكس المقيم السياسي في الخليج في الثالث عشر من يونيو قائلاً: «وبالنظر إلى مشاعري الودية تجاهكم، أود أن تكون علاقاتي معكم كالعلاقات التي كانت قائمة بينكم وبين أسلافني، كما أود أن تظل قائمة بينكم وبيني». وأشار بن سعود أيضاً إلى العديد من الالتزامات بعدم الإغارة على أو الضرار بالامارات الساحلية المتحالفة مع بريطانيا العظمى، ومضيفاً «وأنني أرغب في إقامة مثل هذه العلاقات على النحو الذي كانت قائمة فيه بينكم وبين أسلافني، وأن هذه الحقيقة هي التي دفعتني مثل هذه الاشارة» . ولم يجب كوكس على هذه الرسالة إلا في ١١ من سبتمبر عندما كتب يقول ... (٢)

«أنا مخول من حكومتي أن أؤكد لك، أنك إذا تعهدت من جانبك بالإمتناع عن كل عمل يؤدي إلى اضطراب الوضع الراهن أو إلى خلق القلق لدى الإمارات العربية التي يرتبط حكامها بالحكومة البريطانية في علاقاتهم، وبينها أمارة قطر، التي اعترفت الحكومتان البريطاني والتركي مؤخراً باستقلالها تحت حكم المرحوم الشيخ جاسم وخلفائه من آل ثاني. فإن الحكومة البريطانية ستواصل الحفاظ على العلاقات الودية التي كانت قائمة في الماضي». وهو ما ذكرته وزارة الخارجية البريطانية في الملف ٣٧١ / ١٨٢٠ .

٦ / ٢٢٠ من كوكس إلى ابن سعود في ١١ سبتمبر ١٩١٣ .

ويرى جون فيليب أن ابن سعود أثار للأراك شيئاً من القلق في مشيخات الساحل، وتضمن تقرير من الساحل المتصلح في صيف عام ١٩١٣ ما يلي «تشاور شيخاً أبي ظبي ودبي اللذان يمتنان إلى نفس القبيلة، وكان الأول قد حصل على وما يزال يحتفظ بموقف متفوق في البوريمي وهو على ثقة بأن النشاط السعودي سيتجه الآن إلى هذه الناحية.

ويشير كيلي(٣) في كتابه «سلطنة عمان وأمامتها» أن الأضطراب ساد عمان، بعد أن اعلنت قبائل عدة الثورة على السلطان، واتحدت كلية تميمية ببني ريام في الجبل الأخضر وهو أقوى شيوخ الفواريين وتميمية قبيلة بني الحirth وهو في الوقت نفسه زعيم بني هناء على انتخاب سالم بن راشد الخروسي في شهر مايو من عام ١٩١٣، إماماً للاباضيين وكما أن ابن سعود مشغولاً في تأسيس سيطرته على الامصار، مما حال بينه في الاشهر القليلة التالية وبين اغتنام فرصة الأضطرابات السياسية في الجنوب الشرقي، وتشمير وثائق وزارة الخارجية البريطانية أن : الاتفاق كان قد تم عن توقيع الميشاق التركي - البريطاني في ٢٩ يوليو على ان تنسحب الحامية التركية من قمار فور ابرام الاتفاق، واقتصرت وزارة الخارجية البريطانية على وزارة الهند في شهر اكتوبر من عام ١٩١٣ ما يلي: «يجب اصدار التعليمات إلى السير برسبي كوكس بأن يوضح لأبن السعود، الذي سيفهم الرسالة ويقدرها حتماً، بأن اتفاقنا مع تركيا سينفذ طبعاً بعد فترة قصيرة من ابرامه، وان حكومة جلالته تتوقع أن يتم هذا الابرام قبل انتهاء العام الحالي»(٤).

وأضاف الاقتراح أن الابرام يعتمد على انتهاء المفاوضات بين الحكومة العثمانية وبين شركة سكة حديد بغداد ... ولا يمكن أن يعتبر الاتفاق الانجليزي - التركي نافذ المفعول قبل انتهاء هذه المفاوضات».

الفصل الأول

صدرت التعليمات إلى الهند بضرورة قيام كوكس بإبلاغ ابن سعود بأنه إذا أثار هذه القضية فإن الاتفاق الإنجليزي - التركي سينفذ بعد فترة قصيرة من إبرامه. ولكنه أى ابن سعود لم يبدي اهتماماً خبيراً بالاتفاق بعد أن أبلغه كوكس عن وجوده في رسالته، وذلك لأن اهتمامه في النصف الأخير من عام ١٩١٣ انصرف إلى تسوية علاقاته مع الباب العالي على أساس ثابت.^(٥)

عرض بن سعود في عام ١٩١٣ على المعتمدين السياسيين البريطانيين في الكويت والبحرين في اجتماع له معهما في العقير مسودة الاتفاق بينه وبين الباب العالي. وتوضيح وثائق الخارجية البريطانية أن المفاوضات بين بن سعود مع الباب العالي قد انتهت في الخامس عشر من شهر مايو من عام ١٩١٤ بالسيادة العثمانية على نجد والاحساء بتعيينه والياً عثمانياً علي أن يرثه في الحكم أولاده وأحفاده. علي أن لا يتدخل أو يتعامل في الشؤون معاهدات دولية أو يمنح أي امتيازات إلى الأجانب وليس من حق ابن سعود أن يعقد أية مواشيق أو يقيم أية ارتباطات مع الدول الأجنبية.

وعليه في جميع الأحوال أن يحترم جميع المعاهدات المعقودة بين الإمبراطورية العثمانية والدول الأخرى.

غير أن الخلافات بين الحكومتين البريطانية والعثمانية استمرت طوال عامي ١٩١٣ ، ١٩١٤ دون الوصول إلى نتيجة مرضية. حتى نشب الحرب بين بريطانيا والأمبراطورية العثمانية في ٢١ أكتوبر من عام ١٩١٤ . وأرتضي الباب العالي بالخط الأزرق كالحدود الصحيحة لملكاته في شرق الجزيرة العربية، وعقد في التاسع من مارس من عام ١٩١٤ معاهدة أخرى لحدودات الأماكن التي تمارس فيها السيادة العثمانية في الأقسام الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية. وقد تضمنت هذه المعاهدة اشارة واضحة إلى الخط الأزرق. وابرم الحكومة العثمانية هذه المعاهدة في الخامس من يونيو من عام ١٩١٤

وتضمنت أنه في الجنوب الغربي يسير خط حدود الممتلكات العثمانية في شكل خط مستقيم من المكان المسمى بكلمات الشعوب متوجهًا إلى الشمال الشرقي يقدر بخمس وأربعين درجة حتى الخالي إلى خط الدرجة ٢٠.

وتم إبرام معاهدة عام ١٩١٤ بعد بضعة أيام من التوقيع على اتفاقه مع الباب العالي باحترام المعاهدة واحترام الخط الأزرق الذي تم النص فيه على ابن سعود يحكم المنطقة بموجب معاهدة عام ١٩١٤، وأن الخط الأزرق كان يتفق مع سلطته الفعلية في الشرق. ويقول واضعو المذكرة السعودية أن ابن سعود قد انفصل عن السيادة العثمانية من الناحية الفعلية نتيجة طرده للأتراك من الأحساء عام ١٩١٤ وأنه صاحب الصلاحية في التعامل بالنسبة إلى المناطق التي يمر فيها الخط الأزرق طالما أن معاهدة الخامس عشر من مايو من عام ١٩١٤ قد أكدت أن ابن سعود اعترف بسيادة المعاهدات الخاصة بهذه المناطق.

وتجدر الإشارة إلى أن نشوب الحرب في خريف عام ١٩١٤ لم يؤثر تأثيراً مادياً في موقف ابن سعود في شرق الجزيرة العربية حيث حضر اهتمامه طيلة الحرب في أضعاف سطوة منافسة في الشمال ابن الرشيد الذي كان يعتبر من أشد أنصار الأتراك نشاطاً في الجزيرة العربية وتلقى ابن سعود في مشروعاته هذه العون من الحكومة البريطانية التي أخذت تدفع له مساعدة شهرية قدرها خمسة آلاف جنيه استرليني، ولكنه على أي حال كان يتوقع من الحرب شيئاً أكثر من هزيمة ابن الرشيد. ويقول جون فيلبي أنه كان «يتطلع قبل كل شيء إلى ضرورة التحالف مع بريطانيا كالضمانة الوحيدة للأمينة لصالح بلاده وشعبه حاضراً أو مستقبلاً».

ويعبّارة أخرى فإن ابن سعود كان يريد الاعتراف باستقلاله. ولقد حق ما هدف إليه إلى حد ما في المعاهدة التي عقدها مع السير برسى كوكس في

جزيرة قاروت المواجهة للقطيف في ٢٦ ديسمبر ونصت المادة الأولى من هذه المعاهدة على:

«أن تعترف الحكومة البريطانية وتقر بأن نجد والاحساء والقطيف وحبيل، وملحقاتها وأراضيها، وهي موضوع البحث والتقرير في هذه المعاهدة وموانئها علي شواطئ الخليج هي ممتلكات ابن سعود وأسلافه من قبله، ولذا فهي تعترف هنا بابن سعود المذكور حاكماً مستقلاً لهذه المناطق» وهو ما أورده انشيسول في كتابه «مجموعة المعاهدات والاتفاقيات». وتعهد ابن سعود مقابل ذلك كما سبق الإشارة للشيخ المتصالحين بعدم الدخول في أية علاقات مع الدول الأجنبية وبعدم التخلی عن أي من أراضيه بدون موافقة الحكومة البريطانية واستخرك العرض الذي كان قد قدمه الي كوكس في عام ١٩١٣، ١٨٦٦ بتتحديد الإلتزامات التي كان قد قطعها عبد الله بن فيصل في عام وارج في المادة السادسة من المعاهدة أن «يتعهد ابن سعود كما تعهد أباوه من قبله بالامتناع عن كل اعتداء أو تدخل في أراضي الكويت والبحرين ومشيخة قطر وساحل عمان لأنها كلها تحت حماية الحكومة البريطانية وأنها ترتبط مع هذه الحكومة بعلاقات تعاونية وهي التي ستقرر حدود ممتلكاتها فيما بعد

خرجت سلطنة نجد في نهاية الحرب العالمية الأولى وهو ما أورده انشيسون في كتابه كدولة وارثة للسلطنة العثمانية. وتم وضع حدودها مع دولة العراق الجديدة في بروتوكول ملحق بمعاهدة الحمراء المعقودة في الثاني من ديسمبر من عام ١٩٢٢ تم التوقيع على معاهدة الحمراء نفسها في الخامس من مايو من عام ١٩٢٢ وإن لم يتوصل الاتفاق على الحدود النجدية - العراقية إلا في شهر ديسمبر التالي، كما تم وضع الحدود مع الكويت في معاهدة العقرية التي وضعت في نفس التاريخ . أن المعروف لدى فريق من المؤرخين أن بن

سعود وكوكس اللذين أجريا مفاوضات العقير كانا متتفقين ضمنا على أن الخط الأزرق الذي نصت عليه الإتفاقيات الإنجليزية - التركية السابقة هو الحد الفاصل في الشرق لسلطنة نجد غير أن الحكومة السعودية قد ألغت ذلك فيما بعد وهو ما يستدعي وقفة لتفسير وتحليل قواعد القانون الدولي في معاهديتي المسرة والعقير كما أوردها أوبنهايم. كانت حدود الكويت حتى توقيع معاهدة العقير، هي تلك التي تم الوصول إليها في معاهدة عام ١٩١٣ . ولم يكن في الإمكان تغيير ذلك إلا باتفاق بين الحكومتين العثمانية والبريطانية .

ولقد بين ابن سعود بتفاوذه على حدود بلاده مع الكويت ، مع الحكومة البريطانية، موافقته على هذا المبدأ . وأقر بمركزه القانوني كوارث للإمبراطورية العثمانية ، وأن قواعد القانون الدولي ترى أنه وارث للسيادة العثمانية على نجد والإحساء ، وأنه أصبح ملزما باحترام الإلتزامات التعاهدية للباب العالي بالنسبة إلى حدود هذه المنطقة ، واعتبر أوبنهايم أن «الوراثة تحدث بالنسبة إلى الحقوق والواجبات الدولية التي كان السلف يملكتها أو يقبلها كالالتزام ، والمتعلقة محلياً بجزء من الأراضي المقسمة أو المتخلية عنها . وكان الخط الأزرق قد أكتسب الصفة القانونية كالحد الشرقي لسنجد نجد العثماني في المادة الثالث من المعاهدة الإنجليزية - التركية في التاسع من مارس من عام ١٩١٤ والمبرمة في الخامس من يونيو من نفس العام . بات ذا الخط التزاماً دولياً يرتبط محلياً بنجد والإحساء ، وأصبح فيما بعد مفروضاً على ابن سعود . ويري فقهاء القانون الدولي أن المراً «يجد كثير في البحوث التي تعالج الأنظمة الإقليمية عنواناً علي سبيل المثال لبحث عن تنظيم الحدود . والرأي مجتمع علي اعتبار أمثال هذه البحوث متعلقة أيضاً بنظام السيادة الجدد علي الممتلكات موضوع البحث». ولقد وصف بن سعود في ديباجة المعاهد الإنجليزية السعودية المعقودة في السادس والعشرين من ديسمبر من عام ١٩١٥ ، نفسه

واعترف به طبقاً لذلك في المادة الأولى من المعاهدة كحاكم نجد والإحساء والقطيف وحبيط والبلدان والموانئ التابعة لها. وقد ورد ذكر الخط الأزرق في مفاوضات العقير في عام ١٩٢٢، ودون أن تصدر عنه أية إشارة إلى أنه يعتبر هذا الخط حدوداً شرقية له. وليس ثمة ما يبين في الواقع أنه لم يكن على علم بذلك وفيما بعد واجبة في إحترام هذا الخط..(٦)

تركز إهتمام ابن سعود في السنوات التي تلت عام ١٩٢٢ في محاولة الإطاحة بالأسرة الشرفية في الحجاز، ومحاولاته فرض إعادة النظر في الحدود مع العراق والكويت بمساعدة الإخوان ل القيام بهذه المشروعات، وهم يمثلون العناصر الأكثر قدرة على الحرب من رجال القبائل البدوية والذين جمعهم في قري أو «هجرات» وأشربوا روح الولاء التام لشخص ابن سعود والوهابية كحركة أصلادية وكتب ديسكون في كتابه عرب الصحراء، قاتلاً الذين أبنتهم عبقرية ابن سعود، يحققون الكثير من الأهداف السياسية ووصلوا إلى ذروة قوتهم وأخذوا يغيرون على العراق والكويت وقبائل شرق الأردن كما يرجع الفضل إلى الإخوان في سقوط مكة في يدي ابن سعود في نهاية عام ١٩٢٥.

وسقطت المدينة وجدة في بداية السنة التالية، وراح ابن سعود يعلن نفسه فوراً ملكاً على الحجاز . ولكن المحاولات التي قام بها لإعادة النظر في حدوده مع العراق والكويت ، لم تكن مجدية، بالرغم من الغارات العديدة التي قام بها الإخوان على قبائل حدودهما على نحو ما أورده جلوب باشا في كتابه «حرب الصحراء» قاتلاً بعد ثلاثة غارات قام بها الإخوان من قبائل المطير وحرب في شهر ديسمبر من عام ١٩٢٤ فرت بقايا قبائل من الرعاه على طول الحدود النجدية من البصرة إلى النجف ممزقة ومرتعنة ، وظهرت أولي البوادر على تجدد اهتمام السعوديين بالمنطقة الواقعة إلى الشرق من الجفورة بعد

انقضاء اكثـر من نصف قرن في عام ١٩٢٠ فلقد نشب قتال واسع في ساحل عمان بين العوامر والبوشميس والدروع من ناحية وبين المناصـير وبني يـاس من النـاحـية الأخرى. ولقد حدث أبان مرحلة من مراحل القتـال أن عدـداً من الرجال من قبـيلة المناصـير وقبـيلة المزارـيع من بـني يـاس، وصلـوا إـلى الإـحسـاء يـنشـدون العـون من حـاكم ابن سـعـود هـنـاك الـأـمـير عبد الله بن جـلوـي وـتيـولدـتـ الـهـدـاياـ بنـ الفـريـقـينـ وـوـافـقـ بنـ جـلوـيـ عـلـىـ شـمـولـ هـؤـلـاءـ بـحـماـيـتـهـ وـسـرـعـانـ مـاتـمـ الـوصـولـ إـلـىـ هـدـنةـ عنـ طـرـيقـ وـسـاطـةـ الشـيـخـ حـمـدانـ بنـ زـاـيدـ حـاـكـمـ اـبـيـ ظـبـيـ الـذـيـ خـلـفـ اـخـاهـ طـحـنـوـنـاـ فـيـ عـامـ ١٩١٢ـ وـعـادـ المـزـارـيعـ إـلـىـ موـطـنـهـمـ فـيـ لـيـواـ ،ـ وـلـكـنـ بـعـضـ الـمـنـاـصـيرـ ظـلـواـ فـيـ إـلـهـسـاءـ .ـ وـعـادـتـ الـحـربـ فـتـجـدـدـتـ فـيـ عـامـ ١٩٢٢ـ عـنـدـمـاـ قـاـمـ سـلـطـانـ بـقـتـلـ أـخـيـهـ الشـيـخـ حـمـدانـ ،ـ وـظـلـتـ مـسـتـمـرـةـ حـتـىـ عـامـ ١٩٢٥ـ .ـ وـكـانـ شـيـوخـ الـعـوـامـرـ وـالـبـوـشـمـيـسـ وـالـدـرـوـعـ قـدـ أـنـادـواـ فـيـ غـضـونـ دـرـسـاـ مـنـ خـصـومـهـمـ ،ـ فـارـتـحـلـواـ إـلـىـ إـلـهـسـاءـ يـنـشـدـونـ حـمـاـيـةـ اـبـنـ جـلوـيـ .ـ وـسـرـعـانـ مـاـ أـرـسـلـ اـبـنـ جـلوـيـ فـيـ رـبـيعـ عـامـ ١٩٢٥ـ قـوـةـ كـبـيرـةـ مـنـ بـنيـ مـرـةـ لـلـأـغـارـةـ عـلـىـ بـنيـ يـاسـ وـالـمـنـاـصـيرـ فـيـ أـرـضـيـ اـبـيـ ظـبـيـ وـعـادـتـ وـمـعـهـاـ نـحـوـ مـنـ ١٥٠ـ مـنـ الـأـبـلـ .ـ

وتذكر المصادر السعودية أنه قد وصل إلى أبي ظبي بعد الغارة ممثل السعودية وهو سعيد آل عرفة مصحوباً بالشيخ حمدي يالم الركاض شيخ العوامر، وشيخ من الدروع. ولقد ذكرـوا للـحاـكـمـ الشـيـخـ سـلـطـانـ بنـ زـاـيدـ انـ اـبـنـ سـعـودـ قدـ أـعـطـيـ حـمـاـيـتـهـ لـلـعـوـامـرـ وـالـدـرـوـعـ وـالـبـوـشـمـيـسـ .ـ وـأـنـ سـوـيدـ آلـ عـرـفـةـ قدـ أـوـفـدـ لـجـمـعـ الزـكـاهـ مـنـهـمـ .ـ وـمـضـيـ سـوـيدـ إـلـىـ الـبـرـيمـيـ بـالـرـغـمـ مـنـ رـفـضـ سـلـطـانـ بنـ زـاـيدـ الـاعـتـرـافـ بـهـذـاـ إـجـرـاءـ .ـ وـاحـتـفـيـ بـهـ هـنـاكـ أـحـمـدـ بنـ هـلـلـ فـيـ قـرـيـةـ الـقـيـمـيـ وـالـشـيـخـ الـأـكـبـرـ وـالـلـظـواـهـرـ إـلـىـ سـلـطـانـ زـاـيدـ الـوـاحـةـ .ـ وـجـمـعـ سـوـيدـ الزـكـاهـ فـيـ قـرـيـةـ حـمـاسـ بـمـعـدـلـ رـيـلـ وـاحـدـ عـنـ كـلـ بـعـيرـ .ـ وـخـرـوفـ مـنـ كـلـ أـرـبعـينـ مـنـ الـعـوـامـرـ وـالـدـرـوـعـ وـبـدـوـ الـبـوـشـمـيـسـ الـذـيـنـ كـانـوـاـ فـيـ زـيـارـةـ لـلـقـرـيـةـ .ـ وـلـمـ يـجـمـعـ شـيـئـاـ

من السكان المستقرین في الواحة سواء أكانتوا من المهاجر أو من الظواهر وتنذكر المصادر السعودية أنه قام أثناء نزوله في البريمي بـ «جعيم الزكام» الشادية من سكان الواحة ومن قبائل البدو في المنطقة القربيّة وبالرغم من أن زيادة المثل السعودي أثارت الكثير من السخط في ساحل عمان، إلا إنها أتاحت للأمام الإبانسي في عمان وكبار مؤيديه المبرر لمحاولة مد سلطانهم شمالاً من عمان نفسها إلى الظاهرة، وكان الإمام الذي انتخب في عام ١٩١٣، سالم الخروصي قد اغتيل في عام ١٩٢٠، فخلفه محمد بن عبد الله الخليلي من بني رويحة الذي انتخب تميّتاً للحرث وبني ريام ولقد وصفه جي. ايكليس من الجيش الهندي وقائد الجنود في جيش سلطان مسقط في مجلة جمعية آسيا الوسطى في سلطنة مسقط وعمان بأنه مجرد دمية في يد الشيخ عيسى بن صالح زعيم الحرث أبي ايكليس هذه الملاحظة عندما كان في جولة داخل عمان في خريف عام ١٩٢٤ ، في رفقة فريق مساحة تابع لشركة دارس للتنقيب عن البترول. (٧)

ويضيف ايكليس قائلاً: «وقرر الشيخ عيسى أن يحمل جميع قبائل المنطقة سواء أكانتوا من بني غافر أو بني هناء بالقوة أو الاقناع وحتى في واحة البريمي نفسها على الانضواء إلى الحلف الذي اقامه وسار الأمور على مايرام في البداية. وخضعت الدریز وعبری وضنك لارادته، ولكن اصابته بنوبة قاسية من مرض الإستسقاء، ووقوعه في نزاع شديد مع احدى القبائل القوية المتحالفة مع، ارغامه على وقف الحملة والعودة إلى عمان. وأدى هذا التراجع المعيب إلى اذلال الإمام الذي كانت القبائل قد انضمت متحدة تحت لوائه، فعرض الإستقالة على الإمام غير أن كبار الشيوخ عادوا فاقنعواه بالبقاء»، غير أن المصادر السعودية لها رؤية مختلفة مستقلة مستقاة هي الأخرى من مقال ايكليس حيث أثار نشاط الفريق السعودي الرسمي بقيادة سعود الفيصل في

البريمي بعض القلق في إمام عمان، لأنه لم يفهم على حقيقته.. ولكن التقدير الأكثر واقعية للوضع عن قرب ما لبث أن أقنع الإمام بوقف تقدمة - فلقد أحس بأن أهل الضاحكة ليسوا من الأباشيين، وإنهم يعتبرون أنفسهم من الرعايا السعوديين، وان القسر هو السبيل الوحيد لحملهم على الخضوع للإمام .. وأدرك الإمام أن السياسة الحكيمة تفرض عليهم أن يزرع الصدقة مع الدولة السعودية فعدل عن الحملة التي قام بها وانسحب إلى عاصمته وهو ماذكره جي بي كيلي في كتابه «الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية» وكان الإمام عيسى بن صالح قد قابلا قبل الإنفصال قريبيين لشيخ دبي في قبيل الواقعة إلى الجنوب من البريمي، وكان عمهما الشيخ قد أوفدهما للبحث في إمكانات العمل ، في حالات قيام ابن سعود بأية حركة أخرى باتجاه عمان.

وصلت بعثة المساحة التابعة لشركة دارس للتنقيب عن البترول في شهر ديسمبر إلى المحضة كيري بلدان بني كعب عند الطرف الغربي لوادي الجزي، ويوضح دارسي في مقاله عن سلطنة مسقط في مجلة جمعية آسيا الصغرى أنه تلقوا دعوة من شيخ بن نعيم في البريمي لزيارتكم في الواحة، عنوان ضيق وقتهم حال بينهم وبين تلبية هذه الدعوة. وذكر الشيخ سالم بن حيان رئيس قبائل بني كعب للنقيب ايكليس انه متزوج أشد الإنزعاج من شيخ بن نعيم الذين بعثوا إلى ابن جلوبي يطلبون مساعدته عندما شرع الإمام عيسى بن صالح في زحفهما على الظاهرة.^(٩)

وأعرب شيخ بن نعيم عن عواطف أشد عنفاً في الرسالة التي بعث بها سلطان مسقط بعد عدة أشهر. وأش丐 الشیخ حمد ابن أحمد اليحيى بوجه خاص من شيخ بدو البوشميس لطلبه العون من السعوديين في خصامة مع بنی یاس والمناصير، وتآثر ابن جلوبي بالغ التأثر، وراح يكتب إلى الشیخ سعید بن مکتوم في دبي في شهر نوفمبر من عام ١٩٢٥ یؤکد له أن عليه الا

يخشى شيئاً منه، ويلقي اللوم علي سلطان بن زايد شيخ ابي ظبي لإثارة هذه الضجة، وجاء في مذكرة المملكة المتحدة أن بن جلوبي قال في رسالته في ٢٧ نوفمبر ١٩٢٧ ... « نقل إلي سمعاً أن الأخ سلطان بن زايد بعث إليك برسول يحذرك من أن سويد آل عرفة قد بعث بقوة قوامها أربع مائة رجل باتجاهك يمتطون النجد السريع ذات السنام الواحد وأنه يقوم بحفر الآبار، وإننا نسير في أعقابه، وإنك رفضت هذه المعلومات، ولم يساورك أى شك فيما ويقيم هذا الموقف من جانبك الدليل علي إنك ترفض الوشايات والأكاذيب عن بن سعود وإنك تعاقب الكاذبين ... ولا شك في أن إخانا سلطاناً مجنون، فهو لا يعرف أننا أقوى منه عدة وعداد. وهو يتعرض للإثارة من الأكاذيب التي ينقلها إليه البدو، إن كانت الأكاذيب التي تثير الرجال لاتجدي فتيلاً. ولكن قوتنا ستتغلب عليه وعلى الآخرين عاجلاً أم آجلاً.

ويعتبر جي بي كيلي (١٠) التهديد الضمني دليلاً علي نوايا ابن سعود النهائية تجاه عمان، وهي النوايا التي وصفها السير برسلي كوكس قائلاً «يعتقد بن سعود من الناحية العملية أن له الحق من ناحية المبدأ في استعادة أية أرض كان أجداده قبل نحو من قرن قد أستولوا عليها أو جعلوها من منطقة نفوذهم. وكانت عمان من مناطق نفوذهم. بينما كانت البوريماي فعلاً في أيديهم، ولعل هذا هو الذي يفسر أن شطراً كبيراً من سكان الواحة لا يزالون على وراء لآل سعود .. ولست أشك مطلقاً في أنه مع مرور الزمن سيحاول توسيع سلطانه ليشمل داخل عمان».

ولعل العمل علي تنفيذ هذه السياسة هو الذي أدى إلى وصول عامل سعودي آخر إلى واحة البريمي في ربيع عام ١٩٢٦، وجمع هذا العامل وأسمه محمد بن منصور الزكاوة من بعض العوامر والدروع وبدو البوشميس في ضواحي الواحة، ولكنه كسلفة سويد آل عرفة لم يجمع شيئاً سكان الواحة

المستقررين وتم في نفس العام أغتيال سلطان بن زايد شيخ أبي ظبي علي يد أخيه صقر، ولجا ولداه شخبوط وهزاع إلى الحساء، حيث تولى الأمير ابن جلوى حمايتهم. وحاول صقر بن زايد إقناع ابن جلوى بأن لا يساعد الأميرين اللاجئين في التأثر لأبيهما. فبعث له بهدايا كثيرة ووافق على السماح لعملاء الأمير بجمع الزكاة من البريمي وضواحيها في الربيع التالي.

وكان الوكلاء السعوديون في البريمي في ربيع عام ١٩٢٧ عندما وصل إلى ضواحيها في شهر مايو برترام توماس وكان آنذاك وزيراً لسلطان مسقط ابن جولة قام بها لارجاء السلطنة. وكان قد كتب مسبقاً إلى شيخ بنى نعيم يخبرهم بعزمهم على المجيء، ويرغبته في نقائهم، ولكنه عندما وصل إلى الطرف الغربي من وادي الجزي تلقى رسالة من الشيوخ يحثونها فيها على العدول عن زيارته، حيث ورد في كتاب رحلات في الجزيرة العربية (لندن ١٩٣٩) مايلي:-

«فهمنا رسالتك التي حملها الشيخان علي وحمدان، ولم يكن الوالي أبو سندان حاضر في المكان ... ولكن قرأ الرسالة بعد عودته ولم يوافق عليها .. ولقد فاجأتنا باقتراحك هذا، ولم نعرف نحن عنه شيئاً . وتعتبر هذه الأماكن في رعاية الله ورعايتها. فهذه الأماكن ضمن أراضي بن سعود وهذا كل ما يجب أن نقوله والسلام - التاريخ ١٣٤٥ نو القعدة هـ ».

وكان محمد وصقر ولدا سلطان آل حمودة يافعين وقد خلفا والدهما مؤخراً . وكان يخضعان كثيراً لسلطان عبده الوالي أبو سندان. ولقد اكتشف برترام توماس فيما بعد أن هو الذي كان يعارض في زيارته وورد في كتاب رحلات في الجزيرة العربية قوله: «وهكذا عندما انتهت امر الشيخ الأسود وبعد سنة قابلت واضعي تلك الرسالة الصارمة وسادت مقابلتنا موجهة شديدة من المرح».

الفصل الأول

وعاد وكلاء بن جلوى فجمعوا الزكاة من أبناء القبائل البدوية في ضواحي البوريمي في ربيع عام ١٩٢٨ وفي عام ١٩٢٩ على الغالب.

وهو ما أكدته برتراهم توماس في تلك الأونة حيث جمع وكلاء السعوديين الزكاه من الجفرة في هذه السنوات. وتم جمع المبلغ الأول في ربيع عام ١٩٢٦، ثم استمرت عمليات الجمع في كل ربيع حتى عام ١٩٣٠ وحضر وكلاء نشاطهم علي الغالب فيأخذ زكاه الأبل من قبائل المناصير والمزاريع الذين كانوا قد نشدوا حماية ابن وكلاء السعوديون في عام ١٩٢٨ إلى واحدة ليه حيث جمعوا زكاه الأبل من بعض المناصير ولاسيما من فرع البومنذ الذي كان شيخهم قران بن مانع يقيم في هذه الأونة في الاحساء وعاد وكلاء في عام ١٩٢٩ ..

تركزت محاولات جم الزكاه في الضفرة في السنوات التالية على المناصير وعلى فرع المنذر بوجه خاص. وقامت العلاقات بين ابن سعود والحكومة البريطانية على أساس جديد في عام ١٩٢٧ بعد التوقيع على معاهدة جدة في العشرين من مايو من ذلك العام. ومثلت المعاهدة الجديدة إعترافاً بالتغييرات العظيمة التي وقعت في مكانة ابن سعود وسلطانه منذ توقيع معاهدة شهر ديسمبر من عام ١٩١٥. وكان ابن سعود قد استولى على جبل شمر في عام ١٩٢١ والججاز في عام ١٩٢٥ وأنضم العسير في عام ١٩٢٦ وأصبحت معاهدة جدة أقرارها بهذه الحقيقة عندما أضيفت عليه لقب «ملك الحجاز ونجد وملحقاتها» ورفعت من المعاهدة الجديدة القيود التي كانت مفروضة على تصريفه لعلاقاته الخارجية وأعماله الأخرى بموجب معاهدة عام ١٩١٥ وأعترفت الحكومة البريطانية بالإستقلال الكامل والمطلق لبلاده، وتعهد ابن سعود على أي حال بمواصلة إحترام السلامة الإقليمية لإمارات شرق الجزيرة العربية الواقعة تحت الحماية البريطانية. ونصت المادة السادسة من معاهدة جدة على ما يلي ...

«يَتَعَاهِدُ جَلَّالَةُ مَلِكُ الْحَجَازِ وَنَجْدٍ وَمَلَحَقَاتِهَا بِالْحَفَاظِ عَلَىِ الْعَلَاقَاتِ الْعَمَدِيَّةِ وَالسَّلَمِيَّةِ مِنْ أَرَاضِيِّ الْكُوَيْتِ وَالْبَحْرِيَّةِ، وَمَشَارِيخِ قَصْلَوْ وَسَاحِلِ عَمَانِ الَّذِينَ يَرْتَبِطُونَ بِعَلَاقَاتِ تَعْاهِدِيَّةِ خَاصَّةٍ مَعَ حُكْمَةِ صَاحِبِ الْجَلَّالَةِ الْبَرِطَانِيَّةِ وَهُوَ مَا أَوْرَدَهُ الْوَشَائِقُ الْبَرِطَانِيَّةُ وَلَيْسَ شَمَةً مَا يَدْعُونَ إِلَىِ الإِعْتِقَادِ بِأَنَّ ابْنَ سَعْوَدَ اَعْتَبَرَ أَنَّ أَرْضِيَّتَهُ فِي شَرْقِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَمَتدُّ إِلَىِ أَبْعَدِ مَنْ شَرْقِ صَحَرَاءِ الْجَفُورَةِ. وَيَلَاحِظُ چِي بي كِيلِي أَنَّ الْكِتَابَ التَّارِيَخِيَّ الْمُوْثَقُ لِنَجْدٍ وَالْمُطَبَّوُ فِي عَامِ ١٩٢٧ وَهُوَ كِتَابُ «نَجْدُ الْحَدِيثَةِ وَمَلَحَقَاتِهَا» لِأَمِينِ الرِّيحَانِيِّ بَيْنَ أَنْ حَدُودَ الْمَلَكَةِ الشَّرْقِيَّةِ تَبْدَأُ عِنْدَ دُوْحَةِ السَّلْوَيِّ، وَتَمَتدُّ عَبْرَ الْجَفُورَةِ مَعَ الْخَطِّ الْأَزْرَقِ لِعَامِ ١٩١٣ وَتَجَدُّرَ الإِشَارَةِ إِلَىِ إِعْدَادِ طَبِيعِ كِتَابِيِّ أَمِينِ الرِّيحَانِيِّ عَامِ ١٩٥١ بِاسْمِ «تَارِيَخُ نَجْدٍ وَمَلَحَقَاتِهَا»» (١١)

قام بن سعود في عام ١٩٢٢ ، وبعد ضمه رسميًا لجبل شمر بتغيير اسم المملكة إلى المملكة العربية السعودية، ومنع في العام التالي إمتياز ا بترولياً إلى شركة ستاندارد اويل كاليفورنيا . ونص المرسوم الملكي بمنع الإمتياز في الرابع في الرابع عشر من يوليو من عام ١٩٣٣ بان تضم منطقة الإمتياز الجزء الشرقي من ممتلكاتنا العربية السعودية داخل حدودها وهو ما أوردته صحيفة أم القرى بمكة المكرمة في العدد رقم ١٧ بتاريخ ١٢٥٢ هـ. (١٢)

ولما كانت هذه الحدود ليس محدودة بصورة واضحة، فقد قامت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية في الأشهر القليلة التالية بطلب المعلومات اللازمة عن الحدود الفعلية من الحكومة التركية أولاً والحكومة البريطانية لاحقاً. وردت وزارة الخارجية البريطانية في الرابع والعشرين من أبريل عام ١٩٣٤ بالوثيقة رقم ٢٤٨١ الأمريكية في لندن بان الحدود الشرقية للملكة العربية السعودية هي الخط الأزرق الموضح في الميثاق الإنجليزي التركي لعام ١٩١٣ - ١٩١٤ م وبيان ابن سعود خلف السيادة التركية على المناطق الواقعة إلى الغرب والشمال

الغربي من هذا الخط» يارتضت الحكومة الأمريكية بهذا البيان وفي سياق الوثائق الصادرة عن وزارة الخارجية البريطانية والتي تحمل أرقام ٢٤٨١ بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩٣٤ والوثيقة رقم ٣٦٧ في ٢٨ ابريل والوثيقة رقم ٣٦٥١ في ١٣ مايو ١٩٣٤ والوثيقة رقم ٤٢٤١ في ١١ يونيو ١٩٣٤ والوثيقة رقم ٤٤٥١ في ٢٠ يونيو ١٩٣٤ والوثيقة رقم ٢٤٥٩٠٨٠ في ٢٤ سبتمبر ١٩٣٤ وكانت ردود الأفعال على النحو التالي:

أولاً: كان رد فعل نائب وزير الخارجية السعودية، فؤاد حمزة، الإحتجاج على هذه المذكرة إذ قال بالنظر إلى التبدلات الضخمة التي حدثت في مركز المملكة العربية السعودية منذ التوقيع على موالىق عام ١٩١٣ - ١٩١٤ فأن حكومته لا تستطيع اعتبار الخط الأزرق ممثلاً بالفعل للخط الصحيح لحدودها مع البلاد المجاورة لها في شرق الجزيرة العربية وجنوبها. وكانت هذه هي الإشارة الرسمية الأولى التي تسلمتها الحكومة البريطانية عن ابن سعود لا يعتبر الخط الأزرق حداً شرقياً له، ولذا كان ردها عليها قوياً للغاية أيضاً. وتلقي فؤاد حمزة في الخامس عشر من يونيو ردأً بان الموقف القانوني الذي أقرته المواثيق الإنجليزية التركية لم يتغير من جراء الأحداث اللاحقة له وأن على الحكومة السعودية ان تلزم باحترام ذلك الموقف. وأن زيارة في سلطان ابن سعود لم تترك اثر في صحة الخط الأزرق علي الإطلاق.

ثانياً: عاد فؤاد حمزة دون أن يتتأثر بهذا الرد العنيف، فأكمل حجته السابقة بصورة تفصيلية في مذكرة مطولة بعث بها في العشرين من يونيو.

وذكر أن الحكومة العثمانية لم تكن ملك الحق في عامي ١٩١٣، ١٩١٤ لتقرير مصير بلاد شبه الجزيرة العربية، لأن السلطة العثمانية علي شرق الجزيرة العربية كانت قد أنتهت كلية في عام ١٩١٢ عندما أستعاد ابن سعود ملكة في أراضي اسلافه. وكانت الحكومة البريطانية قد اعترفت في معاهدة

عام ١٩١٥ بابن سعود كالحاكم المستقل لنجد والإحساء والقطيف وحيل وملحقتها التي تستقر - فيما بعد واضاف أن في الإمكان الإستنتاج من هذا القول بأن الحكومة البريطانية نفسها قد اعترفت بحق ابن سعود في أراضي أجداده ، وبالسيطرة على القبائل التي تقيم فيها ولا شك في أن في الإمكان تمييز هذه الأراضي بسهولة عن تلك التابعة للحكام الآخرين.(١٢)

ثالثاً : في حالة قطر، تعتبر حدودها هي حدود البلدان والقرى المأهولة. أما بالنسبة إلى ما تبقى من الأجزاء الشرقية لجزيرة العرب «فإن جميع القبائل التي تعيش بين بلدان قطر الساحلية وبين ساحل عمان وحضرموت ترجع إلى المملكة العربية السعودية، وهي تخضع خضوعاً تاماً لقوانينها وتندفع إليها الزكاة، وتلبي نداء حكومتها عندما يدعوها الواجب إلى الحرب وهلم جرا».

رابعاً: كانت هذه الإدعاءات ضخمة للغاية، ولذا تطلب البحث التفصيلي وإاستدعي فؤاد حمزة إلى لندن في شهر سبتمبر من عام ١٩٣٤، وعقدت في وزارة الخارجية البريطانية سلسلة من الاجتماعات الأولية، لتمكن كل فريق من بيان موقفه بصورة كاملة ولم تكن المجتمعات مثمرة، وذلك لأن فؤاد حمزة، لم يكن مزوداً بتعليمات محددة من حكومته ولكنه أوضح على أي حال أن ابن سعود يرى بان أراضي القبائل التي ظلت تحت حكمه لابد وأن تضم إلى ممتلكاته. وذكر فؤاد حمزة بشكل خاص قبيلتين مرة والمناصير. وقيل له في معرض الرد أنه بالرغم من أن قبيلةبني لشیغ ابن طبی. ولا لم يصدر عن ابن یهود أي شيء يتعلق بهذه النوايا في الأشهر التالية لهذه الأراء المتبادلة، فقد طلب إلى الحكومة السعودية في مستهل عام ١٩٣٥ أن تقدم ببيان محدد عن أدعاءاتها.

وتكرر الطلب في شهر مارس وسلم فؤاد حمزة في الثالث من ابريل من عام ١٩٣٥ إلى الوزير البريطاني في جدة مذكرة متضمنة هدوتها مقترحة بين



العربية السعودية وقطر والمشيخات المتصالحة وسلطنة مسقط وعمان
ومحاميات عدن الشرقية.

خامساً : كانت الحدود مع قطر تبدأ على الساحل الغربي لشبه الجزيرة علي بعد نحو ١٥ ميلاً من رأس بوحة السلوم ثم تتجه شرقاً مسافة خمسة أميال لتعود جنوباً بشرق لتصل الساحل الشرقي علي بعد سبعة أميال إلى الشمال من خور العديد. ويعني هذا الخط أن يكون جبل نخش الواقع عند الطرف الغربي لشبه الجزيرة وخور العديد الواقع عند طرفها الشرقي ضمن الأراضي السعودية وتبدأ الحدود المقترحة مع المشيخات المتصالحة عند نقطة تقع علي بعد ستة عشر ميلاً إلى الجنوب من خور العديد ثم تتجه مسافة عشرة أميال تقريباً. لتعود فتتجه في شكل قوس نحو الشرق والجنوب الشرقي إلى أن تلتقي بخط طول ٥٦ درجة شرقاً إلى نقطة لقائه بخط عرض ١٩ درجة شمالاً ثم تسير باتجاه الجنوب الغربي إلى أن تصل خط طول ٥٢ درجة شرقاً.

الهؤامش:

حول شرقى الجزيرة العربية وتاريخها راجع:

- ١- أحمد مصطفى أبو حاكمة، تاريخ شرقى الجزيرة العربية، وراجع أيضاً، ج ج لوريمن، دليل الخليج ، القسم التاريخي .
- ٢- راجع المراسلات التى دارت بين عبد العزيز آل سعود ديرسى كوكس فى : جوش تمبرلى، الوثائق البريطانية ١٨٩٨ - ١٩١٤ ، لندن، ١٩٢٨ بالإنجليزية.
- ٣- جى بي كيلى ، م.س.ذ صص ٤٤-٥٥.
- ٤- جوشى تميرلى ، م.س.ذ.
- ٥- المرجع نفسه.
- ٦- راجع فى تفصيل ذلك دكتور تركى بن محمد سعود الكبير، علاقة بريطانيا بالملك عبد العزيز آل سعود ١٩٠٢ - ١٩٢٥ فى بحوث المؤتمر العالمى عن تاريخ الملك عبد العزيز، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ٢٣-١٩٢٥ ربى الأول ١٤٠٦ هـ الموافق ٥ ديسمبر ١٩٨٥ م.
- ٧- نفس المرجع السابق.
- ٨- جى بي كيلى م.س.ذ ص ص ٧٤-٨٥.
- ٩- نفس المرجع السابق.
- ١٠- المرجع نفسه.
- ١١- محمد المانع، توحيد المملكة العربية السعودية، م.س.ذ .
- ١٢- المرجع نفسه.
- ١٣- دكتور محمد تركى بن محمد بن سعود الكبير، م.س.ذ.

الفصل الثاني

الشريف حسين

سبقت الإشارة إلى ما أمتد إليه النفوذ البريطاني في الخليج العربي وأنتهي إلى عقد بعض المعاهدات بين حكومة الهند وبعض مشايخ العرب على السواحل الجنوبية والشرقية لشبه الجزيرة. وتمكنـت بـريطانيا بهذه الطريقة من تـكوين محمية عـدن من بعض المشيخـات القـرية منها، وـعقدت معاهـدات أخرى وـخاصة مع الكويت فـي سنة ١٨٩٩ م . اـعطـت لـحكومة الهند حـماية فعلـية على هـذه المـنطقة وـغـابـت سـيـادة السـلـطـان العـثمـانـي، وـأـرسـلت ضـبـاطـاً وـموظـفـين مـعـتمـدـين لـدي هـؤـلـاء المشـاـيخـ، وـعيـت مـقـيـماً سـيـاسـياً يـشـرفـ عـلـى السـاحـل الفـارـسيـ، وـأـصـبـحـ الخـلـيـجـ العـرـبـيـ منـطـقـةـ نـفـوذـ بـرـيطـانـيـ، وـازـدـادـتـ أـهـمـيـتـهـ بـعـدـ بدـءـ إـحـدىـ الشـرـكـاتـ الـبـرـيطـانـيـةـ فـيـ أـمـتـلـاكـ وـاستـقـلالـ حـقولـ البـترـولـ الغـنـيـةـ فـيـ جـنـوبـ غـربـ فـارـسـ . (١)

وفي نفس الوقت غاب نفوذ الدولة العثمانية عن شبه الجزيرة العربية - كما سبقت الاشارة - وكانت السنوات الأخيرة قد شهدت الصراع بين آل الرشيد وأل سعود، وخروج هذه الأسرة الأخيرة من نجد، ثم نجاحها في إعادة الإستيلاء عليها في أوائل القرن العشرين، تحت رئاسة عبد العزيز آل سعود كما سيأتي ذلك تفصيلاً (٢)، وفي إحدى فترات هذا الصراع اضطر آل الرشيد إلى طلب العون من تركيا، فأرسلت الدولة العثمانية إحدى الحملات الحربية، تمكنـت من إعادة رفع العلم العثمانـي على وـسـطـ شـبـهـ الجـزـيرـةـ مـرـةـ جديدةـ بعدـ فـتـرةـ طـوـيـلةـ منـ الـاسـتـقـلالـ الـفـعـليـ عنـ الدـوـلـةـ العـثـمـانـيـةـ، لـكـنـ قـوـةـ آلـ سـعـودـ أـخـذـتـ فـيـ النـمـوـ، وـتـمـكـنـ فـيـ عـامـ ١٩١٣ـ مـ منـ الـاسـتـيـلـاءـ عـلـىـ إـقـلـيمـ إـلـاحـسـاءـ مـنـ الـأـتـرـاكـ، وـكـانـ ذـلـكـ بـمـثـابـةـ ضـرـبةـ قـاصـمةـ لـالـسـلـطـانـ العـثـمـانـيـ لـمـ يـعـادـلـهـ إـلـاـ توـثـيقـ الـعـلـاقـاتـ بـيـنـ تـرـكـياـ وـآلـ الرـشـيدـ فـيـ إـقـلـيمـ شـمـرـ.

أما في غرب الجزيرة العربية فإن المصاعب قد استمرت في مواجهة الدولة العثمانية في اليمن، وفتحت ثورة ١٩٠٣ بزعامة الإمام يحيى صفحة جديدة في تاريخ الحملات العسكرية في بلاد العرب، وتمكن الثوار من إحتلال صنعاء واحتفظوا بها لمدة سنة كاملة. ثم كرروا نفس المسألة سنة ١٩١١ واضطرب الاتراك إلى قبول المفاوضة والمساومة وقام عزيز علي المصري بدور هام في الوصول إلى إتفاقية اليمنيين والقيادة التركية، سمحت بحرية واضحة للإمام وضمنت له إعانة سنوية من الدولة، تساعدته على تسيير شئون بلاده(٢).

أما في أقليم عسير - فإن سلطة ونفوذ السيد محمد بن علي الإدريسي قد أخذت في الازدياد. وعمل على الاستقلال عن الحكم التركي. ولم يكن أفق الإدريسي قاصراً على بلاد العرب، خاصة وأنه كان قد تعلم في الأزهر، وبقي مدة طويلة من الوقت مع السنوسي في برقة. وأخذ يعاون إمام اليمن في ثورته سنة ١٩٠٩م ، ولكن قواته انهزمت فاستعن بالإيطاليين على تكوين قوة جديدة، ساعدته على الاحتفاظ باستقلاله وحينما شبّت الحرب العالمية الأولى كان في وضع تابع لسلطان تركيا من الناحية الرسمية، ولكنه كان في حقيقة الأمر ثائراً يستعد لجولة جديدة في الكفاح ضد الدولة العثمانية.

وفي الحجاز فإن سلطة الدولة كانت ثابتة ومدعمة أكثر من غيرها من الأقاليم العربية، نتيجة لإنشاء سكة حديد الحجاز حتى المدينة، الفعلى على الحجاز منذ سنة ١٩٠٨ وحاول أن يوسع منطقته شرقاً على حساب القبائل الخاضعة لابن سعود، ولكن سرعان ما ظهر الخلاف بينه وبين الحكومة العثمانية، وجمعية الاتحاد والترقي، بينما حاوّلت الدولة تطبيق نظام المركزية على الحجاز، وعارض الشريف حسين في فرض نظام التجنيد الإجباري على إقليمه. ولقد حاولت جمعية الاتحاد والترقي أن تخلص منه بتعيين أحد الولاة على الحجاز، يشرف على شئونها الإدارية، ويترك الشريف السلطة الدينية على

مكة والمدينة. ولكن هذه السياسة فشلت نتيجة لاقتراب الحرب العالمية الأولى، وحاجة تركيا إلى الاستناد إلى الإشراف في تعبيء الشعور الإسلامي، فاضطرا إلى عدم التشدد مع الشريف حسين.

تلك هي حالة الدولة العثمانية عشية الحرب العالمية الأولى، وكانت لا تبشر فعلاً ببقاء ولاء العرب لتركيا، في الوقت الذي لم يحصلوا فيه على حقوقهم منها.

كان للشريف حسين ثلاثة أبناء: علي وعبد الله وفيصل، إمتاز الأول بدماثة الأخلاق، والثاني بحبه للسياسة والثالث بصراحته وحبه للحياة العسكرية. وكانوا جميعاً يمنون أنفسهم بالوصول في يوم من الأيام إلى القضا، علي النظام المركزي في الدولة العثمانية، وإعطاء الحجاز استقلالاً ذاتياً تحت اشرافهم وستضطرهم الحوادث إلى العمل جدياً للانفصال عن الدولة العثمانية.

وكان عبد الله نائباً عن مكة في مجلس النواب العثماني، وحاول أن يستغل مركزه في تقوية نفوذ والده علي الحجاز، وشعر رجال جمعية الاتحاد والترقي أن عبد الله كبير القيمة لوالده، وشدید التأثير عليه في الموقف الذي وقفه من الدولة، فحاولا استقطابه بتعيينه في منصب وزيري، أو في منصب والي اليمن، ولكن عبد الله رفض العرض، واحتفظ لنفسه بحرية العمل. وبينما كان الشريف رزيناً عميقاً في أفكاره، وصبوراً ينتظر سنوح الفرصة، كان ابنه عبد الله قلقاً، كثير الاعتداد بنفسه، وكان هذا هو سبب نهاية مقابلة اللورد كتشنر، ومحاولة معرفة موقف إنجلترا من الحجاز.

تمت هذه المقابلة في أوائل شهر فبراير سنة ١٩١٤م، حينما مر عبد الله بالقاهرة في طريقه من مكة إلى القسطنطينية، وكان اللورد كتشنر مندوباً سامياً في مصر في ذلك الوقت، ودار الحديث في حضور رونالدستور

السكرتير الشرقي للقنصلية البريطانية، وشرح عبد الله لكتشنر العلاقات التركية مع الشريف، وكان يعلم بعزم جمعية الاتحاد والترقي على عزل والده، وذكر أن هذا الأمر سيؤدي - إلى ثورة في الحجاز، وحاول أن يعلم رد فعل الحكومة البريطانية في حالة وقوع صدام سافر بين الترك والعرب، لكن جواب كتشنر خيب أمال عبد الله إذ أنه ذكر أن إنجلترا تحتفظ بعلاقات ودية مع إنجلترا، ولا يمكنها أن تتدخل بأي حال من الأحوال في مثل هذه الظروف، ولكنه كلف ستور بزيارة عبد الله مرة جديدة، وبمحاولة معرفة تفاصيل الموضوع أكثر من ذلك وتحديث عبد الله بصراحة أكثر في المرة الثانية، وشرح خطورة الحالة في الحجاز والاستعدادات التي كان والده يقوم بها، قبل أن يعلق الثورة على الاتراك، بالرغم من أن الوصول إلى هذه النتيجة كان أمراً محتماً، ثم تحدث عن أهداف الحركة العربية وأمال قادتها، نتيجة لفشلهم في الوصول إلى حل مع الاتراك، وسأل عما إذا كان كتشنر يستطيع إمداد والده بالمدافع الرشاشة، ولكن ستور لم يقدم أي وعد لعبد الله، كرر له نفس الكلام الذي سمعه من كتشنر، ثم مر عبد الله بالقاهرة مرة جديدة قرب نهاية شهر ابريل عند عودته من القسطنطينية، ولكنه لم يحصل على وعد بالمساعدة وفتحت هذه المحادثات أعين الإنجليز إلى اتساع الخلاف بين العرب والاتراك، والتي المزايا التي يستطيعون أن يحصلوا لأمبراطوريتهم عليها نتيجة التفرقة القائمة بين الزعماء المحليين في المنطقة.

وكان كتشنر قد خبر الحياة العسكرية، وحياة المخابرات في مصر والسودان، ثم شعر بأهمية الإسلام وحركة اجامعة الإسلامية عند شفله لمنصب القائد العام في الهند، وأخذت أنظاره بعد تعيينه مندوباً سياسياً في مصر تتجه إلى القسطنطينية مركز الخلافة، كثُر من اتجاهه إلى القاهرة نفسها ولاحظ ازدياد النفوذ الألماني مع مشروع سكة حديد بغداد، وشعر

بتهديد الألمان لمركز بريطانيا في الخليج العربي وفي الهند، واعترف بخطأ انجلترا التي تركت النفوذ السياسي والاقتصادي والعسكري للألمان، يتغول في الامبراطورية العثمانية، ويثبت أقدامه في عاصمتها، وأصبح شغله الشاغل أن يوقف هذا التغول، أو يعمل على كسره إن لزم الأمر. وفكر كتشنر في اقتطاع الجزء المتند من عكا أو حifa حتى خليج العقبة من الدولة العثمانية، وفي وضعه تحت الحماية الإنجليزية، حتى يتمكن البريطاني من السيطرة على كل الأقاليم المتند من مصر إلى الخليج العربي، وفك في تشجيع الأقاليم العربية في الدولة العثمانية على تكوين دولة مستقلة، أو سلسلة من الدول الصديقة لبريطانيا، وتمتد بذلك من سواحل البحر المتوسط في الغرب إلى الحدود الفارسية في الشرق، ويكون منها سداً إنجليزياً - عربياً يقف في وجه السيطرة التركية الألمانية على تلك المنطقة الاستراتيجية الهامة، وجاءت زيارة عبد الله مؤكدة له في آرائه، وفي الوسائل التي تمكّن انجلترا من الاستفادة من الشرق العربي، وكان عبد الله يمثل في هذه المرحلة أراء الوطنين العرب، إذ أنه كان عضواً في الجمعيات العربية الوطنية، وإن كان يزيد عليهم في اعتقاده بأهمية الوصول إلى تفاهم عربي - إنجليزي على الموضوع^(٤).

وأعلنت الحرب العالمية الأولى في أغسطس سنة ١٩١٤ وكان كتشنر حينئذ في انجلترا فلم يعد إلى القاهرة إذ أنه شغل منصب وزير الحرب البريطانية، وببدأ يهتم بضرورة تعبئة كل موارد الامبراطورية في هذه الحرب، والاستفادة من كل الفرص التي تسمح لها بالنجاح، ولم يغب الموقف في الشرق العربي عن بال كتشنر، خاصة وأن منطقة إستراتيجية في غاية الأهمية بالنسبة لواصلات إنجلترا مع الشرق، وكانت جمعية الاتحاد والترقي قد أكدت عزّمها على البقاء على الدولة العثمانية في حالة حياد، ولكن ازدياد النفوذ الألماني في هذه الدولة كان تهديداً كبيراً للإمبراطورية البريطانية التي كان

يهمها السيطرة التامة على مصر، وإبعاد النفوذ الألماني عن هذه المنطقة، ولذاك فإن كتشنر قد سمح للسلطات البريطانية في مصر بالاتصال بعبد الله، ومحاولة معرفة المعسكري الذي سينضم إليه العرب في حالة دخول تركيا الحرب. وكان الإنجليز يفضلون بطبيعة الحال أن ينضم العرب إليهم، حتى يؤمنوا على مراكزهم في مصر وفي السودان.

وجد الشريف حسين نفسه في مركز حرج، إذ أنه كان يبحث منذ بضعة أشهر عن الوسائل التي تمكنه من تدعيم سلطته على الحجاز، ولو عن طريق الثورة على الأتراك، ولم تكن الحرب قد أعلنت بعد، ولكنه وجد أن مصير كل الأقاليم العربية قد أصبح في الميزان خصوصاً إذا ما دخلت تركيا الحرب، وكان إنشغال تركيا في الحرب أحسن وسيلة تمكن العرب من الحصول على مطالبيهم ولكن هل كان علي العرب أن يقفوا إلى جانب تركيا في خلال هذه الحرب، ويحصلوا على ثقتها؟ أو يثوروا ضدها في هذا الوقت العصيب، ويحاولوا الحصول على استقلالهم بحد السيف؟ كان فيصل من أنصار الرأي الأول، وكان يعرف أن فرنسا تطمع في سوريا، كما أن إنجلترا كانت تطمع في العراق، واستند إلى أن كتشنر لم يتعهد رسمياً أو يضمن عدم وقوع هذه الأخطاء، وكان لا يعتقد أن تنظيم العرب واستعدادهم يسمح لهم بالنزول إلى المعركة. وأن ثورتهم ستفشل. أما عبد الله فإنه كان أكثر أملًا في هذه الحركة العربية، نتيجة لانضمامه إلى أحدى الجمعيات الثورية العربية. وشعر أن كلاً من دمشق وبغداد سيلبي نداء الثورة ضد الأتراك، فحاول إغراء والده على عدم رفض المحادثات مع الإنجليز، وإغرائه عي أن يحاول الوصول إلى أن يضمن الإنجليز استقلال العرب في حالة ثورتهم على تركيا.

استقر رأي الشريف حسين على كسب الرقت من الإنجليز كما تدل على ذلك من مراسلاته مع مكماهون^(٦)، ومحاولة إرسال مندوبيه إلى سوريا وإلى

رؤساء العرب لمعرفة درجة استعدادهم للنزول إلى المعركة فطلب إلى ابنه عبد الله كتابة رد السلطات البريطانية في القاهرة بأنه راغب في الوصول إلى تفاهم مع بريطانيا حول المزنium، ولكنه غير قادر على أن يبتعد عن حياده، ثم ذكر أنه سيقود رجاله إلى الثورة في حالة تشتيت الاتراك، علي شرط أن تعدد انجلترا بمساعدة فعلي، واللاحظ في هذا الخبر أن حسين لم يتحدث إلا عن رجاله هو، وعن الحاجز دور أن يشير إلى بقية الأقاليم العربية في الدولة العثمانية، ولقد وصل هذا الخطاب إلى لندن عن طريق القاهرة قرب نهاية شهر أكتوبر، أي في نفس الوقت الذي وصل فيه تقرير الجنرال ماكسيويل، ناضجاً بضرورة الاتصال بالعرب في الحجاز والميمن، وأغرانthem على الثورة ضد الاتراك، وكان ماكسييل هو قائد قوات جيش الاحتلال البريطاني في مصر، ومن أصدقائه كتشنر الذين ساهموا معه في الاحتلال البريطاني لمصر والسودان وجاء رد كتشنر في ٢١ أكتوبر مبتدنا بإعلان دخول تركيا الحرب، ومشتملاً على وعد صريح للحسين بأن الحكومة البريطانية تتضمن به في منصب شريف مكة، وتتضمن كل ماهه من حقوق وامتيازات، وتدافع عنه ضد كل اعتداء حالة دخوله الحرب إلى جانب انجلترا ضد تركيا، كما أنه اشتمل أيضاً على وعد عام بتأييد العرب في محاولتهم الحصول على حريةهم، علي شرط أن يعلنوا تحالفهم مع انجلترا وانتهي بأن أكد الشريف امكانية الاعتماد علي اعتراف انجلترا به إذا ما أعلن نفسه خليفة المسلمين(٧).

وصلت هذه البرقية إلى عبد الله في يوم ١٦ من نوفمبر وسيكون لها أكبر الأثر عليه، خاصة وأن موقفه كان قد تخرج مع الاتراك، وأعطت هذه البرقية للحسين نفس التكيدات التي كان يسعى إليها بالنسبة للحجاج، كما أنها فتحت مجالاً جديداً أمامه بالنسبة لبقية أنحاء العالم العربي، وتحدث البرقية عن «الأمة العربية» وعن تحرير العرب، وكانت تهدف إلى دفع العرب

إلى القيام بشوره مسلحة ضد الاتراك، ورد عبد الله باسم والده موافقاً على سياسة التحالف مع بريطانيا. ولكنه شرح عدم مقدرة الشريف على القيام ببني عمل عدائى صريح ضد الاتراك، قبل أن يتم الاستعدادات الضرورية، وطلب مهلة تسمح له بإعداد قواته وانتهاز الفرصة المواتيه للانفصال عن تركيا ووعد بالكتابه مرة جديدة.

ووصل هذا الرد إلى القاهرة في أوائل شهر ديسمبر سنة ١٩١٤ وبدأت به صحفة جديدة من صفحات المؤامرة الانجليزية في الشرق الأوسط. وستبدأ الصفحة التالية في يوليو سنة ١٩١٥ بمذكرة من الشريف إلى مكماهون، بعد أن قام مباحثاته ومفاوضاته مع رؤساء العرب وقاد الحركة العربية(٨).

كان دخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا والنمسا أكبر مساعد على تدخل الدول الأوروبية في المسألة العربية، فبدأت هذه الدول وخاصة إنجلترا تهتم جيداً ب موقف العرب من هذه الحرب. وكانت الإمبراطورية العثمانية باحتلالها لسوريا والعراق، تهدد إنجلترا في منطقتين هامتين هما قناة السويس ومنطقة الخليج العربي التي تقع ابار بترويل الشركة الإنجليزية الفارسية بالقرب منها، كما أن سيطرة الاتراك على سواحل البحر الأحمر كانت تسمح لهم بالإتصال بمصر والسودان، والتغلب في القارة وخلق المصاعد أمام الدول الاستعمارية. كانت تركيا تحتفظ بقوتين عسكريتين في اليمن، يمكنها أن تهدد بهما قاعدة عدن تهديداً مباشراً، أما من الناحية السياسية والنفسية فإن إعلان السلطان للجهاد شريف مكة عليه كان يهدد بتحويل الحجاز إلى مراكز ثورة ودعوة إسلامية، تعمل على اثارة الشعوب الإسلامية غير العربية والتي كانت تخضع لحكم «اللحفاء» في الهند والبلقان ووسط آسيا، وشمال إفريقيا وغربها(٩).

وكان إعلان الجهاد يمثل أمام الحلفاء أكبر خطر قد ينشأ من هذه

الباب الثاني

المنطقة، وكان الحلفاء يعلمون أن تركيا ستعمل بمجرد اعلانها الحرب على اثارة العالم الاسلامي ضد الدول المختلفة وتوحيدهم للكفاح المشترك تحت راية الاسلام، ولا يمكن لأحد أن يتغافل أهمية العامل الديني بين شعوب هذه المنطقة، التي قاست من المستعمرين، خاصة وأن اعلن الحرب كان فرصة فريدة لتوحيد الشعوب الاسلامية للكفاح المشترك، ومحاولة تخلص بلادهم واعادة عزة اجدادهم الأوائل. وكانت آراء الجامعة الاسلامية في حد ذاتها تلقى قبولاً وتائيداً من كل المسلمين وكان ظهور حركات الاصلاح والتحرر الاسلامي في اقاليم متعددة في هذه المنطقة أكبر دليل على تقارب التفكير والشعور والوجدان بين شعوبها(١٠).

الهوامش:

- ١- راجع، خالد محمد القاسمي، الخليج العربي في السياسات الدولية، قضايا ومشكلات، شركة للنشر والترجمة والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦ ص ٤ - ٣٣ .
- ٢- راجع التفصيل ذلك في الفصل الثالث من الكتاب - «المخلف».
- ٣- راجع محمد المانع، م.س. ذ ص ص ٤ - ١٢ .
- ٤- المرجع نفسه.
- ٥- راجع في تفصيل ذلك، دكتور . جلال، م.س.ذ.
- ٦- راجع أمين الريhani، ملوك العرب، بيروت، الجزء الثاني ص ٢٠ - ص ٣٢ . وراجع أيضاً لنفس المؤلف، تاريخ نجد الحديث ص ٢٠١ - ص ٢٠٩ .
- ٧- راجع تفصيل مراسلات الشريف، مكمahون في ملف وثائق فلسطين، اصدار الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة ١٩٧٥ م.



الفصل الثاني

٨- المرجع نفسه.

٩- المرجع نفسه.

- ١- دكتور جلال يحيى، م.س.ذ وفيما يتعلق بزيارة جلوب عموما حول علاقات بريطانيا
بالشريف حسين، راجع:

Glub, sir. j. B. Britain and the Arabs, AStory of Fifty years, 1908-
1958, Loudon, 1959

الفصل الثالث

الملك عبد العزيز آل سعود

ولد عبد العزيز آل سعود في عام ١٨٨٠ وقاسي في صغره من تشريد أسرته من إمارتها. وفي أثر السبب الرئيسي في القضاء على إمارتهم هي الدولة العثمانية التي دفعت آل الرشيد في شعر إلى الهجوم على الرياض. ولم ينسى عبد العزيز ذلك للأتراك ولقد كانت حياة عبد العزيز قريبة من الشيخ مبارك آل الصباح في الكويت أكبر مساعد له تفهم معنى السياسة والأعيان وخدعها، وتضارب المصالح بين القوي والزعamas الوطنية من ناحية، وبينها وبين القوي الإستعمارية من ناحية أخرى. فرأى محاولات الشيخ مبارك آل صباح للتحرر من النفوذ العثماني، وعقدة معاهدة مع السلطات البريطانية في الهند، يضع بها مشيخته تحت الحماية الإنجليزية. وكان الشيخ مبارك قد بدأ حياته السياسية باغتصاب المشيخ من أخيه بعد أن قتلهما، وحينما حاولت السلطات العثمانية التدخل في الأمر، وضع الشيخ مبارك نفسه ومشيخته تحت الحماية البريطانية. وكانت كل من ألمانيا وروسيا تعمل جاهدة على وضع أقدامها في منطقة الخليج العربي. ولكن الشيخ مبارك أستعان ببريطانيا عليهم. ونشأت بهذه الطريقة قوة جديدة تعارض الدولة العثمانية، وتحول فرض الحماية البريطانية، على الخليج العربي. وتلقى عبد العزيز آل سعود أول دروسه في السياسة على أيدي رجالها.^(١)

وكان عبد العزيز آل سعود يرغب في الإنتقام من آل الرشيد الذين إستولوا على إمارة أجداده. وكان ابن الرشيد يمثل السياسة العثمانية في وسط الجزيرة العربية أصدق تمثيل. فكان هذا علامة أساسية في تطابق المصالح بين آل الصباح وأآل سعود. وما أن يلغ الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن سن العشرين حتى ساعدة الشيخ مبارك ببعض الأموال والرجال،

مناوية آل الرشيد وإبعادهم ونترك محمد المانع يسرد أحداث هذه الفترة
قائلاً:

«حاولت الدولة العثمانية التدخل في الأمر، خاصة وأن بعض أفراد
أسرة «حينما جلت أسرة آل سعود من الرياض سنة ١٨٩٠ م إلتجأت أول الأمر
إلى البحرين حيث رحب بها حاكمها الشيخ عيسى بن خليفة. وقد شعر هذا
الشيخ عيسى بن خليفة. وقد شعر هذا الشيخ بمودة تجاه الأمير الشاب، عبد
العزيز، وأصبح صديقاً ومستشاراً له طيلة حياته. ومع أن ترحيبه بالأسرة
السعودية كان عظيماً وأن ضيافته لها كانت كريمة فإنه لم يكن في مقدوره
ما يعمله ليساعدها في إستعادة حكمها. ومن هنا فإن عبد الرحمن بن فيصل
قرر بعد فترة قصيرة أن لا يركن إلى الراحة. فذهبت الأسرة وتبعها إلى قطر،
حيث أتبخض أيضاً عدم فائدتها كقاعدة قوة. وكان أن قضت الأسرة زمناً تنتقل
مع قبيلة آل مرّة في الربع الخالي. وكان لدى عبد الرحمن أمال في أن يستطيع
إقناع رجال القبيلة هناك ليقوموا بثورة علنية. لكن أماله لم تتحقق. ذلك أنه كان
لدى أولئك البدو الأشداء من مشاكل حياتهم في تلك الصحراء المقرفة ما يكفيهم
عن الإهتمام بمن يسيطر على مدينة الرياض بعيدة عنهم. وفيما عدا بعض
الغزوات المتقطعة لم ينجز عبد الرحمن من الأعمال ما يمكن أن يؤثر حقيقة في
سلطة آل رشيد. لكن الإقامة في الربع الخالي لم تخل من فائدة، فهو من أشد
ال الصحاري على وجه الأرض قسوة. والبقاء فيه والتجوال حوله والقتال عليه
أمور تحتاج إلى مهارة فائقة. ورجال آل مرّة لديهم هذه المهارة. وقد لقنا
الشباب عبد العزيز كثيراً منها. وهذا أكتسب ذلك الأمير خبرة في أمور
الصحراء ستظل مفيدة له فائدة عظيمة طيلة حياته.

وأخيراً وجدت الأسرة السعودية لها ملجاً ثابتاً في الكويت حيث حلت
في ضيافة الصباح. وهناك أمضى عبد الرحمن بن فيصل وابنه حوالي عشر

سنوات بلغ الأمير عبد العزيز خلالها سن الرجولة، ولا شك أن الشيخ مبارك كان يعتبر إستضافته للأسرة السعودية ذات الشهرة العالمية عملاً جلياً يرفع مكانته في وسط جزيرة العرب. ومن المؤكد أنه قد يطمع إلى توسيع نفوذه بمساعدة لعبد الرحمن وابنه علي محاربة ابن رشيد. ولهذا السبب أمددهما بالرجال والإبل والمؤن ليقوما بغزوات متعددة داخل نجد. وقد استطاع عبد الرحمن، أيضاً، أن يحصل على مساعدة مالية صغيرة علي شكل تقاعد من السلطات التركية في البصرة. وقد يبدو هذا الأمر غريباً إذا كان الآتراك، أيضاً، يساعدون ابن رشيد.

لكن من الواضح أنهم لم يكونوا مخادعين أو أغبياء. كانت سياستهم ببساطة أن يقدموا مساعدة لأي أمير عربي يبدو جديراً بها. وكانت السياسة الداخلية في جزيرة العرب في وضع لا يتوقع من الآتراك أن يدركوا خفاياه ويعرفوا من كان من الزعماء يغزوا الآخر في الصحراء.

ولما بلغ الأمير عبد العزيز بن سعود عشرين سنة من عمره كان قد اتخس أن الله قد ميزه عن غيره وهيأه لأمور عظيمة. كان يمتاز عن رفاقه من حيث اللياقة الجسمانية إذ كان طول قامته ستة أقدام وبوصتين. وهذا طول أخذ غير عادي بالنسبة لرجل من صحراء بلاد العرب. وكان كل شيء آخر من ملامحه في مستوى عظيم؛ من أنفه القوي البارز إلى شفتيه الممتلئتين، إلى لحيته الجميلة. فكانت لديه الهيئة الطبيعية للملوك. أما بالنسبة للفروسية فكان من عظمائها. وكان منذ صباه يحمل جاذبية وعظمة يتغدر على عرفهما أن يصفهما بالكلمات المجردة.^(١)

وباختصار كان قد ولد قائداً. وقد تمكن وهو لا يزال في الكويت أن يجتذب إليه مجموعة لها وزنها من الأتباع الشخصيين.

وما أن حلت سنة ١٩٠٠ م حتى اقتنع الشيخ مبارك بمساعدة عبد الرحمن بن فيصل في حملة عسكرية كبيرة ضد ابن رشيد. كان مبارك في

وضع قوي لأنّه متصل بالخليج العربي بينما كان ابن رشيد محصوراً في نجد. ومن المحتمل أنّ الشيخ مبارك كانت تراوده حينذاك، أمال في ضم جزء من وسط الجزيرة العربية إلى نفوذه. ومن هنا جهز جيشاً ضخماً وفيه عدد من زعماء قبائل مهمة، كفيصل الرويشد، وإتجه نحو القصيم. وبالرغم من إنضمام مجموعة قوية من قبيلتي العجمان ومطير إلى الحملة فإنّ نهايتها كانت كارثة . ذلك أن عبد العزيز بن رشيد هزم الشيخ مباركأً وعبد الرحمن بن فيصل في معركة الصريف قبل بريدة. ثمّ تعقب فلول جيشهما إلى الكويت دون هوادة. ولم يستطع الشيخ مبارك أن يصد هجوماً على الكويت ذاتها إلا بإقناع البريطانيين أن يرسلوا طرداً بحرياً يقصف معسكراً ابن رشيد مما أجبر هذا الأخير على أن ينسحب إلى عاصمته حائل.(٢)

كان الشيخ مبارك قد أتفق مع الأمير عبد العزيز بن سعود، عشية معركة الصريف، على أن يتجه الأمير نحو الرياض بينما يتوجه مبارك وعبد الرحمن بن فيصل لمحاربة ابن رشيد في القصيم. وكان هذا الإجراء يهدف إلى أمرين: إشغال الخصم بمعارك جانبية وتمكن الأمير من اختبار حظه في إستعادة الرياض عاصمة أجداده. وبينما كان الأمير في طريقه نحو الجنوب هاجم فريقاً من قبيلة قحطان كان في روضة سدير، وقتل زعيمه نزمان بن مريحة. ثم هاجم فريقاً آخر من قحطان كان بزعامة فيصل بن حشر آل عاصم. وحين وصل إلى الرياض لم يلق مقاومة، فاستطاع أن يدخلها برجله. وكان أهل الرياض توافقن لاستقبال أي فرد من آل سعود لشدة تبرهم من حكم آل رشيد. (٣) وقد لجأ أمير بن رشيد، عبد الرحمن بن ضبعان، مع رجاله إلى قلعة المدينة حيث تم حصاره. وحين رأى عبد العزيز أن الحصار قد يطول حاول أن يحفر نفقاً تحت القلعة. ولكنه علم بعد ثلاثة أيام بهزيمة أبيه والشيخ مبارك في الصريف فدعا كبار أهل الرياض وأخبرهم أنه ذاهب لجمع

أعواناً من القبائل المجاورة ثم يعود إليهم. وكان ذلك في الحقيقة مجرد حجة لغادرة المدينة بعد أن أصبح موقفه حرجاً حينذاك. أما أمير بن رشيد فكان لابد له أن يظل محصوراً في القلعة مع رجاله مثل «أرانب في جحرها» على حد تعبير بن سعود. وبعد أن غادر عبد العزيز الرياض اتجه جنوباً نحو بيرين على حافة الربع الخالي. ومضى من هناك إلى قطر حيث أبحر مع عدد قليل من رفاقه إلى البحرين ثم عاد إلى الكويت علي قيادة الشيخ مبارك، وأن عليه أن يضع، مستقبلاً، خطته الخاصة به للإستيلاء علي الحكم. وقد عزم علي أن يقوم بحملة أخرى ضد الرياض في المستقبل القريب دون أن يطلب مساعدة

الشيخ مبارك». (٤)

وكان إختيار مدينة الرياض مهما لأنها كانت مقر حكم آل سعود، وكان لأبن الرشيد فلم تكن تلك المدينة ذات أهمية خاصة . وكانت، كغيرها من المدن التابعة له، تدار من قبل حاكم تساعده حامية صغيرة. ولعل من الانصاف لكل من حاكمها عجلان وبين رشيد نفسه أن يقال أن أهل الرياض لم يكونوا يحكمون بطريقة تعسفية خاصة خلال السنوات التي كانت فيها مدینتهم تحت حكم آل رشيد . ومع ذلك فقد كان هناك زعماء ورجال قبائل كثيرون غير راضين بالتبعية لأبن رشيد، وكان يسعدهم جداً أن يروا آل سعود يستعيدون مكانهم الشرعي في نجد.

ومن المحتمل جداً أن مدينة الرياض كانت سنة ١٩٠١ م - كما يرى المانع محاطة بسور خارجي مبني من الطين يبلغ إرتفاعه حوالي عشرين قدماً وفي كل جهة من جهاته الأربعة بوابة ضخمة. وكانت المدينة ذاتها صغيرة لدرجة أن عرضها لم يكن، على الأرجح، أكثر من ألف وخمسمائة متر في أوسع نقاطه. وكان في داخلها طرقات متعرجة يبلغ ضيق بعضها حدّاً يجعل من الصعب أن يسير فيها رجالن جانباً إلى جانب.

كانت المساحة المفتوحة الوحيدة فيها هي السوق المركزي الذي كان قد اغتصبه بن رشيد من الجانب الآخر . وكان يوجد قريباً سوق صغير معد للنساء وكانت جميع بيوت المدينة مبنية من لبن الطين . وكان حوالي نصفها من طابقين . أما بقيتها فكانت من طابق واحد . وكانت الجهة الخارجية لجدرانها خالية من أي معامل سوى نوافذ صغيرة ترى في بعضها أحياناً .

وكانت مدينة الرياض قبل سنة ١٨٩٠ م محاطة ببساتين التحيل البدعية . لكن حينما حاصرها محمد بن رشيد قطع كثيراً من أشجارها دون مبرر . وكان ذلك العمل مما رسّ البغض المستمر في نفوس السكان . وكانت عملية إقتحام ابن رشيد لاستحكامات المدينة قد سبب أضراراً بالغة لسورها الخارجي . ولم يفكر هو لا ابن أخيه من بعده أبداً بأنه يستحق أن يصلح من جديد . فظلت مواضع كثيرة منه متهدمة . ومع ذلك بقيت المدينة صعبة الإقتحام . كان في كل بوابة من سور برج يحتله رجال أو ثلاثة رجال للحراسة . ومع أن جدران السور كانت بدون حراسة فقد كان بالإمكان أرسال رجال إليها بسرعة متى دعت الضرورة . وكان في داخل المدينة قلعة مركبة قوية تتضمن حماية مكونة من خمسين أو ستين رجلاً . ونتيجة لهجوم عبد العزيز بن سعود الأول على الرياض كان يدرك أنه لا يملك القوة الكافية للاستيلاء عليه بالقوة . ومن هنا خطط أن يستوي عليها بالحيلة .^(٦)

ومرة أخرى أتصل بن سعود بالشيخ مبارك طالباً مساعدته ، خاصة بالإبل التي كان يحتاج إليها . ومن المحتمل أنه أخبره بأنه مخطط لغزو ، لكنه لم يشر إلى حقيقته لئلا يجعله يظن أن نجاحه بعيد الإحتمال . وأعطاه الشيخ على مضض ما كان يريده من الإبل . ولم يكن ستغرياً أنه لم يعطه أحسن إبله ، وإنما أعطاه من حثالتها أربعين بعيراً مريضة كبيرة السن . وإختار الأمير عبد العزيز عدداً قليلاً من أتباعه المخلصين ليسيروا معه . وفي نهاية عام ١٩٠١ م ،

وعمره لا يتجاوز إحدى وعشرين سنة، كان مستعداً ليقوم بمعامته الكبري. أمضي بين سعود ورفاقه حوالي عشرة أيام منذ إنطلاقه من الكويت حتى وصلوا إلى الرياض. وكانوا يسيرون ليالٍ ويختفون نهاراً بين الصخور، كثبان رمال الصحراء. وحين وصلوا إلى ضواحي الرياض في يناير سنة ١٩٠٢م كمنوا بين الشجيرات الموجدة هناك حتى خيم عليهم الليل. ولما كان يتحلي عبد العزيز طيلة حياته من إحتفاظ بسر تحركاته فإنه لم يطلع أحد على حقيقة نوایاه حتى تلك اللحظة. وفي هجعة الليل خاطب رفاقه بقوله : أصدقائي الكرام المخلصين . إني عازم علي دخول المدينة والإستلاء عليها الليلة. فمن يرحب مرافقتني فتأهلاً وسهلاً. ومن هو متعدد فليبق في مكانه . وإذا طلع الفجر ولم تتلقوا مني أي كلمة فاهربيوا لإنقاذ حياتكم. وإذا كتب لنا النجاح فمن أراد أن ينضم إلينا فحياة الله.(٧)

بدا طلب عبد العزيز ميوساً منه لدرجة أنه لم يتطوع لدخول المدينة معه إلا حفنة من رجاله في ملبيتهم ابن عمه عبد الله بن جلوى. وقداد الأمير هذه القوة الصغيرة إلى جانب السور كان يعلم أنه مناسب لهدفه . واستطاعت تلك القوة بالحبال والكلاب الحديدية أن تسلق السور وتدخل إلى المدينة دون أن يلاحظها أحد. وكان كثير من بيوت الرياض ملاصقاً لسورها لدرجة أن السور ذاته كان يشكل الجزء الخلفي منها، وحين تسلق الأمير وأصحابه السور وهبطوا علي سطح بيت رجل كان خادماً في القصر أيام حكم أبيه.(٨)

وكانت زوجة ذلك الرجل في حقيقة الأمر قد ربت الأمير في أيام طفولته. ولما نزل مع رجاله من سطح البيت إلى باحته وجدوا المرأة تعتنى بمعزها فصاحت : من هناك؟ فقال لها الأمير» بس . ما فيه غير عبد العزيز «، وحين أدركت أن ذلك كان حقيقة فاضت دموعها من الفرح ودربت به ترحيباً حاراً. فقل لها الأمير: يكفي ما سمعته من كلمات الترحيب وأخبريشي عن كل ما

تعلمين عن عجلان أمير الرياض. ومررت فترة قصيرة قبل أن تدللي المرأة بما لديها من معلومات. وحين هدأت من صدمتها صارت حريصة على أن يشاركها ضيوفها غير المتوقعين حليب معزها. لكن عبد العزيز أصر على أن تجibه أولًا عما طلبه منها فأخبرته أن من عادة عجلان أن ينام ليلاً في القلعة التي كانت بطبيعة الحال موصدة الأبواب كثيفة الحراسة. وبعد صلاة فجر كل يوم يخرج من القلعة عن طريق بوابتها الرئيسية ويدخل بيته مقابلًا لها تماماً كان يمتلكه وتسكنه إحدى زوجاته وكان من الواضح أن تلك اللحظات أنساب وقت لداهمة عجلان . ومن هنا قرر الأمير أن يضرب ضربته خلالها.^(٩)

تسدل عبد الله عبد العزيز ورجاله دون أن يراهم أحد عبر الشوارع الصامتة ودخلوا بيته خالياً قرب بيت زوجة عجلان. ثم صعدوا إلى سطحه وقفزوا من سطح إلى آخر حتى وصلوا إلى بيت الزوجة المذكورة. وبهدوء تام دخلوا غرفتها، وقد عثر أحدهم فايقظها. لكن قبل أن تتفوه بأية كلمة وضع عبد العزيز يده على فمها وهمس إليها أن تصمت، وأخبرها أن حياتها ستكون أمنه إن هي لزمت الصمت والهدوء . وحيينذا خذ هو ورجاله يشربون من قهوة عجلان. وظلوا ينتظرون بزوغ الفجر وظهور عدوهم من القلعة. وكان بناء البوابة الرئيسية للقلعة بناء تقليدياً . كانت كبيرة بحيث تكفي أن يمر عبرها عدد كبير من الرجال والأبل. وفي وسطها خوحة تحت الحراسة الدائمة . وكانت هذه الخوحة مصممة على أساس أن لا يمر عبرها الإنسان إلا إذا أهني رأسه مما يتبع للحارس أن يتغلب عليه دون صعوبة إذا إتضاح أنه غير مرغوب فيه . ولم يكن هناك سوى تسع ياردات بين تلك البوابة وبين بيت عجلان.

وبعد صلاة الفجر ظهر عجلان. كما كان متوقعاً ، عبر خوحة البوابة إلى الشارع. وكان عبد العزيز يراقب تحركه من خلال ثقوب في باب المنزل. وقف

عجلان المغرم بالخيول، كعادته ، يلطف خيله المربوطة خارج القلعة. وكان عبد العزيز قد خطط أن يهجم عليه بعد دخوله إلى منزله، لكن منظر عدوه على بعد خطوات قليلة منه كان فوق ما يستطيع تحمله. وفي صحيحة عنيفه من صيحات الحرب غفت الباب وأنقض على عجلان بهجوم مفاجئ. ومع أن عجلان أخذ على حين غرة فقد أستطاع أن يدافع عن نفسه لمدة كفته أن يتقهقر إلى بوابة القلعة. وبينما كان يهم بدخولها عبر الباب الصغير أمسك به عبد العزيز من ساقه وحاول أن يسحبه إلى الوراء. لكن عجلان إستطاع أن يفلت من قبضته ويلقي بنفسه داخل القلعة حتى وصل إلى مسجدها وعبد العزيز ورجاله يطاردونه بلا هواة. وكان أن قتل داخل المسجد بسيف ابن عم عبد العزيز، عبد الله بن جلوى آل سعود.(١٠)

أما الحامية فقد شلتها المفاجأة عن أية حركة، وكان أغلب رجالها في الطابق الأول من القلعة. وبذلك لم يكن لديهم وقت كاف للنزول ونصرة عجلان، وكانوا جماعة متنافرة التكوين تشمل علي أفراد من قبيلة شمر وبعض الخدم والحرس الشخصيين، وكانوا قد فقدوا معنوياتهم تماماً نتيجة لصدمة الهجوم وموت قائدتهم، كما أنهم خدعوا بجسارة هجوم عبد العزيز فظنوا أنه قد غزا المدينة بقوة كبيرة، وقبل أن يكون لديهم من الوقت ما يكفي للتفكير في القيام بأي عمل مضاد انطلق عبد العزيز بشجاعة إلى وسط الباحة وأعلن نفسه لهم قائلاً: لا معنى للمقاومة الآن بعد موت عجلان. ثم وعدهم بالإبقاء على حياتهم إذا استسلموا وكان أن ألقى رجال الحامية سلاحهم فوراً ووضعوا في زنزانتهم ولم يقتل من أتباع ابن رشيد سوى عشرة رجال، أما أتباع عبد العزيز بن سعود فلم يفقد منهم رجل واحد.

وفي لحظة النصر صعد أحد رجال عبد العزيز إلى أعلى برج في القلعة وأعلن في المدينة: «الحكم لله ثم لعبد العزيز بن سعود أنتم في أمان وضمان».

وهكذا بعد اثنى عشرة سنة من النفي استعاد ذلك الأمير عاصمته من ابن رشيد، وبقي عليه أن يفوز بياده كلها.(١١)

الهوامش:

- ١- محمد المانع، تجديد المملكة العربية السعودية ، ص ص ٤٨-٣٦ .
- ٢- راجع : شاك السعدون، العلاقات بين نجد والكويت ١٢٤١-١٢١٩ هـ . ١٩٢٢-١٩٠٢ م . الرياض، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- ٣- المرجع نفسه وراجع أيضاً محمد المانع ، م.س.ذ.
- ٤- محمد المانع ، م.س.ذ.
- ٥- المرجع نفسه.
- ٦- راجع الرواية أمين سعيد، الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهايته الحديثة، دار الكاتب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ إصدار.
- ٧- محمد المانع ، م.س.ذ.
- ٨- راجع جواهر بنت عبد المحسن بن جلول، دور عبد الله بن جلول آل سعود في تأسيس المملكة العربية السعودية ، رسالة ماجستير بإشراف الباحث، كلية الآداب ، الدمام ١٩٨٨ م.
- ٩- المرجع نفسه.
- ١٠- المرجع نفسه، وراجع أيضاً محمد المانع ، م.س.ذ.
- ١١- محمد المانع ، م.س.ذ.

الفصل الرابع

نجد والكويت

أفادت جهود الملك عبد العزيز آل سعود في توحيد الجزيرة العربية ونقل مجتمعاتها البدوية والقبلية إلى نظام اتسم بالاستقرار والقوة تحت راية مركبة وطنية قوية على أجزاء الجزيرة وسواحل الخليج ذاته، وأصبح ذلك بمثابة محور أساسي في صنع السياسة السعودية.

وقد سبقت الإشارة أن بريطانيا لم تنظر بإرتياح إلى نشوء الدولة السعودية التي نافستها في الخليج ويسقط سيطرتها عليه خلال المرحلة الأولى وفي عهد الأئمة سعود وتركي وفيصل، غير أن الخلافات التي نشبت بين أبناء الإمام فيصل في أواخر القرن الثامن عشر أضعفت الدولة فاستولى ابن رشيد على الرياض سنة ١٢٠٧هـ (١٨٩١م) وسيطر على نجد.

وجدد الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الدولة في سنة ١٩٠١ وظل يواصل بسط نفوذه على أجزاء نجد الوسطي وفي صيف سنة ١٩٠٥م أرتحل إلى الطرف الجنوبي الذي يمثل شبه الجزيرة قطر وبعث برسالة إلى شيوخ ساحل الخليج معتبراً عن أمله في زيارتهم. وتذكر المصادر^(١) أن حكام الشارقة وعجمان ومسقط أعربوا عن مخاوفهم تجاه عبد العزيز، وقد شجعهم بيرسي كوكس المندوب البريطاني في البحرين حيث بعث برسالة تحذير إلى الأمير (الملك فيما بعد) عبد العزيز من أن أي تدخل من جانبه في شؤون ساحل عمان لن يجد ترحيباً من الحكومة البريطانية، وقد رد عبد العزيز على هذا التحذير في شهر فبراير ١٩٠٦ بالرسالة التالية:

عن طريق مبارك شيخ الكويت ...

«تعرف سعادتك أن أهل عمان كانوا على اتصال بنا منذ الأيام التي كنا فيها في الكويت، وكنا نبعث إليهم بالكتب والرسائل ولكنني أقسم بالله أننا لم

نكن مدفوعين إلى ذلك بآية عوامل أو حواجز أخرى، ونحن لم ننشر في هذه الرسالة إلى أية شئون نرى فيها أي ضمير، إلا إذا كانت قد وقعت بعض أمور لم نهتم بها، فوالله لم نكن نقصد أي ضرر أو أذى». (٢)

والواقع أن سياسة عبد العزيز آل سعود كانت ترمي إلى إقامة علاقات ود وتفاهم مع بريطانيا، وكان يرغب في طرد الأتراك من كل القصيم والإحساء، وتقدم بعروضه ثلاثة مرات إلى المقيم السياسي البريطاني في عام ١٩٠٦م، وقد حمل إحداها رسول شخصي وتوسط في ثانيها شيخ قطر، وفي ثالثها شيخ الكويت، وكان يطلب في عروضه الثلاثة إشراكه في نظام الإمارات، غير أن بريطانيا رفضت هذه العروض لأنها كانت تخشي أن يؤدي قبولها إلى ارباك علاقاتها مع الدولة العثمانية. وقد اتجه عبد العزيز بنفسه لصنع الأحداث العامة في شرق الجزيرة العربية حيث انطلق في شهر مايو سنة ١٩١٣ من نجد وطرد الحامية والإدارة التركيتين من الإحساء وأعلن أنه سيحكم هذه المنطقة بعد ذلك التاريخ قائلاً :

«... وها نحن استولينااليوم على بلاد ابانتنا وأجدادنا في الإحساء والقطيف وملحقاتها، وبعث بصورة من هذا الإعلان إلى بيرسي كوكس المقيم البريطاني في الخليج في ١٣ يونيو ١٩١٣ وأضاف قائلاً (٣) :

«وبالنظر إلى مشاعري الودية تجاهكم، أود أن تكون علاقاتي معكم كالعلاقات التي كانت قائمة بينكم وبيني أسلافني، كما أود أن تظل قائمة بينكم وبين».

وأجاب بيرسي كوكس على هذه الرسالة في ١١ سبتمبر من نفس العام قائلاً :

«أنا مخول من حكومتي أن أؤكد لك، أذلك إذا تعهدت من جانبك بالإمتناع عن كل عمل يؤدي إلى اضطراب الوضع الراهن أو إلى إثارة القلق لدى الإمارات العربية التي يرتبط حكامها بالحكومة البريطانية في علاقاتهم، وبينها إمارة قطر، التي اعترفت الحكومة البريطانية والتركية مؤخراً باستقلالها تحت حكم آل ثاني، فإن الحكومة البريطانية ستواصل الحفاظ على العلاقات الودية التي كانت قائمة في الماضي».

وعموماً فإن إمارات الساحل قد شعرت بشيء من القلق، وتشاور شيخاً أبي ظبي ودبي - وكان الأول قد حصل علي موقف متميز في البريمي - من أن النشاط السعودي يأخذ في التزايد، وكان الأمير عبد العزيز يعمل بإصرار على تثبيت سيطرته علي الإحساء، وتذكر المصادر^(٤) أنه كان بإمكانه اغتنام فرصة الأضطرابات السياسية في الجنوب الشرقي في منطقة عمان، غير أن ذلك كان بعيداً عن تفكير الأمير الشاب لانشغاله في هذه الأونة بمرحلة تثبيت حكمه^(٥) وهو ما يتضمن وقفة للتقسيم والتحليل.

فقد امتدت سيطرة عبد العزيز آل سعود علي جميع المناطق الممتدة إلي الجنوب من الرياض حتى الرابع الخالي، وأما إلي الشرق فقد امتدت حدوده إلي منطقة الحساء - كما سبقت الإشارة - غير أن الأتراك كان بإمكانهم مساعدة آل الرشيد لوضع العاقل أمام انتصارات آل سعود، وكان الأتراك راغبين في إبقاء نجد بعيدة عن الاتصال بالبحر، وإلي الغرب كانت الحجاز اقليماً تابعاً للأتراك، وكان حاكمها الشريف حسين «اللعوبة في أيديهم»^(٦)، ومع أنه لم يكن لديه حينذاك أي سبب لعداء عبد العزيز آل سعود فقد كانت تدور في نفسه آمال لحكم جميع جزيرة العرب، ومن هنا بدأ من المحتمل حدوث نزاع بين الطرفين حيث اتضح أن الشيخ مبارك كان ينظر بحسد إلي النجاح المفاجئ الذي حققه عبد العزيز حيث شهد العقد الأول من القرن العشرين

العديد من الانتصارات التي حققها وصولاً إلى المبادرة التي سبقت الإشارة إليها في مواجهة الأتراك في الأحساء عندما قاد جيشه في هجوم لاي ناجح على مدينة الهفوف، ولم يكن في بقية منطقة الأحساء إلا جنود أتراك قليون، ونجح عبد العزيز في الاستيلاء عليها وضم بذلك منطقة واسعة جديدة إلى حكمه ووجد مدخلًا إلى الخليج العربي ابتداءً من جنوب الكويت حتى شمالي قطر بعد أن نجح عبد العزيز في تهدئة القبائل وسيطر بذلك على ساحل الخليج العربي بأسره من الكويت حتى البحرين ولم يعد يتعرض أبداً للمضايقة بسبب الهجمات التركية وأدى نجاح عبد العزيز آل سعود إلى استيلاء الباب العالي في الدلة من هذا الجزء من شبه الجزيرة العربية.

تم توقيع اتفاق بين بريطانيا والدولة العثمانية في ٢٩ يوليو ١٩١٣ م يتم بموجبه انسحاب الحامية التركية من قطر، وكان هذا بمثابة رسالة لعبد العزيز آل سعود بشأن عدم تطلعه إلى قطر بعد نجاحه في الاستيلاء على القطيف ومنطقة الأحساء، واقتصرت وزارة الخارجية البريطانية على وزارة الهند في شهر أكتوبر من السنة نفسها ما يلي:

«يجب اصدار التعليمات الى السير بيرسي كوكين بأن يوضح لعبد العزيز آل سعود، الذي سيفهم الرسالة ويقدرها حتماً، بأن اتفاقنا مع تركيا سينفذ طبعاً بعد فترة قصيرة من ابرامه، وأن حكومة جلالته تتوقع أن يتم هذا الإبرام قبل إنتهاء العام الحالي» (٧).

وتذكر المصادر أن عبد العزيز آل سعود لم يبد اهتماماً كبيراً بهذا الاتفاق لأنه كان منصرفاً إلى تسوية علاقاته مع الباب العالي على أساس ثابت، وانتهت المفاوضات بين الطرفين إلى اتفاق تم التوقيع عليه في ١٥ مايو ١٩١٤ اعترف به عبد العزيز آل سعود بالسيادة العثمانية على نجد والحساء وبتعيينه والياً عثمانيأً على نجد طيلة حياته على أن يرثه في الحكم

أولاده وأحفاده. وأشار الاتفاق إلى أجداده على أنهم من الولاد، وتعهد عبد العزيز آل سعود بأن لا يتدخل أو يتعامل في الشئون الخارجية وأن لا يعقد معاهدات دولية أو يمنح أية امتيازات إلى الأجانب. (٨) وقدم السفير العثماني في لندن مذكرة إلى وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ٩ يوليو سنة ١٩١٤ يؤكّد تعيين عبد العزيز آل سعود واليًا عثمانياً في نجد قائلاً:

«صدر فرمان عثماني بتعيين ابن سعود حاكماً عاماً وقائداً في نجد وليس من حقه أن يعقد أية مواثيق أو يقيم أية ارتباطات مع الدول الأجنبية وعلى ابن سعود في جميع الأحوال أن يحترم جميع المعاهدات المعقودة بين الامبراطورية العثمانية والدول الأخرى» (٩).

استمرت الخلافات بين الحكومتين البريطانية والعثمانية بشأن الحدود الشرقية لنجد طوال عامي ١٩١٣، ١٩١٤ دون الوصول إلى تسوية مرضية، ومع قيام الحرب العالمية الأولى ونشوب الحرب بين بريطانيا والأمبراطورية العثمانية في ٢١ أكتوبر ١٩١٤ فقد ارتضى الباب العالي بالخط الأزرق كحدود صحيحة لمتلكاته في شرق الجزيرة العربية، وكانت الحكومة العثمانية قد أبرمت في ٥ يونيو ١٩١٤ معاهدة تضمنت المادة الثالثة منها إشارة إلى الخط الأزرق تقول فيها:

«...وفي الجنوب الغربي يسير خط حدود المتلكات العثمانية في شكل خط مستقيم من المكان المسمى بكلمات الشعوب متوجهاً إلى الشمال الشرقي في صحراء الربع الخالي مع ميل يقدر بخمس وأربعين درجة وينضم هذا الخط داخل الربع الخالي إلى خط الدرجة ٢٠ الموازي له، ويسيران معاً باتجاه اليمين والي الجنوب إلى أن يصلا في الجنوب الي نقطة تقع على خليج القصیر، وتفصل بين اراضي سنجق العثماني وأراضي قطر، وفقاً للمادة ١١

من الميثاق الإنجليزي - العثماني المعقود في ٢٩ يوليو ١٩١٣ والمتعلق بأراضي الخليج والمناطق المجاورة (١٠) لها».

وقد تم إبرام المعاهدة السابقة بعد بضعة أسابيع من تفرغ عبد العزيز آل سعود من التوقيع على اتفاقه مع الباب العالي، وأصبح ملتزماً بإحترام المعاهدة واحترام الخط الأزرق الذي اكتسب وضعًا قانونياً بموجب معاهدة عام ١٩١٤، وكان الخط الأزرق يتفق تماماً مع حدود السلطة الفعلية لعبد العزيز في الشرق، وكان هو نفسه في رسالته إلى بيرسي كوكس المؤرخة في ١٣ يونيو ١٩١٣ قد حدد أراضي أبياته وأجداده خارج نجد بأنها الاحسأ والقطيف وتوابعهما. غير أن المصادر السعودية تذكر أن عبد العزيز لم يكن ملتزماً بمعاهدة عام ١٩١٤ لأنّه كان قد انفصل عن السيادة العثمانية في شرق الجزيرة العربية نتيجة طرد الأتراك من الاحسأ، وتستطرد المصادر السعودية قائلة: «ولقد بات وحده في عام ١٩١٤ صاحب الصلاحية في التعامل بالنسبة للمناطق التي يمر فيها الخط الأزرق إلا إذا كان هو - أي عبد العزيز - قد خول تركياً (١١) بوسيلة أو بآخر - بالتصريف نيابة عنه».

من الأرجح أن الأمير عبد العزيز كان متبعاً للتغيرات الدولية سواء تعلق ذلك بالمتغيرات السائدة عشية الحرب العالمية الأولى أو خلال الحرب أو بعد انتهائها وتفسير ذلك أن الأوضاع الدولية لم تكن في صالح الدولة العثمانية عشية الحرب، وقد ذكر الكابتن ليشمان Leuchman والذي زار الأمير عبد العزيز في ديسمبر ١٩١٢ أنه كان مهتماً بأخبار حرب البلقان وتطوراتها كما أنه حاول أخفاء خططه بشأن منطقة الاحسأ خوفاً من معارضه بعض القبائل القاطنة في المنطقة حتى كان هجومه المفاجئ الناجح عليها. وعند بداية الحرب العالمية الأولى أصبح عبد العزيز أقوى حاكم في الجزيرة العربية وخاصة من وجهاً نظر بريطانيا التي لم تعد تغفل أهميته بعد أن تمكّن من

ضم معظم منطقه الاحساء والحصول على منفذ بحري على الخليج العربي، ولدي احراز الدولة العثمانية بعض الانتصارات العسكرية المبدئية في بداية الحرب بالإضافة إلى عديد من الاعتبارات (١٢)، فقد قامت الحكومة البريطانية بإرسال قطاعات عسكرية من الجيش الهندي إلى الخليج العربي بهدف حماية أنابيب النفط (١٣) وأمد دقاءً في المنطقة، وبدأت المواجهة بين القوات البريطانية والقوات العثمانية في العراق في نهاية أكتوبر ١٩١٤ وأنتهي ذلك باحتلال الفاو عند مدخل شط العرب والبصرة من قبل بريطانيا.

وفي ٢ أكتوبر ١٩١٤ قامت الحكومة البريطانية بإرسال الكابتن شكسبير لكسب ود الأمير عبد العزيز إلى جانب بريطانيا ضد الاتراك. ومن الثابت أن هذه الخطوة تعتبر تحولاً كبيراً في سياسة بريطانيا تجاه عبد العزيز حيث كانت السياسة البريطانية تعتبره حاكماً داخلياً، وقد سبقت الإشارة أن هذه الفكرة بدأت تتغير عندما تمكن عبد العزيز من خصم الاحساء، وقد اعقبت رحلة شكسبير زيارة الميجير نوكس Knox المقيم البريطاني في الخليج باتخاذ خطوة أخرى بأن أرسل خطاباً إلى عبد العزيز يطلب منه التعاون مع شيخ الكويت والمحمرة في احتلال البصرة مقابل تعهد بريطانيا بصد أي اعتداء يقوم به الاتراك عن طريق البحر أو البر إلى الاعتراف به كحاكم مستقل في نجد والاحساء ومن ثم إبرام معاهدة معه تثبت رسمياً تلك المقترفات، غير أن عبد العزيز لم يقم بأي عمل عسكري لإحتلال البصرة، واتخذ جانب الحياد، وبدأ يقوى نفسه داخلياً. (١٤)

دارت عدة مناقشات لمحاولة اقناع عبد العزيز كي يدعم موقف بريطانيا ضد تركيا، إلا أن شكسبير قتل في ٢٤ يناير ١٩١٥ في موقعه جراب، وواصل السير بيرسي كوكس Cox هذه المجهودات وتمت مناقشة بعض الاقتراحات البريطانية كالسماح للبواخر التجارية البريطانية بزيارة المواني

ال سعودية وإنشاء مراكز بريد وتغريف وحماية طريق الحج في منطقة نفوذ الأمير عبد العزيز، غير أنه اعتبر ذلك بمثابة تدخل في شئونه الداخلية إذ أن حماية طريق الحج في منطقة نفوذه أمر تمليه عليه العقيدة الإسلامية والمصلحة الوطنية ، ولهذا فهو غير مقتنع بنصيحة بريطانيا بهذا الشأن، وبعد مفاوضات مضنية، تم التوقيع على معااهدة (دارين أو القطيف أو العقير) في ٢٦ ديسمبر ١٩١٥ والتي اعترفت بريطانيا بموجبها بالأمير عبد العزيز أميراً على نجد والاحساء وتقديم مساعدات مالية وعسكرية علي أن لا يقوم بالإتصال بدول أخرى أو عقد معااهدات إلا بعد موافقة بريطانيا، ويري بعض المؤرخين أن هذه المعااهدة كانت مجحفة في حق الأمير عبد العزيز، ولكن ظروفه المحلية جبرته على قبولها، وعندما تمكّن فيما بعد من توسيع رقعة حكمه ونفوذه وضم الحجاز فقد سارع إلى إلغاء معااهدة العقير في إتفاقية جدة سنة ١٩٢٧ والتي اعترفت به بريطانيا رسمياً ملكاً على الحجاز ونجد، وتمكن بذلك من حرية الإتصالات الخارجية وعقد معااهدات مع الدول الأخرى دون التقيد بالشروط السابقة في معااهدة العقير، وأصبح بذلك مستقلاً عن نفوذ بريطانيا وغيرها (١٥).

وتجرد الإشارة أن سياسة بريطانيا عشية وخلال الحرب العالمية الأولى تجاه الأمير عبد العزيز كانت تسير نحو تحقيق مصالحها بالدرجة الأولى في الخليج العربي، وكان الأمير متبيّضاً لهذه السياسة، ويمكن توضيح ذلك في الإعتبارات الأساسية الآتية. فقد أرسلت بريطانيا مندوبيها في الكويت المير ديكسون Dikson إلى نجد للتقطي الحقائق عن أهداف الأمير عبد العزيز، إذاء تشجيع القبائل على الإستيطان في الهجر وتنقيفهم ثقافة دينية ومحاولة إقناعهم بالإرتباط بالأرض والإعتماد بالزراعة، ومن الأرجح أن تلك المبادرات لم تلق الاستحسان من جانب بريطانيا التي أرسلت مندوبيها في الكويت المير

ديكسون Dison ايتقصي الحقائق على أهداف الأمير عبد العزيز، ومن جهة أخرى فإن بريطانيا في محاولة إقناع عبد العزيز للتوجه صوب حائل، كانت أيضاً تؤيد الشريف حسين في سياساته وهو ما وجده عبد العزيز فرصة تتواكب مع مصالحة في نجد فقام بإنشاد قوات كبيرة والإتجاه إلى حائل ومحاصرتها.

غير أن السياسة البريطانية الرامية إلى تحقيق مصالحها بالدرجة الأولى قد بدأت تقلل من تأييد الأمير عبد العزيز عندما بات لبريطانيا أن إنتصرت على الدولة العثمانية أصبح وشيكاً، غير أن الأمير عبد العزيز كان متيقظاً لهذه السياسة الرامية لفك حصاره على حائل، فسارع في تشديد الحصار حتى يفوت الفرصة على المخطط البريطاني الذي كان يهدف إلى تقسيم الجزيرة العربية إلى دولات صغيرة يمكن في المستقبل السيطرة عليها، وكانت وجة النظر البريطانية تتلخص في أن عبد العزيز إذا ما تمكّن من ضم تلك المنطقة إلى دولته فإن هذا سوف يشكل تهديداً مباشراً لمصالحهم في الخليج بصفة عامة، وبما يفسر هذا عدم حماس بريطانيا لانتصارات عبد العزيز خوفاً من أن يتحول إلى الحجاز فيما بعد. (١٦) .

خرجت سلطنة نجد في نهاية الحرب العالمية الأولى أكثر ثباتاً واستقراراً بسبب قوة شخصية الأمير عبد العزيز ومهاراته السياسية والعسكرية وجهوده الناجحة في بسط سيطرته على مناطق من شبه الجزيرة العربية لتوحيد أجزاءها، وتم وضع حدود سلطنة نجد مع العراق في بروتوكول ملحق بمعاهدة المحمرة التي أبرمت في ٢ ديسمبر ١٩٢٢، كما تم وضع حدودها مع الكويت في معاهدة العقير في نفس التاريخ(١٧) غير أن الحدود الشرقية للسلطنة لم توضح، وقد أجري عبد العزيز مع بيرسي كوكس مفاوضات العقير، وكنا متتفقين ضمناً على أن الخط الأزرق الذي نصت عليه الإتفاقيات الإنجليزية العثمانية السابقة هو الحد الفاصل في الشرق لسلطنة نجد، وتذكر المصادر

أن محاولات بيرسي كوكس قد نجحت في وضع منطقة محايدة بين الكويت ونجد وقد تم التوصل إلى اتفاق لا يزال قائماً حتى الان وهو يقضي وقفه للتفصير والتعليق نظراً لأن تخطيط الحدود السعودية الكويتية يعتبر نماذجاً يحتذى به في منطقة الخليج.

فقد ساعد على نجاح تخطيط هذه الحدود أن العلاقات الأسرية القديمة بين آل سعود وأل الصباح قد إسمت بالوئام، فقد تم تخطيط هذه الحدود في مشروع إتفاق ١٩١٣ بين بريطانيا والدولة العثمانية حيث حالت ظروف الحرب العالمية دون التوقيع عليها، وكانت بريطانيا قد أعلنت نجد كدولة مستقلة عام ١٩١٥، وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى، ثارت مشكلة الانتهاء إلى حدود واضحة بين سلطنة نجد والكويت وذلك في إطار تسويات الحرب بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية، وقد سبقت الإشارة إلى قيام مؤتمر العقير ببحث مسألة الحدود العراقية السعودية حيث كانت بريطانيا تعني بشئون العراق في إطار نظام الإنذاب، تضمنت إتفاقية العقير في ٢ ديسمبر ١٩٢٢ قسماً خاصاً بالحدود السعودية الكويتية يقضي بإقامة منطقة محايدة مساحتها ٢٠٠٠ ميل مربع، وتنص الاتفاقية على أن لكل من الحكومتين حقوقاً متساوية في المنطقة المحايدة.

وتذكر المصادر(١٧) في تقييم هذه الاتفاقية أنها مع كونها قد ابتدعت أسلوباً أصبح نموذجاً ناجحاً لتخطيط الحدود في الحالات المماثلة، إلا أنها لم ترسم نظاماً معيناً أو إدارة معينة للمنطقة، وربما يرجع ذلك إلى ظروف الحدود السعودية العراقية وأن الحدود بين الدولتين كانت تشمل مساحة شاسعة لم تكن آهلة بالسكان فضلاً عن أن النفط لم يكن قد تفقد بعد، وبالتالي لم تكن هنا عملية لضبط نظام إدارة المنطقة، وهكذا ظلت سيادة كل من السعودية والكويت في المنطقة المحايدة دون تحديد دقيق، ولم تحدد

الإتفاقية طريقة معينة لممارسة هذه السياسة، فذلك أشبه بنظام السيادة المشتركة، ومع تزايد عمليات الكشف عن النفط ظهرت الحاجة الماسة إلى وضع نظام دقيق لإدارة المنطقة المحايدة (١٨)

على أن مشكلات الحدود بين نجد والكويت ونجد والعراق من ناحية أخرى قد شهدت تطورات حاسمة منذ بداية الخلافات في هذه الفترة وخاصة نظراً لدور بريطانيا وهي ما تقضي إستعراض في تفصيل غير قليل .

فقد كانت أولى بوادر الخلافات بين نجد والكويت هي منطقة بلبول (١٩) وقد بدأ الخلاف حين قرر الشيخ سالم أن يبني قصراً هناك، وقد إختلفت الآراء في أسباب إقدامه على هذا العمل، حيث بعث الأمير عبد العزيز آل سعود خطاباً إلى الوكيل السياسي البريطاني في الكويت «الميجر مور» يخبره أن منطقة بلبول تقع ضمن أراضي القطيف، غير أن الشيخ سالم أكد أن بلبول ضمن أرض الكويت ولا علاقة لها بالقطيف واستند في ذلك إلى بنود المعاهدة البريطانية العثمانية لسنة ١٣٢١هـ / ١٩١٣م والتي جاء فيها أن بريطانيا تعترف بسيادة الدولة العثمانية على الكويت والتي تضم الأراضي والجزر المجاورة حسب أراء الشيخ مبارك آل الصباح وتكون قضاهاً ممتعاً بالإستقلال الذي ضمن أراضي الدولة العثمانية، وإستطرد الشيخ مبارك قائلاً أن الهدف من ذلك هو التدخل في شئون الكويت وعدم إرسال جنود هناك . غير أن هذه المعاهدة لم تبرم بصيغتها النهائية حيث حال قيام الحرب العالمية الأولى دون سريان مضمونها كما سبق الإشارة، وربما يفسر هذا بقاء مشيخة الكويت دون حدود معينة تفصلها عن نجد لاسيما وأن معاهدة دارين (صفر ١٣٢٤هـ / ديسمبر ١٩١٥م) والتي عقدت بين بريطانيا وابن سعود قد أشارت في مادتها السادسة إلى أن الحدود، ستعين فيما بعد، مما يعني أن بريطانيا كانت تعترف بعدم وجود تلك الحدود، فضلاً عن كونها غير نهائية بالرغم من إيضاح

ذلك في مشروع الإتفاقية المذكورة، ومع ذلك فإن الشيخ سالم عدل عن إنشاء قصر في منطقة بليبل (٢٠)

تجدد الخلاف على الحدود مرة أخرى حين هاجرت مجموعة من الإخوان يقودهم «ابن شقير» إلى مكان يدعوه «قرية». وشرعوا في تأسيس بعض «الهجر» لهم، وقد اعترض الشيخ سالم وحضر قائلاً مجموعة الإخوان من الإستمرار، غير أن قائد المجموعة أجابه بأن لن يكف عن البناء مالم يرد إليه أمر صريح من الملك عبد العزيز، وقد عرض الشيخ سالم ذلك الأمر على الوكيل البريطاني في الكويت الذي أبرق إلى الحاكم الملكي البريطاني في بغداد في ٥ شعبان ١٣٢٨هـ / ٢٣ إبريل ١٩٢٠م دون أن يتلقى منه ردًا، وتورد المصادر، أن السبب في يعود إلى عدم إهتمام المندوب السامي البريطاني في بغداد بالامر ظناً منه أن هذا الأمر من الأمور المألوفة بين البدو في البارية، ودبما يرجع عدم الرد أيضًا إلى إنشغال السلطات البريطانية في العراق بالأوضاع غير المستقرة، وقد تطور هذا الخلاف إلى إصطدام مسلح في واقع حمص، وهي ما يقتضي وقفة للفتوى والتعليق حول ظروف هذه الواقع.

فقد سبق الإشارة إلى تباين الآراء حول أسباب هذا الخلاف، وكان من البديهي أن ابن شقير عندما رفض تهديدات الشيخ سالم وشرع في إقامة بضعة أكواخ من الطين يستعداداً للإقامة في فصل الصيف، أن يقوم الشيخ سالم بتصعيد الموقف وهو ما حدث بالفعل عندما أرسل قوة تحت قيادة الشيخ علي بن خليفة الدعيج، ويدرك السعدون (٢١) أن شعور الشيخ سالم بالإحباط لعدم إستجابة السلطات البريطانية لشكواه فضلاً عن غضبه من رد ابن شقير العنيف عليه جعله يفضل الاعتماد على قوته الذاتية لإنهاء المشكلة، في حين يذكر حسن سليمان . أن بن سعود حث طائفة من مطير بالإغارة على أطراف الكويت، مما جعل الشيخ سالم يرسل قواته إلى حمص، حيث أثار قوات

الشيخ سالم مخاوف ابن شقير من أن يؤخذ على غرة، فاستجد بفيصل الدرويش والذي أمده بقوة من الإخوان.

وأشتبكت القوتان في قتال انتهي بهزيمة قوات الشيخ سالم، ونجا عبد الله الجابر الصباح بما يشبه المعجزة، وقد أختلفت الأراء حول مسؤولية الملك عبد العزيز عن أحداث حمص، ففي حين يذكر حسين سليمان، أن ابن سعود أو عز من طرف خفي إلى فيصل الدرويش بالهجوم، فإن خرزل . يذكر أن الأمير عبد العزيز كتب إلى فيصل الدرويش يحذر من غارته علي قوات الشيخ سالم، أما أمين الريحاني يورد أن ابن سعود كان يجهل ما يدور هناك وأوضح السعدون، أن الرواية الكويتية تحمل ابن سعود المسئولية الكاملة وأن الهجوم تم بعلمه، وقد ترك ذلك أثراً حذراً علي الشيخ سالم وراجت الإشاعات باقتراب هجوم على الكويت، فأمر الشيخ سالم ببناء سور للدفاع عن المدينة وكان له ذلك (٢٢).

جاء رد فعل بريطانيا علي هذه الأحداث ممثلاً في إنتقال الوكيل البريطاني في الكويت إلي بغداد لإجراء مفاوضات مع الحاكم العام أرنولد ولسن في ١٨ مارس ١٩٢٠ ، وبعد عودته قام بتسليم الشيخ سالم خطاباً من الحاكم البريطاني العام فيه: «أن الحكومة البريطانية جادة في سعيها لتبسيط الحدود بين نجد والكويت، وأن الميجر مو قدكلف بشرح ذلك لك» وأشار الوكيل البريطاني في الكويت علي الشيخ سالم بتسوية سلمية لهذه الخلافات.

غير أن الطرفين فشلا في الوصول إلي تسوية مباشرة من خلال المراسلات بينهما وقد أورد السعدون أن السلطان عبد العزيز أرسل إلي الوكيل البريطاني في البحرين في ٢٨ يوليو ١٩٢٠ يطلب منه تولي الأمر، بينما أورد خرزل أن الحاكم البريطاني العام في بغداد قد أبرق إلي الوكيل البريطاني في البحرين كي يتصل بالسلطان عبد العزيز والشيخ سالم بأن

يقوما تأكيد كتابيا مسبقاً بأنهما سوف يلتزمان بما تنتهي إليه الوساطة من قرار، وقد رد الشيخ سالم بخطاب يوافق على تعين الحدود ويطلب دراسة أسباب الخلافات وجذورها، كما وافق الشيخ سالم على توقيع التعهد بالإلتزام بما تنتهي إليه الوساطة وأرفق ثلاثة تضمن الأول حدود الكويت كما يتصورها الشيخ سالم، أما الثاني فتضمن هجوم الدرويش على حمص، في حين تضمن الملحق الثالث مواد الصلح بينه وبين السلطان عبد العزيز. أما بالنسبة للسلطان عبد العزيز فقد وافق على الوساطة البريطانية بشرط أن يسحب سالم قواته في الجهراء، وأن لا يقترف أي عمل عدواني، وبال مقابل فإنه - أي عبد العزيز - سيقوم بسحب قواته من الحدود الكويتية، وفي خلال هذه الفترة، رأت بريطانيا أن السير Арнولد ولسون لا يمكن الإستفادة من خدماته في العراق بسبب الثورة العراقية، وأرسلت بريطانيا السير بيبرسي كوكس Percy Cox إلى العراق، وفي طريقه اجتمع كوكس بالسلطان عبد العزيز ثم عرج على الشيخ سالم في الكويت، وقد تمكّن كوكس من الإلقاء بوجهتي نظر الطرفين حول الخلافات القائمة بينهما. غير أن تصاعد الأحداث الإقليمية بدءاً بشورة العراق في يونيو ١٩٢٠ ومروراً بفقدان الملك فيصل عرشه في سوريا بعد ميلسون في العام نفسه وتأثير الأوضاع الإقليمية بهذه الأحداث بشكل أو باخر، أن تصاعدت الأحداث أيضاً بين الكويت وابن سعود وصولاً إلى الصدام المباشر في معركة الجهراء. (٢٣)

أختلفت الآراء حول مسؤولية السلطان عبد العزيز عن هذه المعركة، فالرواية الكويتية تذكر أن بن سعود أصدر أمراً صريحاً إلى الدرويش بمهاجمة الجهراء وهو أمر تشير إليه الروايات السعودية التي أكدت بالقول أن ابن سعود أصدر أمر للدرويش بإيقاف إخوانه في قرية وذلك دون أن توضح إن كان الدرويش قد تحرك بمبادرة شخصية منه أو بأمر من ابن سعود، وقد

سبقت الإشارة إلى الوكيل السياسي البريطاني في البحرين سنة ١٩٢٠ وهي مبنية على رسالة كان قد بعثها له الدرويش تظهر تحركاته وكائنها بمباركة شخصية منه بعد أن لاحظ أن قوة الإغارة الكويتية قد توغلت داخل حدود نجد إلى مسافة لا تتعدي أكثر من مسيرة يوم ونصف يوم عن الرياض نفسها، ثم عاد إلى الجهرة ومعها الفنائم التي حصلت عليها مما جعل الدرويش والقبائل التي أضيرت من هذه الغارات تزحف خلف قوة الإغارة الكويتية لاسترجاع هذه الفنائم.^(٢٤)

وعموماً فقد شن الإخوان هجومهم على الجهرة، مما أضطر الشيخ سالم إلى سحب قواته والتحصن في القصر الأحمر، وقبل الشيخ سالم شروط الإخوان فانسحب فيصل الدرويش إلى الصبيحة، وعاد ابن الصباح إلى الكويت وطلب من بريطانيا حماية بلده، وبالفعل سيطرت السلطات البريطانية على الموقف وطالبت قوات السلطان عبد العزيز بالانسحاب الفوري واعتبار الصبيحة غير محتملة من أي من الطرفين، وطالبة الشيخ سالم بعدم ارسال أي تعزيزات إلى الجهرة، ثم تفرغت السلطات البريطانية إلى الجهود السياسية الأساسية في محاولة تسوية النزاع من جذوره. وقد سعى شيخ الحمرة - خزعل - للتوسط في عقد صلح بين الطرفين، وقد وافق السير بيرس كوكس على ذلك، وكانت بريطانيا مشغولة بتصفية آثار الثورة الدامية في العراق والإعداد لقيام النظام الملكي هناك. و Ashton طرط بريطانيا على الشيخ خزعل عدم تضمن الصلح لموضوع الحدود بين نجد والكويت حيث سيترك ذلك لوجهة النظر البريطانية ويظهر هذا الشرط حرص السياسة البريطانية على عدم إنجاز أي أمر من وراء ظهورها وذلك بهدف تحقيق مصالحها الحالية والمتوقعة. وقد ترأس الوفد الكويتي ولـي العهد أحمد الجابر الصباح، وذكر السلطان عبد العزيز أنه يمكن الصداقة لشعب الكويت وآل الصباح، غير أنه ابدى عدم

ارتياحه تجاه الشيخ سالم الذى تسبب فى تصعيد الموقف وتأزمه بين البلدين، غير أن وفاة الشيخ سالم فى ٢٧ يناير ١٩٢١ قد فتح المجال أمام علاقات ودية مت坦مية بين الجنبين، وفي تقدير معركة الجهراء يرى خالد السعدون أنه ليس من السهل التعرف على الشرارة التى اشعلت فتيل الصدام بين الطرفين فالرواية الكويتية لا تضع سبباً واضحاً لتحركات القوات النجدية ضد الكويتوىشير جميعها إلى أن العمليات الحربية بدأت بأمر صريح أصدره ابن سعود إلى قائد «فيصل الديوش» يقضى بأن يهاجم الجهراء وتشير الرواية السعودية بالمقابل إلى أن تحركات القوات النجدية بدأت حين علم ابن سعود بأمر القوة الكويتية التى وضعت تحت قيادة «دعيع الصباح» و«ابن طواله» والتي سيرها سالم نحو قرية فأصدر ابن سعود أمره إلى فيصل الديوش بالسير على رأس قواته من «الأرطاوية» إلى قرية لتعزيز القوة المدافعة عنها ضد العدوان المحتل. ويبدو أن الرواية الأخيرة هي الأقرب إلى الصحة استناداً إلى قول ورد على لسان أحد آل الصباح من عاصر الأحداث واشتراك فيها ونصه: «أن القوات الأخوان بقيادة الديوش خرجت لنجد ابن شقيق وجماعته فى جريدة»^(٢٦).

ويحذى السعدون ضرورة التحقق مما نصت عليه الرواية الكويتية من أن ابن سعود أصدر أمراً صريحاً للديوش بمهاجمة الجهراء. وهو أمر لا تشير له الرواية السعودية التي اكتفت بالقول: إن ابن سعود أصدر أمراً للدرويش بإنجاد أخوانه في قرية دون أن توضح لنا إن كان تحرك الديوش فيما وراء قرية قد تم بمبادرة شخصية منه أو بأمر من بن سعود نفسه. ولكن رسالة بعثها ابن سعود إلى الوكيل السياسي البريطاني في البحرين بتاريخ ١٢ صفر ١٣٣٩ - ٢٦ أكتوبر ١٩٢٠ وهي مبنية على رسالة بعثها له فيصل الديوش بتاريخ ٣٠ محرم ١٣٣٩هـ - ١٣ أكتوبر ١٩٢٠ م تظهر تحركات الديوش وكأنها

تُمَت بمبادرة ذاتية منه بعد أن رأى أن قوة الغزو الكويتي تُكَوِّن تهديدًا داخل نجد إلى مسافة لا تبعد أكثر عن مسيرة يوم ونصف اليوم عن الرياض نفسها وعادت من غزوها إلى الجهرة تسوق أمامها الفنائِم التي كسبتها، مما جعل الدرويش والقبائل المنهوبة تزحف لاسترجاع الفنائِم. ويعلل السعدون^(٢٧) ذلك قائلاً: «وربما لم يرد ابن سعود وهو السياسي المحتك أن يعترف للسلطات البريطانية بما وقع فعلاً فيكون معنى ذلك اقراره بأنه خرق اتفاقه معها والقاضي بعدم تدخله في شؤون محمياتها الواقعة على الخليج، أو ربما أن ذلك هو ما وقع بالفعل نتيجة لما هو معروف في شخصية الدرويش من عنف وتسريع».

وعموماً فقد شنَ الأخوان هجومهم على الجهرة صباح يوم السابع والعشرين من محرم سنة ١٣٣٩هـ الموافق العاشر من أكتوبر ١٩٢٠ واندفع الأخوان نحو هدفهم في أرض مكشوفة غير مبالين بالنيران الحامية التي كانت تصليهم بها القوات المدافعة التي تمرست خلف الجدران، ويبدو من روايات شهود العيان أن هجوم المشاة لم ينصب على جهة واحدة بل توزع على عدة جهات من القرية، بينما تكفل خيالة الأخوان بتشتيت شمل خيالة المدافعين الذين أوكلت لهم مهمة حماية جناحِي القوة المدافعة. ولقد كان هجوم الأخوان عنيفاً ومستميتاً لدرجة لم يستمر معها القتال أكثر من ساعات معدودات بدأت على أثرها الهزيمة حين فوجئ سالم واتباعه المتخصصين في الجزء الجنوبي الشرقي من القرية بالأخوان أمامهم وجهاً لوجه حيث جرت بين الطرفين معركة قصيرة اضطر بعدها سالم للانسحاب مع من نجا من اتباعه والتحصن في «القصر الأحمر» فانتشرت أثر ذلك الفوضى في بقية القوات المدافعة في مواضع أخرى واندفع افرادها بغير نظام ينشدون السلامة، حيث إلتجأ أغلبهم إلى القصر الذي تحصن فيه سالم. والشيء الملفت للنظر كما يرى السعدون^(٢٨)

أن القوات الكويتية قاتلت ذلك اليوم دون أن يكون بينها تسيق أو اتصال للقوات دون أن يدرى المدافعون عن أحد الواقع بالأمر فظلاً مرابطين في أماكنهم وكأن شيئاً لم يكن.

ويستفاد من رواية الريحاني وهو الميال لوجهة النظر السعودية أن الديوش هو البادي، وقد أكد ذلك ديكسون الذي كان يشغل آنذاك منصب الوكيل السياسي البريطاني في البحرين، وقد روى خرزل^(٢٩) أن الدرويش مال للمفاوضات لأسباب إنسانية حين أخبره أحد المتفقين لخدمته بالحال السيئة التي كان عليها المحاصرون في القصر بعد أن دخله بموافقة الديوش لقناع أخيه الذي كان بين المحاصرين بالخروج من القصر. وسواء أكان الذي اقترح الدخول في المفاوضات هذا الطرف أو ذاك، فإنه يمكن القول كما يرى السعودون أن الطرفين معاً كانوا بحاجة لها نتيجة للموقف الصعب الذي كانوا فيه، فقد عرفنا حال المحاصرين في القصر والتي لم تكن أسوأ كثيراً من حال الطرف الثاني الذي كان يعاني من كثرة الخسائر التي قدمها أثناء القتال إضافة إلى الخوف الذي سيطر عليه من نفاذ الذخيرة والمؤن.

ابتدأت المفاوضات في عصر نفس اليوم حين جاء رسول من الديوش اسمه «مطلق بن مسعود» وأخبر سالماً بأن من المقرر أن يقوم الإخوان بالهجوم على القصر تلك الليلة.

وأشار ديكسون إلى أن الشروط التي طلبتها الإخوان للسلام كانت إخلاء القصر والتنازل عن الجمال التي غنمها الإخوان أثناء المعركة.

تبعد الشروط الثلاثة الإضافية التي ذكرها خرزل غير منطقية ولا تنرسم مع واقع الحال. فلم تكن العلاقات سيئة في ذلك الوقت بين بريطانيا وابن سعود بل وأن الإخوان وهم المعروفون بحماسهم الدينى الكبير لم تكن نظرتهم عدائية تجاه البريطانيين بشكل عام على حد قول - صدر رسمي بريطانى،

ولذلك فليس من المعقّل أن يطالبوا بابراج الوكيل البريطاني من الكويت، وينطبق نفس المبدأ على موقفهم من المستشفى الأمريكي في الكويت، أما ترحيل الشيعة عن الأحساء والقطيف الخاضعة لنفوذهم، فالآخرى بهم إلا يطالبوا شيخ الكويت بما لم يقدموا لهم على فعله في بلدتهم حيث لهم القدرة على تنفيذه. ويكتنف الموضوع - من ناحية أخرى - رواية ديكسون، إذ أنها لا توضح بـ «إخلاء القصر» وترك السعدون يحل ذلك قاتلاً «فإذا افترضنا أن ذلك يعني انسحاب المحاصرين بعد إخلائه إلى الكويت وأيولته إلى الأخوان كما ألت قبله الجهرة كلها لهم. فلا معنى بعد ذلك لمطالبة الأخوان بالجمال فقط لأن كل شيء في قرية الجهرة سيصبح ملكاً لهم يتصرفون به كما يشأون. وإذا كان المقصود هو إخلاء المحاصرين للقصر ثم انسحاب الأخوان بعد ذلك مع غنائمهم، فلا معنى أيضاً للمطالبة بالإخلاء، إذ بإمكان الأخوان الانسحاب بكل غنائمهم متى شاؤوا وترك المحاصرين في قصرهم ليخرجوا بعد ذلك بالطريقة التي تعجبهم، ولا يبقى بعد هذا إلا رواية الرشيد وهي الأقرب إلى الواقع وإن كانت قضية تكثير الاتراك تثير التساؤل عن الفائدة التي سيجنيها الأخوان من تكثير الاتراك الذين انسحبوا من المنطقة منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، ولم تعد لهم بها أية علاقة. وللفت للنظر أن شروط الأخوان للصلح كانت دينية لا سياسية ولعل ذلك وحده يكفي للتدليل على خطأ ما ذهب إليه البعض من أن الأمر كله لا يعود أن يكون تدبيراً وضعه ابن سعود وهدف من وراءه التوسيع على حساب الكويت. إذ لو كان ذلك هو هدف الحملة حقاً لما كانت شروط الصلح مرتكزة على الناحية الدينية أو لما فتح باب المفاوضات أصلاً.

وجهت السلطات البريطانية جهودها بعد ذلك لتهيئة الحالة بين الطرفين فكتب المندوب السامي البريطاني في العراق إلى ابن سعود في السابع من صفر ١٣٢٩هـ - العشرين من أكتوبر ١٩٢٠ محتاجاً لديه على عمليات

الاخوان. ومطالباً إياه بإصدار الأمر بانسحابهم الفوري. وقد رد ابن سعود بأنه كان قد استبق ذلك الطلب البريطاني واصدر أمره إلى الاخوان بالانسحاب وتعهد فوق ذلك بعدم هجوم الاخوان على الكويت مقابل شروط ثلاثة يجب على سالم التقيد بها وهي: أن يكف عن التآمر مع القبائل ضده، وأن يتمتنع عن طلب العون من اعدائه في المنطقة، وأن يوقف نشاطاته العدائية خلال الفترة التي تتطلبهها عملية التسوية والتي ستتولى السلطات البريطانية إنجازها. وفي خطوة أخرى أعلم المندوب السامي الطرفين في السادس عشر من صفر - التاسع والعشرين من شهر أكتوبر بأنه يعتبر بقاء آبار «الصبيحة» غير محتلة من أي منهما أمراً في غاية الأهمية للحيلولة دون سفك الدماء مجدداً خلال الفترة التي يجب أن تنتهي قبل أن يمكن حل النزاع، وأضاف أن خرق ذلك سيعرض مرتكبه لقصف الطائرات البريطانية وفي نفس الوقت كانت السلطات البريطانية حريصة على كف يد سالم عن أي عمل يمكن أن يؤدي إلى زيادة توثر الوضع، ولذلك طلبت منه عن طريق السياسي البريطاني في الكويت الامتناع عن ارسال أي تعزيزات إلى الجهرة وألا يبقى هناك من القوات أكثر من العدد الكافي لحمايتها^(٣١).

سيطرت السلطات البريطانية عن طريق تلك الخطوات على اسس عوامل الانفجار وتفرغت بعد ذلك إلى الجهد الأساسي وهو محاولة تسوية النزاع من جذوره، قد اتجه تفكيرها في هذا السبيل إلى إحياء فكرة دعوة ابن سعود إلى البصرة، فدعاه كوكس مجدداً لزيارتها حالاً من أجل عقد اجتماع لتسوية الأزمة تحت رعاية السلطات البريطانية، وقد ارسل الوكيل السياسي البريطاني في البحرين تلك الدعوة لابن سعود وارفقها برسالة شخصية منه، حيث فيها على ابراز ما يتحلى به من صفات قيادية في هذا الوقت، ووعده بأن تتم مناقشة موضوع زيادة الاعانة المالية التي يتلقاها من بريطانيا واللقب

الباب الثاني

الرسمى الذى سيحمله مستقبلاً وذلك بعد تسوية نزاعه مع الكويت، وأخبره أيضاً بأن بيرسى كوكس شذ عصياً سيرأس جلسات التسوية. ورغم كل تلك الاغراءات التى حاول بها ذلك الوكيل اقناع ابن سعود بالحضور فإنه تعمد التأخر فى ارسال الجواب، الذى وصل أخيراً وكان فحواه اعتذار ابن سعود عن تلبية الدعوة لظروفه الصحية ولعدم تمكنه من ترك نجد فى هذا الوقت.

وبالرغم من أن السير بيرسى كوكس لم يكن متحمساً لتسوية الحدود النجدية الكويتية، إلا أن تصاعد الغارات والغارات المضادة بين الأخوان والقبائل على حدود العراق، دفع بيرسى كوكس للتحرك لإيجاد حلول لهذه المشكلة حرصاً على سلامية الحكومة الجديدة فى العراق، بمعنى أن تسوية الحدود العراقية النجدية هو الذى كان محل اهتمام بيرسى كوكس وليس مشكلة الحدود الكويتية النجدية، ومع ذلك فقد دخلت هذه المشكلة الأخيرة ضمن بنود التسوية فى بروتوكول العقير.

وقد افتتحت جلسات هذه المعاهدة فى المحمرة فى ٥ رمضان ١٣٤٠ هـ / ٢ مايو ١٩٢٢ وحضرها أحمد بن ثنيان ممثلاً عن السلطان عبد العزيز وصبيح نشأت ممثلاً عن الحكومة العراقية، وذلك بحضور ممثل من قبل بيرسى كوكس، ولم تطل المباحثات بين الوفود، فقد وضع المندوبون اتفاقاً فى ٧ رمضان ١٣٤٠ هـ / ٥ مايو ١٩٢٢ م عرف بمعاهدة المحمرة، على أن لا تسرى بنود هذه المعاهدة إلا بعد التصديق عليها من ملك العراق وسلطان نجد والمندوب السامي бритانى. ونصت المادة الأولى فقرة (١) «إن العشائر التى هى تحت اسم عشائر المنتفق والظفير والعمارات فهم راجعون إلى حكومة العراق» وقد امتنع عبد العزيز عن التصديق على هذه المعاهدة لعدم النص فيها على جعل العشائر النجدية النازحة إلى العراق ترجع إلى نجد، وأن هذه المعاهدة جعلت هذه العشائر تابعين لحكومة العراق كما أنها لا تضمن حقوق

الرعى المكتسبة منذ عهد بعيد الى القبائل النجدية في المناطق التي أحقت بالعراق، ونتيجة لعدم تصديق السلطان عبد العزيز عليها فقد ألحق بروتوكول سمي ببروتوكول العقير رقم (١) وألحق أيضاً ببروتوكول العقير وذلك في ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٤١هـ / ٢ ديسمبر ١٩٢٢م وذلك في بندر العقير.

وقد اختلفت الآراء حول الظروف المحيطة بهذا البروتوكول فخزعلى أورد أن بيرسى كوكس أرسل إلى الكولونيل وكسن كى يتصل بالسلطان عبد العزيز ويقنعه بالقدوم للعقير ليجتمع مع كوكس، فى حين يذكر الريحانى: أن عظمته قال: «نحن دعونا السير بيرسى كوكس إلى العقير لأخذ رأيه فى أمرین، الأول: الشريف حسين وأولاده، والثانى: الأتراك الطامعون الآن فى المحصل، أما مسئلة العمارات والظفير فإن حلها لا يستوجب مجيناً إلى هذا المكان...».

وصل السلطان عبد العزيز إلى العقير فى ٥ ربيع ثان ١٣٤١هـ الموافق ٢٦ أكتوبر ١٩٢٢م وصعه سعود الكبير وعبد اللطيف المنديل وأمين الريحانى وعبد الله الدملوجى وعدد من الموظفين والحرس والمجر هولن، أما بيرسى كوكس فقد وصل بعده بيومين وصبع نشأت ممثلاً للعراق والمجر سور ممثلاً لشيخ الكويت والشيخ فهد الهزال وبعض الفنانين فى معرفة الآبار والطرق ومناطق الرعى وكانت الجلسة الأولى غير رسمية اقتصرت على ترحيب السلطان عبد العزيز بالقادمين وتبعتها جلسات سرية بينه وبين رئيس وفد العراق والوكيل السياسى البريطانى فى الكويت وفهد الهزال، وانتهت الجلسات بتعيين الحدود بين كل من نجد وال伊拉克 والكويت والتوقع على بروتوكول العقير (٢٢).

وقد وقع اتفاقية الحدود بين نجد والكويت كل من الوكيل السياسى البريطانى فى الكويت الميجور سور، وعن الجانب السعودى عبد الله سعد الدملوجى الذى صادق عليها هو الآخر فى ١٠ ربيع الثاني ١٣٤١هـ الموافق

٢٠ نوفمبر ١٩٢٢ وفي تقييم بروتوكول العقير، يمكن القول انه كشف عن أن النزاع الحقيقى لم يكن يتركز على امتداد الأرضى التى يجب ضمها لكل من الطرفين فإن تلك المساممات كانت مرحلة أولية سرعان ما تجاوزها البحث الى الآراء المتعارضة حول تحديد الحدود على النمط الأوروبي الذى كان كوكس يعمل من أجله، والحدود القبلية التى كان السلطان عبد العزيز يطالب بتطبيقاتها وكادت المفاوضات ان تتغير وتفشل بسبب اختلاف وجهات النظر، لولا أن بيرسى كوكس حسم الأمر حينما انفرد بالسلطان عبد العزيز وأقنعه بالتخلى عن مطالبه بتطبيق الحدود القبلية وأعلن أنه سيتولى بنفسه رسم خط الحدود بنفسه، وقد عينت منطقة محايدة بين الطرفين رمزاً للحل الوسط بين الآراء الأوروبية عن الحدود والقبلية، واعتبرت هذه المنطقة المحايدة - على حد قول السعدون أرضاً مشاعة بين قبائل الطرفين.

هناك أيضاً الجدل التأثر حول هذه المشكلة، أى مشكلة الحدود بين نجد والكويت والتي لم تستثار باهتمام الميجور سور الذى صمت حينما أثيرت من جانب عبد الطيف المنديل الذى ا تعرض على وجود منطقة محايدة بين البلدين وطالب بأن تتحقق بنجد لاحتمال وجود النفط فيها، وهنا رد بيرسى كوكس بأن هذا هو السبب فى جعلها منطقة محايدة.

ويذكر عبد الله الأشعـل أن «اتفاقية» العقير^(٣٣) قد أشارت إلى أنه ستتلوها اتفاقية مفصلة أخرى بتحديد الحدود، وأن تلك الاتفاقية كانت بمثابة تسوية مؤقتة لمشكلة الحدود لكل حتى يتسعى للدولتين استغلال موارد المنطقة المحايدة بالتساوي، أى أن تتم التسوية النهائية لوضع الحدود». وبالرغم من أن الاتفاقية ابتدعت اسلوباً جديداً وناجحاً لتحديد الحدود في الحالات المماثلة إلا أنها لم ترسم نظاماً معيناً وإدارة معينة للمنطقة، وبما يرجع ذلك إلى أن هذه المساحة الشاسعة، لم تكن أهلة بالسكان وقت تحديدها إذ لم يكن البترول قد

تدفق بعد وبالتالي لم تكن هناك حاجة ماسة لضبط نظام إداري والتدقيق في العلامات الحدودية بين الدولتين. أما خرطويل فيعلق على تلك المعاهدة بقوله: «أنه وإن كان بيرسى كوكس قد قطع شوطاً «إصلاحياً» كبيراً وحقق إنجازاً سياسياً في عقد هذه المعاهدة، إلا أنها العبارات التي صيغت بها المعاهدة كانت عبارات غامضة بحيث أنها قادت نزاع كبير بعد مدة وجيزة من نشرها، أما السعدون فيرى أن المؤتمر قد أنهى مشكلة الحدود بين نجد والكويت وأكسبها الصيغة الدولية، وعرفت الحدود التي تمارس كل دولة فيها سيادتها، ولا يعني هذا بنهاية المشكلات بينهما، بل أن هذه المشكلات قد تجددت، ولكنها اختفت نوعياً عن المشكلات التي سبقت اتفاقية تحديد الحدود حيث لم يعد يخشى منها على كيان الكويت المستقل، وإنما هي مشكلات تدرج تحت كل ما يقع بين دولتين متجاورتين، وأن الكويت - بعد توقيع اتفاقية الحدود - قد نجحت من خطر الذوبان في كيان جارتها القوية».

كذلك فقد أخذت اتفاقية العقير بمبدأ المناطق لمحايدة، وأقيمت دوريات منتظمة على الحدود، ووعد بيرسى كوكس COX باجراء تدابير أخرى لمنع وقوع حوادث على الحدود وكانت هناك المشكلات التي أثارها الإخوان الذين مازالوا يتسللون إلى إمارة شرق الأردن وإقترابها من عمان وعدم إنسحابهم، وقد تدخل الطيران البريطاني للحيلولة دون إستمرار الإخوان، وتولى الكولونييل فوكس Knox مهام أعماله كخلف لبيرسى كوكس وواجه فوكس إصرار الأمير عبد العزيز بن سعود بشأن التفاوض مع كل حكومة على حدة (الأردن - العراق)، وإتخاذ الأمير عبد الله أمير شرق الأردن هو الآخر موقفاً مماثلاً لوقف ابن سعود وطالب بإعادة الأوضاع التي ما كانت عليه سنة 1919 وأن تكون الحدود بين نجد والجذار هي الصحراء القاحلة وينسحب الإخوان من الجوف ووادي سرحان، وعموماً فقد تمسك الأمير عبد الله أمير شرقى الأردن

بأن تكون له حدود متصلة مع العراق مما يعني قطع الطريق بين نجد وسوريا التي تعتبر منفذًا من منفذ نجد الهامة، واللاحظ أن عبد الله صار يتحدث نيابة عن والده ملك الحجاز الذي رفض الحضور رغم إلحاح بريطانيا عليه، وهناك نتيجة أخرى لاتقل أهمية عن النتائج السابقة وهي إحتدام الجدل حول مستقبل وادى سرحان أيدت بريطانيا منحة للأردن حتى تتصل الإماراتان الهاشميتان الخاضعتان لنفوذها، والأمر الذى يستدعي أن قضية الحدود بين نجد من جهة والعراق والأردن من جهة أخرى لم تحل إلا أثناء حصار جدة وحتى أقول نجم الحكومة الهاشمية.

وهناك تفسير آخر للوضع القانوني والواقعي بشأن ماتم التوصل إليه في إتفاقيتي المحمرة والعقير، فقد كانت حدود الكويت في توقيع معايدة العقير، هي تلك التي تم الوصول إليها في معايدة عام ١٩١٣، ولم يكن في الإمكان تغييرها إلا باتفاق بين الحكومتين العثمانية والبريطانية، وقد أوضح الأمير عبد العزيز - طبقاً لهذا التفسير - بتفاوض على حدود بلاده مع الكويت على الحكومة البريطانية موافقته على هذا المبدأ، وأقر بمركزه القانوني بعد إندثار الإمبراطورية العثمانية، أصبح ملزماً كحاكم على نجد والإحساء بإحترام الإلتزامات التعاهدية للدولة العثمانية بالنسبة إلى حدود هذه المنطقة، ويستدل هذا التفسير تبريراته من أن القانون الدولي يقر أن الأمير عبد العزيز كوارث للسيادة العثمانية، فإن «الوراثة تحدث بالنسبة إلى الحقوق والواجبات الدولية التي كان السلف يملكتها أو يقبلها كإلتزام، وال المتعلقة محلياً بجزء من الأراضي المنقسمة أو التي تم التخلى عنها» وكان الخط الأزرق قد اكتسب الصفة القانونية كحدود شرقية لنسجق نجد العثماني في المادة الثالثة من المعايدة البريطانية العثمانية التي عقدت في التاسع من مارس ١٩١٤ وتم إبرامها في ٥ يونيو من نفس العام، وأصبح هذا الخط إلتزاماً دولياً يربط

محلياً بنجد والإحساء، ويضيف أحد الباحثين الغربيين في القانون الدولي قائلاً: «إن المرء يجتهد كثيراً في البحوث التي تعالج الأنظمة الإقليمية للبحث في كيفية تنظيم الحدود، وتجمع الآراء على اعتبار مثل هذه البحوث متعلقة أيضاً ب أصحاب السيادة الجدد على الممتلكات موضوع البحث». ويستطرد هذا الرأي فيذكر أن عبد العزيز قد أعرّف بهذا المفهوم في ديباجة المعاهدة البريطانية السعودية في ٢٦ ديسمبر ١٩١٥ وذلك في المادة الأولى من المعاهدة كحاكم نجد والإحساء والقطيف وجبيل والبلدان والموانئ التابعة لها، كما ورد ذكر الخط الأزرق في مفاوضات العقير ١٩٢٢ دون ذكر أية إشارة إلى اعتبار هذا الخط حدود شرقية لنجد.

بالرغم من التصديق على معاهدة المحمرة ومؤتمر العقير، فقد ظلت المشكلات قائمة بين كل من نجد والعراق، وساد التوتر بسبب استمرار الغارات بين العشائر العراقية والبادية في نجد، ونتيجة لحالة التوتر على الحدود فقد أوعزت الحكومة لبريطانيا للوکيل البريطاني بيرسي كوكس ومن بعده فوكس رئيس المعتمدين السياسيين في الخليج بإجراه إتصالات مع الأمير عبد العزيز وإقتراح قيام مؤتمر لحل المشكلات القائمة بين كل من نجد والعراق وشرق الأردن والجهاز، وقد عقد المؤتمر تحت إلحاح الحكومة البريطانية وتم اختيار الكويت مكاناً باعتباره يقع في الوسط بين نجد والعراق وأن شيخها أحمد الجابر يتمتع بعلاقات طيبة مع سلطنة نجد والعراق، وأوضحت بريطانيا أن هدف المؤتمر هو إزالة الخلافات بين الحكام العرب، وقد رحب للسلطان عبد العزيز بدعوة بريطانيا له للحضور غير أنه أشترط لذلك أن تبحث مشكلاته مع كل من قطر على حده وأن يؤجل موعده إلى فبراير ١٩٢٤ بدلاً من أواخر عام ١٩٢٣، كما دعت الحكومة البريطانية إلى مشاركة العراق بهدف إعادة النظر في معاهدة المحمرة، كما وافق الأمير عبد الله أمير شرق الأردن علي حضور المؤتمر.

بدأ مؤتمر الكويت في ١٧ ديسمبر ١٩٢٣ بحضور وفود سلطنة نجد وال العراق وشرق الأردن ولم يحضر وفد الحجاز، ودارت بين تلك الوفود محادثات لمنع الغزوات والغارات بين العشائر المقيمة على جانبي الحدود والتفكير في عقد معاهدات لتسليم المجرميين وجباية الزكاة، غير أن أوجه الخلاف حول هذه النقاط قد أجل النظر فيها حتى ١٨ يناير ١٩٢٤، وبعد مشاورات وإتصالات بين الحكومتين البريطانيتين والعراقية استؤنفت الجولة الثانية من مؤتمر الكويت. وكانت بريطانيا تسعى بذلك إلى عرقلة جهود السلطان عبد العزيز الراشدي إلى إيصال حدوده إلى سوريا بقصد التجارة، وفي تقدير مؤتمر الكويت يرى أحد الباحثين أنه من الأرجح أن المؤتمر لم ينجح في مساعيه بشأن تخفيف حدة التوتر في المنطقة، وهو ما جعل الحكومة السعودية تصدر الكتاب «الأخضر النجدي» المتعلق بمؤتمر الكويت شارحة وجهة نظرها واستعدادها لحل الخلافات بالوسائل السليمة مع الحفاظ على المصلحة الإقليمية^(٣٤).

ويرى حافظ وهبة أنه لم تكن هناك حدود دولية بين نجد وال伊拉克 لأن القبائل بين البلدين كانت دائمة التنقل، ويضيف وهبة أن أكثر العشائر المعروفة في العراق هي عشائر نجدية رحلت إلى العراق وسوريا ونجد مثل شمر، وكانت الحدود النجدية تمتد وتضيق حسب قوة الحكام وإمتداد سيطرته وسطوته بين القبائل والعشائر. وقد سبقت الإشارة أن الحدود السعودية العراقية سبق أن خططت في إتفاقية المحمرا عام ١٩٢٢ وأرفق بهذه الإتفاقية بروتوكول إنشاء منطقة محايدة مساحتها ٢٥٠٠ ميل مربع وتجاوز الجزء الغربي من الحدود مع الكويت، وفي هذه المنطقة المحايدة تم الإتفاق على عدم إقامة منشآت عسكرية دائمة، ويباح للقبائل الرحل من كلا البلدين أن تجوب المنطقة بحثاً عن الكأ والمياه.

أما فيما يتعلق بالعلاقات بين عبد العزيز بن سعود وبريطانيا، فقد شهدت هذه العلاقات مرحلة جديدة منذ عام ١٩٢٧ بعد التوقيع على معاهدة جدة في ٢٠ مايو من نفس العام، ومثلت هذه المعاهدة إعترافاً بالتغييرات العظيمة وأزيدية مكانة عبد العزيز بن سعود وسلطاته منذ توقيت معاهدة ١٩١٥ التي سبقت الإشارة إليها، حيث ألغيت هذه المعاهدة بناءً على ابن سعود وأن المرتبة التي بلغها لاتسمح له ببقاء العلاقة التي رسمتها، ونص في معاهدة جدة التي تم التوقيع عليها في ٢٠ مايو ١٩٢٧ على إلغاء معاهدة دراين صراحة، والإعتراف بإستقلال الدولة السعودية وإستقلالاً تاماً وكاملاً بدون قيد ولا شرط، وأضفت معاهدة جدة على بن سعود لقب «ملك الحجاز ونجد وملحقاتها» ورفعت من المعاهدة الجديدة القيود التي كانت مفروضة على تصريفه لعلاقاته الخارجية وأعماله الأخرى بموجب معاهدة عام ١٩١٥، وأعترفت الحكومة البريطانية بإستقلال الكامل والمطلق لبلاده، وتعهد ابن سعود بمواصلة�احترام السلامة الإقليمية لإمارات شرقى الجزيرة العربية الواقعة تحت الحماية البريطانية، ونصت المادة السادسة من معاهدة جدة على أن «يتعهد جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالحفاظ على العلاقات الصديقة والسلمية مع أرضي الكويت والبحرين ومشيخة قطر وساحل عمان الذين يرتبطون بعلاقات تعاهدية خاصة مع صاحب الجلالة البريطانية».

والواقع أن بريطانيا بموافقتها على إلغاء معاهدة ١٩١٥ - معاهدة دراين أو العقير- كانت تدرك إن هذه المعاهدة لم تعد صلحة لأن تكون قاعدة لعلاقات الحكومتين النجدية والبريطانية بعد أن تغيرت الأحوال والظروف بفضل قوة شخصية السلطان عبد العزيز بن سعود، ومن ناحية أخرى فإن الأوضاع في قطر والكويت في هذه الفترة كانت تطلب ذلك، فشيخة قطر التي تقع بين نجد والكويت كانت بريطانيا قد وقعت معها عدة إتفاقيات تعاهدية كان آخرها في

سنة ١٩١٦، أما الكويت فقد ظل خبر الإتفاق المعقود بين الشيخ مبارك وبريطانيا في ٢٢ يناير ١٨٩٩ سراً بينهما، وعقب إعلان الحرب العالمية الأولى زار السير بيرسي كوكس الشيخ مبارك، وقبل ذلك بعام إنزال الإنجليز وثيقة من الدولة العثمانية تعترف بموجبها بـالإتفاقيات بين بريطانيا والكويت^(٢٥).

الهوامش:

١- راجع حافظ وهبة، خمسون عاماً في جزيرة العرب، القاهرة ١٩٦٠ وتحديد الإشارة البريطانية وضعت أمرين من الأسرة الهاشمية : الأول على عرش العراق والثاني على عرش الأردن وقد ساد مفهوم سياسي بريطاني أن الأسرة الهاشمية في هذه الفترة لم تعد بتلك الأهمية التي كانت تحظى بها عشية الحرب العالمية الأولى، كما أنها لا تملك القوة العسكرية الضرورية لحكم القبائل في الجزيرة «الباحث».

٢- راجع في تفصيل ذلك :

محمد علي الداود، الخليج العربي والعمل العربي المشترك، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، مطبعة الأرشاد، بغداد، ١٩٨٠، من ص ٧٢ - ٧٤.

٣- المرجع نفسه من ص ٧٥ - ٧٧ وحول نهاية الرخوان الدور المناوي لفيصل الدرويش تجاه نجد في هذه الفترة راجع : محمد المانع، مرجع سابق، من ص ١٦١ - ١٩٥ .

٤- المرجع نفسه من ص ١٦٥ - ١٨٨ .

٥- حول الدور السعودي وأراء جلبرت كلaiton عموماً، راجع : Clayton, Sir G, "arbia And The Arabs Ib" Journal Of The Royal Lnstitute Of Internation Affairs,, 1929, Pp. 8-20.

٦- راجع :

Antonius, Sir G, Arabia Awaking, The Story Of Arab Ntional Move-
ment, London, 1938.

٧- تميرلي، الوثائق البريطانية - م . س . ذ.

٨ - راجع تفصيل ذلك في : ممدوح الروسان العراق والسياسة العربية ١٩٣١ - ١٩٤١ ،
رسالة ماجيستير - غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٧٢.

Antonius, G., Op. Cit., pp. 114-116.

٩ - راجع :

Clayton, Sir G.m "arbia And The Arabs Ib" Journal Of The Royal
Lnstitute Of Internation Affairs,, 1929, Pp. 3-18.

١٠ - لورمي، م. س. ذ، الجزء الثاني

١١ - نقلًا عن المذكرة البريطانية.

١٢ - راجع خالد السعودون ، م.س.ذ

١٣ - المرجع نفسه

١٤ - دكتور تركي محمد بن سعود الكبير، م. س، ذ

١٥ - المرجع نفسه.

١٦ - يذكر الرحاباني أن التفسير ليس بمدينة الأممية وإنما هي باسم لجمارك من جمارك نجد
في الإحساء وهي أحد موانئ السلطان عبد العزيز الثالث ومن العقير يبدأ الطريق
الشرقي إلى نجد راجع في تفصيل ذلك، ياقوت الحموي، بحجم البلدية، بيروت ١٩٥٧.

١٧ - راجع : خالد السعودون، م. س. ذ.

١٨ - المرجع نفسه.

١٩ - المرجع نفسه .

٢٠ - المرجع نفسه.

٢١ اعتمدنا في هذا الجزء من الدراسة على التحليل القيم لخالد السعودون م.س.ذ.

٢٢ - خزعل تاريخ الكويت السياسي خلص ٢٢٠ - ٢٢٧



الباب الثاني

- ٢٣ - خالد السعدون م.س.ذ.
- ٢٤ - رئيس المرجع السابق، وراجع أيضاً : دكتور تركي بن محمد بن سعود الكبير، مرجع سابق.
- ٢٥ - خرزل ، مرجع سابق
- ٢٦ - خالد السعدون ، مرجع سابق
- ٢٧ - المرجع نفسه
- ٢٨ - المرجع نفسه
- ٢٩ - أمين الريhani ، م.س.ذ
- ٣٠ - خالد السعدون تلأل عن خرزل.
- ٣١ - حول فريد من التفصيل، راجع خرزل، م.س.ذ
- ٣٢ - د/ محمد نصر رضا وأخرون، الخليج العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩١ .
- ٣٣ - دكتور عبد الله شعلان، مطبعة الحدود في الخليج العربي القاهرة، ١٩٧٨ .
- ٣٤ - حافظ وهبة، مرجع سابق.
- ٣٥ - دكتور محمد رضا، الخليج العربي، مرجع سابق ص ٤٠١ - ٤٣١ .

الفصل الخامس

رياح التغيير الإقليمية

سبقت الإشارة إلى نظرية ابن سعود(١) إلى تصرفات الثورة التركية نظرة الشك، خاصة وأنها عينت الشريف حسين بن علي الهاشمي في الحجاز. وكان السعوديون على خلاف مع الأشرف من العbellيات الغربية التي وقعت في الحجاز في أوائل القرن التاسع عشر، ورأى ابن سعود في هذا التعيين تدعيمًا لنفوذ الأتراك في البلاد العربية، وربط بينه وبين تقوية الحاميات العثمانية في أنحاء شبه الجزيرة.

كانت بريطانيا تواصل عملية تطويقها للبلاد العربية، وإمتداد نفوذها في الخليج العربي وفي عدن، فوجد ابن سعود أن هناك دائرتين تعملان على تطويقه، والحمد من خططه، الأولى عثمانية، والثانية بريطانية. وكان في حاجة إلى مخرج له على البحر، وكان أقرب ساحل له هو الخليج العربي، الذي تفوق فيه النفوذ البريطاني، نظراً لوجود الأسطول، ووجود أعيون البريطانيين، مثل الشيخ مبارك، ولم يكن في قدرة الأتراك أن يمنحوا ابن سعود مثل هذا المخرج.

اتصل عبد العزيز بالشيخ مبارك، وطلب منه في سنة ١٩١١ م أن يحاول معرفة نيات حلفائه البريطانيين تجاهه، ولم تكن السلطات البريطانية تعارض في امتداد النفوذ السعودي، مادام هذا النفوذ يجعل السلطة العثمانية بعيدة عن سواحل الخليج، ومادامت مصالح ابن سعود غير متعارضة مع مصالحهم ومصالح حلفائهم، وخاصة في منطقة الكويت. فأخذ ابن سعود في الاستعداد، واتجهت أنظاره إلى منطقة الاحساء وجاءت الحرب الإيطالية التركية سنة ١٩١١ م ثم الحرب البلقانية سنة ١٩١٢ م لكي تسهل عليه خطة العمل.

أضطررت الدولة العثمانية إلى سحب جزء من حامياتها المترفة شرقاً وغرباً، لكي تواجه بها هجوم البلغار على استانبول، وعلم ابن سعود أن عدداً حامياً الهفوف (عاصمة الاحساء) قد انخفض إلى النصف، ولما كان الأهالي لا يقبلون حكم الأتراك لمنطقتهم إلا مكرهين، أعد ابن سعود قواته وسار بها مسرعاً ودون توقف، متوجهاً صوب الهفوف فبلغها بعد ثلاثة أيام، وتسلق بعض رجاله أسوار المدينة، وفتحوا الأبواب فدخلتها المقدمة التي تمكنت من الاستيلاء على الأبراج والقلعة، وفي الصباح دخلت بقية قوات السعوديين إلى المدينة، وحاصرت رجال الحامية الذين اعتصموا بالمسجد، وبعد مفاوضات مع التصرف، قبل ابن سعود أن يخرج الجنود العثمانيون بأسلحتهم وأسرهم وأمتعتهم عائدين إلى البصرة ثم أحتجل السعوديون مينا القطيف وعقير، فخضع لهم كل الأقليم، وبطبيعة الحال لم تتحرك بريطانياً أمام توسيع السعوديين على الخليج العربي أما الحكومة العثمانية فقد شعرت بعجزها عن إعادة إقليم الاحساء إلى ادارتها المباشرة، وحاوت أن تكسب ود ابن سعود، فأعترفت له بالأمر الواقع، وعقدت معه اتفاقية اعترفت به أميراً على نجد وملحقاتها.

كان ضم الاحساء إلى نجد في عام كما سبقت الاشارة ١٩١٣ سبباً في ازدياد نفوذ ابن سعود من الناحية الأدبية في بقية أنحاء الخليج العربي، وإننتهت حالة العزلة التي عاشها وسط الجزيرة بحصوله على منفذ بحري هام ولم يكن في بال ابن سعود ولا بريطانياً في هذا الوقت ما تشتمل عليه أرض الإحساء من كنوز في باطن الأرض ستغير تاريخ الخليج العربي بعد سنوات.

أعلنت الحرب العالمية الأولى واشتراك فيها الدولة العثمانية وكل أقاليمها العربية، في وقت لم يكن فيه ابن سعود في وضع يسمح له بالمشاركة إيجابياً في مجهوداتها، وكانت مبادئ الاستقلال العربي عن الدولة العثمانية قد

انتشرت في كل مكان، نتيجة لنشاط الجمعيات الوطنية، وخاصة جمعيتي الفتاة والعهد. وكان تحرير الأقاليم السودية وبلاد العراق وإرجاعها إلى الحكم العربي أمنية تداعب قادة العرب وزعمائهم، غير أن ابن سعود وجد أن خروجه على رأس رجاله من وسط الجزيرة إلى سوريا أو العراق قد يساعد على إنشاء حكم عربي في هذه الأقاليم. ولكن لن يحمل فائدة تذكر للجزيرة العربية ذاتها، كى دماء هذه الأقاليم وتنقى على تغيير وضعها السياسي وربما الاقتصادي، ولكن نجداً ستظل موطنناً لقبائل منقسمة غير مستقرة، وفي وضع إجتماعي متختلف فচمم على البدء بأقليميه، وعمل على بنائه بشكل يسمح له - فيما بعد - بمشاركة بقية البلاد العربية حياتها وكفاحها. وكان ابن سعود سباقاً بهذا الفكر تجاه تغيير بلاده وتحديثها.

انقسم رعايا ابن سعود إلى قسمين: الأول هم سكان القرى والمدن، والثاني هم سكان الباشية. وإذا كان في يستطيعه أن يثق في ولاء أبناء القسم الأول، فإن تطبيق النظام على الباشية كان أمراً صعباً، ما داموا يعيشون على النظم القبلية، ويستندون إلى العصبيات، وكان رجال القبائل في حركة دائمة، ويؤمنون بأن حياة البدو المترافقين هي أشرف حياة وأنبتها، وكانوا يعتزون بآنسابهم التي يرجعون بها إلى آدم، ويعتزون بحريتهم وبسيوفهم، وكانوا في حقيقة الأمر يقنعون بخيامهم وخيولهم ونسائهم، وحريتهم، ولا يعترفون بكثير من الإلتزامات، التي تفرضه تحديث المجتمعات على مواطنها، وكثيراً ما أثرت فيهم الفساحة والخطابة التي تلهب عواطفهم، فيتخذون من المواقف ما قد يدفع بهم إلى الحرب، ولكنهم عجزوا، نتيجة لتحكمهم العواطف، عن القيام بجهودات متواصلة، وقد قاسي ابن سعود نفسه منهم كمحاربين وكرعايا، إذ كانوا لا يتورعون في حالات خاصة، عن الانضمام إلى العدو، أو الاقتدار من المعركة على أخذ الأسلاب. وكم من مرة اضطر فيها إلى عقابهم، غير أن هذا

العقاب لم يعده إلا نتائج مؤقتة، ولم يغير شيئاً من عاداتهم أو أخلاقهم.(٣)

وقد ابن سعود أنه من الواجب عليه أن يعمل على تغيير ظروف حياتهم تغييراً أساسياً، وفك في تغيير حالة البداوة والتنقل بتثبيتهم حول عيون المياه، وإغرائهم على العمل في الزراعة أي تغييرهم من مجتمع الرعي إلى مجتمع الزراعة، تدريجياً، فأخذتار لذلك بعض عيون الماء الثانوية، أو التي تبعد عن طرق القواقل الرئيسية، وعمل على تحسين وسائل الري، وزيادة مساحة الأرض المزروعة فيها، إغراء للقبائل المحبيطة على التوطن والعمل المنتج، وستصبح هذه التجمعات مع مضي الوقت، مراكز لتجنيد قوات تدين بالولاء لابن سعود، وتعود بعد المعارك لكي تواصل عملها في أراضيها فيما يمكن لسيد الجزيرة أن يصل وبالتالي إلى تغيير نوع القوات المحاربة التي يعتمد عليها في بناء دولته العربية.(٤)

غير أن الحالة الفكرية والمستوى الثقافي الذي كانت تعيشه نجد في هذا الوقت لم تكن لتسمح لابن سعود بالقيام بهذا المشروع إلا إذا ما استند إلى الإسلام كدعامة أساسية، فلتكن هذه التجمعات إذن زوايا سعودية يرتبط فيها الأهالي بوحدة في التكوين، ووحدة في الهدف. سيتعلمون أنهم يجاهدون في سبيل الله، وتحت قيادة موحدة، يعترفون بها ويحترمونها، ويتركون جانباً من عصبياتهم القبلية وولاعهم للنسب، فيتمكن ابن سعود إذن من توجيه حب العرب للحرب إلى صالح المجموع، ويثبت في العرب تجانساً قومياً مرتبطاً بهذه البقع الخضراء التي ستنتشر في الصحراء طولاً وعرضًا.

كان الطريق مليئاً بالعقبات، خاصة وأن ابن سعود كان يهدف إلى تحدث الوضع الاجتماعي في اسسه الاقتصادية، وفي طبيعة تكوينه، وجاءت العقبات من إعتزاز العرب بطريقتهم معيشتهم. وجاءت العقبة الأساسية من

الزعamas والقيادات التي خشيت من ضياع إمكانياتها، وترأس المعارض فريق من آل سعود أنفسهم وهو ما يستدعي وقفة للفحص.

كان أفراد هذه الأسرة هم المشرفون على الدعوة الوهابية التي نظمت نفسها في شكل هرمي، فأحتفظوا لأنفسهم بالزعامة أو القيادة، وكانت الأوامر والإرشادات، تصدرنهم عن طريق القيادات الثانية إلى أن تصل إلى القبائل. وكانت إمكانياتهم تعتمد من ناحية على المذهب الوهابي، ومن ناحية أخرى على السيف، أداة الجهاد. فرأوا في إقامة هذه التجمعات أداة لإقامة قوة حديثة تدين له بالولاء، رغم سيرها على الطريقة الوهابية. وخشوا من أن يؤدي هذا المشروع إلى أن يفقدوا كل مالديهم من كلمة. غير أنه أفهمهم أنه بمثابة معسكرات دائمة ثابتة تعمل من أجل الإسلام، ونجح في الحصول على تأييد والده الإمام عبد الرحمن أمام هذه التجربة.

بدأ ابن سعود بواحة الارتوية الواقعة بين نجد والإحساء، وجهذه برجاته المخلصين وجعلها مركزاً لإقامة «الإخوان» الذين حصلوا على ملكية أراضيهم، وأصبحوا يكونون مجتمعًا صغيراً يلتف حول المسجد، ويقوم بالزراعة، ويحافظ كل فرد منهم في منزله الصغير بسلامه والطلقات والرصاص، ويعتبر نفسه مجاهداً في سبيل العروبة والإسلام، ولكن تحت قيادته وبأوامر صريحة منه.

أخذ عبد العزيز في الإهتمام بهذا المجتمع الجديد وكثيراً ما قام بزيارتهم وشجع الإخوان على العمل، ثم عهد بقيادة هذه المنطقة إلى الشيخ الدويش، وهو من الرجال المعروفين بغيرتهم على الإسلام، وتحمسهم في الدفاع عن العروبة. وأثبتت بذلك أن الصقان وإنقسامات القبلية قد انتهت، وحلت محلها سلطة مركبة تعتمد على نظام الدولة الحديثة، وشعور المواطن بخضوعه لسلطة وطنية قوية تعطيه حقوقه وتطلب إليه أن يقوم بواجباته وهو ابتولى

ما وحصدته صانعاته ابن سعدون بريدينوس (٥) الحمدراء وبذراته انتصارات ذاتي

يعبر عن ذلك قائلاً:

كان لابد من تدمير فتوحاته في بعضها لتكوين مجتمع قوى مستقر، وفي سبيل هذه الفانية لم يكن العرب في حاجة إلى نداء فحسب، وإنما كانوا في حاجة إلى حرفة؟ وهكذا راح الأيدل الملك قخا يقدر بيت مفهوماً جديداً وشوريأً للحياة في المجتمعات اليدوية في نجد وتحدياً لظروف التقليد، بدأ في عام ١٩١٠ يخرج القبائل ببعضها البعض وأعاد توطينهم، وكان له من وراء ذلك أهداف ثلاثة هي: تكوين تجانس قومي قادر على الدفاع عن نفسه وذلك في سياق مصالحه هذا التجانس لمواجهة قطاع الطرق ثم تعليم البدو منافع الحياة المستقرة على نقىض حياة الترحال، وأخيراً محاولة تفكيك البنية القبلية القديمة بما يشمل عليه من فتن بسبب الإنقسام وأن يحل محله إحساس بالتماسك القومي المفضي إلى تحقيق مصالحهم المشتركة (٦)

ولم يكن يعبأ بالدسائس وعلى صعيد رياح التغيير المحلية والإقليمية وجد ابن سعود انقال الرشيد في شمر، هم أعداؤه.. ورأي فيبقاء الشريف حسين بن علي في الحجاز خطراً ثانياً يهدد دولته في الرياض، ويهدد طريقته في الحياة الإسلامية. وشعر بدرورة القضاء على نفوذ الهاشميين من الأرض المقدسة، فكان هذا عاملاً يدفع به لواجهة الدولة العثمانية .

وجد أمير نجد خطورة البقاء وحيداً في ميدان المعركة فعزم على الميل إلى جانب بريطانيا التي إزداد نفوذها في الخليج العربي، وأرسلت إحدى حملاتها العسكرية إلى البصرة وجنوب العراق. وأراد أن يتخد من هذا التحالف دعامة لبناء سياسة وطنية خاصة به. وإسلامية في نفس الوقت، سياسة تهدف إلى تقليل أظافر النفوذ التركي في شبه الجزيرة العربية، بالقضاء على آل الرشيد، وتهدف من ناحية أخرى للقضاء على



الإذ بستة قراراتية (٧) الإسلامية الهاشمية بين التي قد تهدىء على نعمته ويناديه في حكم المسلمين، خاصة وأن السعوديين كانوا لا يعترفون لعربى بفضل على عجمي إلا بالقوى، وهو ما يتعارض تمام المعارضه مع الإستناد إلى الحبيب والنسب.

وعلى أي حال فقد أمن ابن سعود على ممتلكاته ضد أي خطر خارجي، وأعتقد إنها تسمح له بمهاجمة الحجاز، وإنزاعه من سلطة الشريف حسين، ولم يكن يعبأ بالدسائس البريطانية، في البلاد العربية. وسرعان ما أعلن الحسين الثورة العربية ضد الدولة العثمانية، وبدأ في التعاون تعاوناً وثيقاً مع قوات الحلفاء . وحينئذ علم ابن سعود أن خصميه قد أصبحوا حليف بريطانيا الأول في المنطقة، وإنه قد قيد نفسه بمصالحته مادام الحسين صديقاً لبريطانيا . ولكن هذه الصداقة كانت على غير أساس، إذ أنها كانت تتعارض مع طبيعة القوى الموجودة في المنطقة.(٨)

ويرى أحد المؤرخين المعاصرين إلى إعلان الشريف حسين الثورة على الأتراك من الأراضي المقدسة، ثم إعلانه نفسه ملكاً على البلاد العربية، يعد أكبر تهديد لاستقلال نجد حيث رد ابن سعود قائلاً أنه لا يحق للحسين التحدث باسم العرب جميعاً، فما بالك بإعلان نفسه ملكاً عليه دون أن يحصل منهم على البيعة ؟ وكان هذا بداية الشقاق السياسي بين القوتين الناشتين في الجزيرة العربية في ذلك الوقت : قوة السعوديين، وقوة الأشراف الهاشميين. وفضلاً عن ذلك فإن الحسين بن علي طلب إلى عبد العزيز أن يمدده بالرجال لمقاتلة الأتراك، ثم زارت مخاوف عبد العزيز حين استلم مبلغ الخمسة آلاف جنيه استرليني والتي وعدته بريطانيا بها. من «ملك الحجاز»، مما وضعه في مركز التابع للحسين، وهو مركز لا يرضي عنه.

ورأى عبد العزيز أن يعتمد على «مذهب» وعلى «إخوان» يحاربون عن

عقيدة في الوقت الذي يعتمد فيه الحسين على مجندين من المرتزقة، يعملون في خدمة الإمبراطورية البريطانية، لقاء رواتب، فكان من الطبيعي أن تصطدم القوتان معاً، رغم تحالف كل منهما مع بريطانيا، نتيجة لاختلاف تكوين واتجاه كل منهما عن الأخرى وتطلب الأمر تغيير الموقف السياسي، وأنشئ الإدعاءات لكي تتخذ زريعة لإعلان التصادم. وسرعان ما ظهر السعوديين الاستقلالية أمام القوة الجديدة التي عمل الحسين جاهداً على بنائها، ووقع النزاع في منطقة التخوم أو الحدود بينهما وعلى واحد الخمرة. وترك انتوني ناتنج يعبر عن ذلك قائلاً:

« كان ما حصل عليه - عبد العزيز آل سعود مبلغاً ضخماً بالنسبة إلى أمير معوز كان يمكنه في ذلك الوقت أن يضع في خرجه الاحتياطات المالية في مملكته بأسرها - إلا إن ابن سعود عجز تماماً عن تنفيذ هذا الجانب من الصفة .. وعندئذ غرست بريطانيا مضاعفة الإعانته إذا استرد ابن سعود "مدنية" حائل عن أمريكا في آل الرشيد، غير أنه أى ابن سعود أصر على الحصول على ثلاثة أضعاف هذا المبلغ وأن يتم تزويده بعشرة آلاف بندقية »

في غضون ذلك عمل الحسين على إخضاع هذه الواحة لسلطة الحجاز، رغم دخولها في نطاق الأرضي التابعة لل سعوديين، ووجود كثير من الوهابيين فيها. وكانت هذه الواحة سوقاً لبيع منتجات إقليم نجد ومواشيها إلى أهالي الحجاز فما إن أرسل الحسين قواته لاحتلالها حتى صمم عبد العزيز بن سعود على إعادتها إلى نجد، وجعلها بمثابة حد يوقف عنده « توسيع الدولة الحجازية » في ممتلكاته.

واحتاج عبد العزيز آل سعود إلى منفس تخرج منه نزعة أهل نجد لنشر المذهب الوهابي في الأقاليم العربية المجاورة. كما شعر بضرورة إظهار قوته للسياسة البريطانية، ووضعها أمام الأمر الواقع، وإقناعها بأن له من المقومات

التي تسمح له بالسيطرة على شبه الجزيرة العربية ما لا يتوفر لدى الهاشميين . فصمم على محاربة القوات الحجازية، وأعد قواته سار بها متوجهاً صوب الغرب، وصوب أرضي الحسين .

ولقد حاول فيليبى، ممثل السلطات البريطانية في الهند لدى بن سعود، أن يثنى عن عزمه، ويدركه باتفاقية العقير والتزام بريطانيا بمساعدته إذا ما هاجمت قوات أجنبية (١٠) .

وقد وقعت المعركة الفاصلة في تربة، في عام ١٩١٩ م بين قوات الملك حسين وبين الإخوان، وسقط على أرض المعركة خمسة آلاف قتيل، وكان النصر في جانب مقاتلي نجد الذين أستولوا على غنائم حربية من بنادق ومدافع ورشاشات كثيرة، ونجحوا بذلك في كسر قوة الحسين الرئيسية في الحجاز، في الوقت الذي تشتت فيه بقية قواته في الشمال. وأصبحت القوة الرئيسية في شبه الجزيرة العربية هي قوة نجد التي إنفتح الطريق أمامها، دون مقاومة، إلى مكة والمدينة .

وفي نفس الوقت دارت المفاوضات بين الحلفاء الهاشميين لتسوية مشكلات ما بعد الحرب، وحولت بريطانيا أن تجد في إتفاقها مع الأمير قيصل ما يخرجها من تضارب وعودها، بين إستقلال العرب الذي تعهدت به للشريف حسين، وإتفاقية سكس بيكو التي أتفقت فيها مع حلفائها الغربيين على تقسيم البلاد العربية، وبين هذه الوعود نفسها وتصريح بلفور الذي هدف إلى إدخال مشردي اليهود، أو من يدعون التشرد، أرض فلسطين العربية وإخضاعه إياها (١١) . أحتاجت بريطانيا إلى معاونة الهاشميين السياسية لإخراجها من ورطتها، والموافقة ولو بشكل، مقنع - على مصالحها الإستعمارية في البلاد العربية. فلم يكن من السهل على بريطانيا أن تتخلّي عن الهاشميين، وخاصة أمام قوة نجد الناشئة، التي تستند إلى حد السيف لتغيير الوضع القائم، ولبناء دولة تعتمد على الإسلام.

إضطرت بريطانيا إلى الوقوف إلى جانب الحجاز في هذا الوقت، بحجة وفائها بتعهدياتها الدولية وطلبت إلى عبد العزيز آل سعود أن يترك تربة والخرمة أرضاً خلاء، حتى تتم تسوية مشكلات ما بعد الحرب والحدود وأن يعود في الحال برجاله إلى نجد. وهدته بأن الإتفاقية البريطانية السعودية «إتفاقية العقير» ستتصبح لاغية في حالة رفضه تنفيذ هذا الطلب، بل وبإنها ستتخذ التدابير اللازمة ضد هذه الحركة «المعتدية» على الحجاز. أما في حالة إنسحاب أهل نجد فإن بريطانيا ستقدر لعبد العزيز بن سعود عمله، وتعتبره دليلاً على الود والولاء «لأنها تعد الجميع أصدقاء لها وتنسف أشد الأسف لما وقع بين أصدقائهما، سواء أكان النصر في جانبهم أو في جانب الحسين».

هكذا اتضاع الأمر أمام عبد العزيز آل سعود: في أن بريطانيا تتدخل وتطلب إليه أن ينفذ، ويثبت وده وولاه، وإنما فإن بريطانيا لن تتبعه بمساعدته على الاحتفاظ بإستقلاله أمام أي غزو أجنبي!! فإن إتفاقية العقير قد وضعته في موضع التابع لبريطانيا ولهذه الدولة أن تؤيد من تشأ، وتقدم من تختار من بين العرب، خاصة وأن دخول السعوديين الحجاز كان عملية هجومية وليس عملية دفاعية وكانت وحدات الأسطول البريطاني راسية في جدة وينبع والعقبة، والفرق الهندية والأسترالية قريبة، في مصر وفلسطين، ووحدات سلاح الطيران البريطاني تحلق فوق فلسطين.

أضطر عبد العزيز آل سعود إلى الإنسحاب بقواته من تربة صوب نجد، ولكن العداء أصبح معيناً بينه وبين الملك حسين، وعمل عبد العزيز على تدعيم مركزه في وسط الجزيرة نفسها، وإتخاذ موقف المدافع عن بلاده حتى يضمن مساعدة بريطانيا أو حيادها في العمليات. ووجه مجهوده ضد حكومة آل الرشيد في حائل «إقليم شمر» في الشمال، وساعدته الفنائيم التي أستولى عليها في تربة، وتخلي الدولة العثمانية عن آل رشيد، على الإنتصار، وعلى ضم

هذه المنطقة إلى ممتلكاته، وأعلن نفسه سلطان على نجد وملحقاتها . وإرتفعت أسمه في أعين العرب، وأهميته في نظر بريطانيا نفسها، ووصل سلطان نجد إلى أوج عظمته، ولكن عبد العزيز إضطر إلى الانتظار إضطراراً، حتى تحين الفرصة ويتغير موقف القوى الموجودة في الميدان الواحد من الأخرى، وطلت أنظاره متوجهة إلى الحجاز. وفي الوقت الذي زارت فيه قوة آل سعود في الحجاز، نتيجة للمكاسب المادية والمعنوية التي حصل عليها، مستنداً إلى تكوين قواته وتدعمها قلت فيه قوة الملك حسين في الحجاز، بل وإنخفضت أسمه لدى حلفائه бритانيين . وكانت هذه هي الفرصة التي إنتظرها عبد العزيز بن عبد الرحمن للقيام بدوره في تاريخ الخليج العربي، لكي يحرر نفسه من الإرتباطات التي حدث من حرية عمله أمام الإمبراطورية бритانية.

في غضون ذلك كان الحسين بن علي قد يستند من الناحية السياسية إلى الوعود التي أعطتها له بريطانيا أثناء الحرب العالمية؛ ومن الناحية العسكرية إلى المعونة المادية التي زودته بها بريطانيا، وكذلك إلى الخبرة الفنية бритانية والفرنسية لتنظيم قواته، وإستند من الناحية المعنوية إلى شرف نسبه وسمو مركز أسرته بين العرب فأخذ موقف المتحدث الرسمي باسم العرب، والممثل الفعلي لأمال القومية العربية وأمانيتها، ولكن هذه الدعامة التي يستند إليها الحسين بن علي كانت تحمل في نفس الوقت طياتها ودلائل أخرى.

من الناحية السياسية كانت بريطانيا قد أعطت وعوداً تضاربت مع الوعود التي قطعتها علي نفسها حاله، فأضطر الحسين إلى المطالبة بتنفيذ التعهدات бритانية ولكنه لم يجد من حكومة لندن إلا المراوغة ومحاولة التملص، بل وإغراق القضية العربية في الجزئيات حتى يضيع هيكلها العام. وإتخاذ موقف المحامي المدافع عن القضية العربية، وأخذ في إتهام بريطانيا

علانية بنكث الوعود والعقود، فتغير جو الود والصفاء الذي ساد بينه وبين حكومة لندن.(١٢)

ويرى الدكتور جلال يحيى أن العالم العربي كان قد بدأ يشعر بإإنفصال قيادته الهاشمية عن قاعدة الوطنيين المكافحين. وكانت طلبات السوريين لفيصل بإعلان الحرب على فرنسا، حيث شرعت في إحتلال بلادهم، تدل على هذا الإنشقاق، الذي تبلور في معركة ميسولون، حين رفض يوسف العضيمة أوامر فيصل بعدم التعرض للفرنسيين، ووقع مدافعاً مجاهداً بل شهيداً من شهداء القومية العربية في الميدان. فكان من الطبيعي أن يأخذ الوطنيين العرب على القيادة الهاشمية اقتصارها على المدافة والتراaque عن قضية الوحدة والحرية، التي لا تحتاج إلا للدماء لكتبها. ففشل الحسين إذاً في إرضاء القاعدة الوطنية في الوقت الذي أغضب فيه أصدقائه البريطانيين.

ومن الثابت أن بريطانيا قد أرادت بذلك أن تضع حسيناً في موضع لا يحسد عليه، وأن تجبره على الإلتقاء إليها، بشكل يفرض عليه عدم معارضتها سياسياً في الشرق العربي وأصلت بريطانيا هذه السياسة، وأرسلت الكولونيال لورانس إلى الحجاز في سنة ١٩٢١ لكي يشرح للحسين ضرورة عقده لمعاهدة تحالف مع بريطانيا، حتى يتمكن من الإحتفاظ بعرشه أمام أي هجوم من الخارج : وكان معنى التحالف هو الوصول بهذا الشيخ إلى موقف عميل الاستعمار، وإستغلاله في الإحتفاظ بالوضعية الاستعمارية المفروضة على المنطقة. وقد يكون من الخطأ السياسي أن يرفض الحسين هذا العرض، وخاصة أمام تهديد قوات نجد له، ولكنه يدل على إخلاص هذا الشيخ لمبادئه ولعروبيته، وإن كان قد ثبت عدم صلاحيته قيادة المعركة العربية، في مثل هذا الميدان، وأمام هؤلاء الأعداء، وعلى أي حال فقد ساعد ذلك على زيادة مخاوف الشريف حسين.

ونترك الدكتور / جلال يحيى يستكمل الخطوات التالية للشريف حسين

قائلاً:

«وكانت أول خطوة له في هذا الطريق هو إعلان نفسه ملكاً على البلاد العربية سنة ١٩١٦ مما جعل القيادات العربية الأخرى تعمل على التخلص من سيطرته عليها، مستندة في ذلك إلى إنه لم يحصل على البيعة. ووصل به الأمر في ٧ مارس سنة ١٩٢٤ إلى إعلان نفسه خليفة للمسلمين بعد أن تخلص من الأتراك الكماليين، من آخر خلفاء آل عثمان. وكان الحسين بن علي قد أغضب جزءاً هاماً من الرأي العام الإسلامي حينما أعلن الثورة على الدولة الإسلامية، دولة الخلافة الإسلامية، وظهر الغضب واضحاً في البلاد العربية والإسلامية التي كانت تجاهد من أجل حصولها على استقلالها من الدول الاستعمارية الغربية، وفي توافق مع حركة الجامعة الإسلامية المركزة في الدولة العثمانية. ظهر هذا الغضب من «الثورة العربية»، تجاهلت قوات نجد وقوات الحجاز بمجرد أن أعلن الحسين نفسه خليفة على المسلمين وكانت فرصة نادرة لكي يحقق عبد العزيز بن سعود خطته وينجز دوره في تاريخ الخليج العربي بل والعالم العربي المعاصر.

وليس معنى هذا أن عبد العزيز بن عبد الرحمن قد يستند إلى تأييد بريطانيا في الهجوم على الحجاز أو أن بريطانيا قد رضيت عن توسيع سيد نجد وعن توسيعه لحدود سلطته من سواحل الخليج العربي إلى سواحل البحر الأحمر، بل أن عبد العزيز آل سعود قد استفاد من «حياد» بريطانيا في شأن الأراضي المقدسة لكي يضرب ضربته.

وكانت مصلحة بريطانيا الفعلية في هذا الوقت هي الإحتفاظ بالوضع القائم ورسمت خيوطه، مقطعة بها أوصال العالم العربي. وكانت مصلحتها الفعلية هي الإحتفاظ بالتوازن بين القوى الموجودة في المنطقة، حتى لا تزيد

الفصل الخامس

إمكانيات إحداها، ويحصل بها الأمر إلى التحكم مافي طرق المواصلات الإمبراطورية مستقبلا.

كانت بريطانيا تخشى من توسيع نجد صوب العراق، وصوب شرقي الأردن، خاصة وإن احتلال أهل نجد لأقليم شط العرب، أو توغلهم في الممر الصحراوي الشمالي الذي يصل شرقي الأردن بالعراق، ويفصل نجد عن سوريا كان يعمل على قطع خطوط مواصلات الإمبراطورية البريطانية البرية بين حيفا والخليل العربي. وكانت المناوشات مستمرة بين الإخوان والسلطات المحلية في كل من هاتين الجبهتين.

ويرى لنتونى ناتنح فى تقدير الأحداث الجسام السابقة أن بريطانيا قد أحست بالخطر خاصة بعد إشتباك كل من الشريف حسين والأمير عبد العزيز على حدود الحجاز ونجد، حيث كانت بريطانيا قد انحازت إلى جانبى حسين فى هذه المشكلة وفي مارس ١٩١٩ أمرت ابن سعود بالخروج من الحزمة، ولكن عندما وصل عبد الله فى مايو من نفس العام ليتملكها باسم الشريف خسر كل القوة التى كانت معه على أيدي الوهابيين، وأدى ذلك إلى عقد مؤتمر برئاسة بريكانيل فى الكويت فى نوفمبر ١٩٢٣ دعا ابن سعود إلى السماح لحسين بامتلاك الحزمة إذا اعترفت بريطانيا بحقه فى وادى سرحان، ولكن الأمير رفض صراحة إذا كان يعلم أن بإمكانه الإحتفاظ بالإثنين، وقد سادت حالة من الهدنة المسلحة لمدة أربعة أشهر، ثم نادى حسين بنفسه خليفة فى فبراير ١٩٢٤ م وكان هذا بالنسبة لابن سعود ذريعة كافية للإستيلاء على الحجاز، وفي سبتمبر من نفس العام سقطت الطائف فى أيدي الإخوان المتحمسين.. وفي السنة التالية حصل الأيدى على المدينة المنورة وجدة وفي ٨ يناير ١٩٢٦ نوى بابن سعود ملكا على الحجاز وسلطانا لنجد.

أما تفصيلات هذه الأحداث التى أوردها ناتنح فقد سارت على النحو الآتى اعتبارا من عام ١٩٢٣ م:

أولاً: سعت بريطانيا إلى عقد مؤتمر يضم ممثلي السعوديين مع ممثلي كل من العراق وشريقي الأردن والجذار في الكويت لتصفية المسائل المعلقة، أي لإقرار الوضع القائم، والإحتفاظ بالتوازن بين القوى العربية المختلفة، وفي صالح الإمبراطورية البريطانية. واستندت بريطانيا في ذلك إلى النزاع القائم بين نجد والجذار حول السماح لأبناء وسط الجزيرة للمشاركة في الحج من ناحية وإلى إغارة بعض الإخوان على حدود العراق وشريقي الأردن من ناحية أخرى.

وكان الحسين بن علي قد إشترط في عام ١٩٢٢ على حكومة نجد أن تبلغه رسمياً عدد الحجاج، وأن يكون وصولهم إلى الجذار عن طريق البحر كبقية المسلمين. وإلتجأ عبد العزيز بن سعود إلى المندوب السامي البريطاني في العراق وطلب منه التدخل، نظراً لما يعرفه من إزدياد التفوذ البريطاني حول ملك الجذار. فلم يكن من الملك الحسين إلا أن تصلب في موقفه، خاصة وأن علاقته كانت قد ساقت مع بريطانيا وإتهم حكومة لندن بمحاباة ابن سعود وأعلن أن توغل الإخوان في منطقة الحدود النجدية الجذارية يفرض عليه إقفال هذه الجبهة، وإننتظار وصول الحجاج بالسفن عن طريق البحر الأحمر.

ووجد البريطانيون أن كل من حكومات العرق شريقي الأردن والجذار ونجد تلتجي إليهم للتدخل، وكل للدفاع عن مصالحه، فقرروا جمع ممثلي هذه الدول العربية لتصفية الخلافات مع بريطانيا.

ثانياً: إنعقد المؤتمر في الكويت في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٣ وتخلف عنه مندوبي الجذار. واستمرت المباحثات خمسة جلسات اتفق فيها مندوبي نجد مع مندوبي العراق على بعض مواد لتسوية مشكلات الحدود بين الإقليمين. ولكن العراقيين إشترطوا أن تصل حكومة نجد إلى تسوية خلافاتها، وعقد اتفاق مع الجذار، حتى يصبح اتفاقهم مع السعوديين نافذاً. فأصبح الاتفاق العراقي - النجدي معلقاً، إنتظار للمباحثات السعودية الجذارية.

أما مندوب شرقي الأردن فقد طلبوا إخلاء الجوف وسكاتكا وادي السرحان من الإخوان، وإلهاقها بإماراتهم، مستندين إلى إنها «حيوية» للإحتفاظ بمواصالتهم مع العراق. وطلبوا كذلك إخلاء المناطق التي يحتلها أبناء نجد في إقليم الحجاز، وهي تربة والخرمة وخبيبر، وجعل الصحراء هي الحدود مع نجد. ورفض السعوديين هذه المطالب، فانفض المؤتمر لكي يتشاور المندوبيون مع حكوماتهم، ويعودوا للجتماع من جديد في يوم ٨ يناير ١٩٢٤.

ثالثاً: لم تشارك الحجاز في هذه الدورة الثانية، بل أن مندوب العراق نفسه قد تخلف، ولم يحضر إلا وفد نجد ووفد شرقي الأردن. وأصر مندوبو شرق الأردن على طلباتهم السابقة بشأن المر المصالحة مع العراق، وكذلك في أمر الحدود النجدية - الحجازية، ففشل المؤتمر. وفشلت سياسة بريطانيا في الحصول على اعتراف يدعم من الامر الواقع. وإن هز عبد العزيز هذه الفرصة التي اصطحبها زيارة عزلة الملك حسين، وتوترت العلاقات بينه وبين البريطانيين، لكي يهاجم الحجاز ويضمهم لنجد.

رابعاً: كان فشل مؤتمر الكويت يخدم أغراض عبد العزيز آل سعود بطريقة غير مباشرة، إذ أنه يطلق يداه في العمل على إرضاء مصالحه، خاصة وأن قواته كانت مستعدة، في الوقت الذي ظهر فيه ضعف الحكومة الحجازية.

غير أن عبد العزيز بن عبد الرحمن وجد أنه من الخطورة بمكان أن يقوم بحركة لها لون سياسي ظاهر، أو يغلب عليها اللون العسكري. فعمد إلى إخفاء أهدافه وراء لون آخر، هو الدين وفرائضه، حتى يحرم بريطانيا من إمكانية التدخل في نزاع إسلامي، وحول الأراضي المقدسة.

فما أن علم سلطان نجد بفشل مؤتمر الكويت حتى جمع مؤتمراً آخر في الرياض لتشاور في مسألة الحج. وتألبت كل العداوة القديمة بين الأشراف وبين الأشراف وبين السعوديين منذ إعلان المذهب الوهابي. وأتهم أهل نجد الملك

الحسين بأنه تركي، ثم أتهمه بأنه عميل البريطانيين، وانتهوا إلى أن ليس له حق في منع المسلمين من الحج إلى بيت الله الحرام : فهو يمنع إذن قيام المسلمين بفرائض دينهم، عليهم - كمسلمين مخلصين - أن يسيروا إلى مكة وإذا منعهم مانع فهناك السيف، لإعلاء كلمة الله والإسلام .

كان هذا القرار يعني الزحف العام على الحجاز، ويقوم به أهل نجد، وعمد عبد العزيز آل سعود إلى تأييدهم بقوة عسكرية بلغت ستة عشر لواء، تجمعت في قيادة خالد بن Löي، وكانت هذه القوة مكبيرة نسبياً أيام قوات الملك حسين باكمتها، وزادت من أهميتها هذا الزحف العام الذي يقوم به أهل نجد بحد السيف إن تطلب الأمر، وساروا جميراً تحت لواء الإسلام، وزادت حماستهم لإعلان الأرض المقدسة ملكاً مشرعاً لكل المسلمين.

خامساً: لم تعلم حكومة الحجاز بهذه التعبئة حتى توغل الإخوان صوب الطائف، فحاوالت أن توقف هذا الزحف، وتحتفظ بسلطة الدولة على المدن الهامة، فأصدر الملك حسين أوامره إلى حامية الطائف بالوقوف والدفاع. وخرج بعض رجال حامية هذه المدينة إلى المرتفعات القديمة، ونصبوا عليها المدفع لانتظار مجيء أهل نجد: بعض مئات من قوات الحجاز يساعدها بعض مئات من المتطوعين من القبائل، ولكن القوات الزاحفة كانت حشوداً، وكتلاً متراصة. وفي نفس الوقت أصدر الحسين أوامره لقواته في مكة بالتقدم في طريقين، شمالاً وجنوباً، صوب الطائف للعمل على إنجاد هذه المدينة، وتطويق قوات نجد، وقطع خط الرجعة عليهم. ولكن القوات الزاحفة من مكة تأخرت في سيرها، كما أن مقدمة جيش الحجاز، وكانت من متطوعي القبائل، لم تصمد كثيراً أمام هجوم الإخوان، بل قام بعضهم بالإنسحاب لقوات نجد نفسها في أثناء المعركة. فاضطررت قوات الطائف إلى التذقر قليلاً أمام الإخوان، وإحتل أبناء نجد كل موقع ينسحب منه جنود الحسين، حتى بلغوا مدينة

الطائف نفسها. ولقد استبسّل جنود الحجاز في الدفاع عن الطائف، ولكن شجاعتهم لم تغنيهم شيئاً أمام الحشود الزاحفة، فإضطروا إلى إخلاء المدينة التي تدفقت إليها جموع الإخوان.

ووَقَعَتْ فِي الطَّائِفْ مُذَبْحَةْ عَامَةْ رَاحَ ضَحْيَتْهَا الْأَلَافُ مِنَ السَّكَانِ، وَنَهَبَتِ الْمُتَّلِكَاتِ وَالْدِيَارِ، وَإِسْتَخْدَمَتْ فِيهَا الْقَسْوَةَ وَسَادَ عَلَيْهَا رُوحُ الانتقامِ. وَأَمْرَ قَائِدِ الْإِخْوَانِ بِإِخْرَاجِ سَكَانِ الْمَدِينَةِ رَجُلًا وَنِسَاءً وَأَطْفَالًا إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ «وَكَانَ النِّسَاءُ سَافِرَاتٍ لِأَوْلَ مَرَةٍ فِي هَذِهِ الْبَلَادِ»، وَكَنْ مَعَ الرِّجَالِ، وَمَكْثُوا أَيَّامًا ثَلَاثَةً، وَيَقَالُ أَنَّ بْنَ سَعْوَدَ قَدْ بَكَى حِينَ بَلَغَتْهُ الْأَخْبَارُ، وَعَرَفَ الْمُنْظَرُ الَّذِي دَفَعَهُ إِلَى اِحْتِلَالِ الطَّائِفِ وَأَمْرَ قَوَادِهِ بِالْكَفِ عَنِ الْقَتَالِ.

سَاسَاً: حَاوَلَ الْأَمِيرُ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ أَنْ يَقْفِي الْهَدِيَّ لِنَعْمَلْ قَوَاتِ الْإِخْوَانِ الزَّاحِفَةِ مِنَ الْوَصْوَلِ إِلَى مَكَّةَ. وَلَكِنْ قَوَاتِهِ لَمْ تَزِدْ عَلَيْهِ مَا يَئْتِي جَنْدِيَّ، وَسَتْمَائَةً مِنْ رِجَالِ الْقَبَائِلِ، فَلَمْ يَتَمْكِنْ مِنَ الْمُقاوَمَةِ طَوِيلًا أَمَّا قَوَاتِ الْإِخْوَانِ، وَأَسْرَابِهِمِ الزَّاحِفَةِ وَبِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ، فَفَاضَطَرَ إِلَى الْإِنْسَحَابِ إِلَى مَكَّةَ، ثُمَّ ذَهَبَ مِنْهَا إِلَى جَدَّةَ، وَبَقَى وَالَّدُ فِي مَكَّةَ لِلِّدِفاعِ عَنْهَا. وَفِي هَذَا الْوَقْتِ ظَهَرَتْ فَكْرَةُ تَنَازُلِ الْمَلِكِ حَسَنِ بْنِ الْمَلِكِ لَبْنَهُ عَلِيٍّ، وَعَمِلَ مِنْ أَجْلِهِ بَعْضُ أَهْلِ الْحِجَازِ أَنْفُسَهُمْ.

وَخَدَمَتْ هَذِهِ الْفَكْرَةُ خَطْتَةً عَبْدَ الْعَزِيزَ آلَ سَعْوَدَ دُونَ أَنْ تَقْدِمَ مَكْسِبًا وَاضْحَى لِلْعَرَبِ عَامَةً وَلِأَقْلِيمِ الْحِجَازِ بِشَكْلِ خَاصٍ. وَأَظْهَرَهَا أَبْنَاءُ الطَّبَقَةِ الْوَسْطَيِّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ فِي التِّجَارَةِ، وَيَهُمْ سِيَادَةُ السَّلَامِ وَأَعْلَنُتْهَا هَذِهِ الْحَفْنَةُ مِنَ الْمُتَعَلِّمِينَ فِي الْحِجَازِ وَالَّذِينَ حَاوَلُوا الْوَصْوَلَ إِلَى حُكْمِ دُسْتُورِيٍّ، أَيِّ إِلَى زِيَادَةِ إِشْرَاكِهِمْ فِي تَصْرِيفِ أُمُورِ الْأَقْلِيمِ.

وَأَعْنَدَ أَعْصَاءُ «الْحَزْبُ الْوَطَنِيُّ الْحِجَازِيُّ» أَنَّ الْعَدَاوَةَ اسْتَحْكَمَتْ إِلَى بَيْنِ الْحَسَنِ وَبَيْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ آلِ سَعْوَدِ، فَتَدَخَّلُوا لِفَرْضِ خَطَّتِهِمْ عَلَى الْمَوْقَفِ، دُونَ أَنْ يَسْتَندُوا إِلَى قُوَّةٍ مَعْنَوِيَّةٍ أَوْ مَادِيَّةٍ يُمْكِنُهَا أَنْ تَؤْثِرَ عَلَى سِيرِ الْمُرْكَةِ.

وكانت خطتهم تدور حول تنازل الملك حسين عن التاج لابنه علي، وفي أن يعلنوا علياً بن الحسين ملكاً دستورياً، أي أن يكسبوا من الأزمة النجدية - الحجازية إشراكهم في إدارة شؤون الحجاز. وكتبوا رسمياً إلى الملك في ٢ أكتوبر سنة ١٩٢٤ طالبين منه التنازل عن ملك الحجاز لابنه علي «علي أن يكون مقيداً بدستور ومجلسين نوابيين» فوضع الانقسام في المعسكر الحجازي، وعلى طريقة الحكم، والقوات النجدية تواصل تقدمها صوب مكة ولقد رفض الملك حسين أن يتنازل عن الحكم لابنه علي بالذات، ولكن معارضته انتهت كذلك بالتنازل، تاركاً لأهل الحجاز أمر اختيار ملك عليهم.

وكان هناك كثير من الأشراف في الحجاز، وكان عباس حلمي، خديوي مصر السابق، يصلح لمثل هذا «المركز». ولكن رجال الحزب الوطني الحجازي بايعوا علياً ملكاً على الحجاز، واسترطوا عليه أن يكون للبلاد مجلس نوابي وطني، وقانون أساسى تتضمنه جمعية تأسيسية «كما هو جاري في الأمم المتحدة». ولما كانت الظروف لاتسمح بإجراه، انتخابات في ذلك الوقت فقد ألف رجال هذا الحزب هيئة مؤقتة لمراقبة أعمال الحكومة.

وأثر تنازل الحسين علي معنوية الجندي، وأنكر من إنتصار عبد العزيز آل سعود دون أن يتحرك من الرياض، وجاء اعترافاً صريحاً من أهل الحجاز بضرورة تغيير الحال في إقليمهم وظهر بن سعود كمارداً أمام هذا الملك الصغير المتواضع المسلح.

واعتقد أبناء الحزب الوطني الحجازي أن إبعاد الحسين سيقضي على النزاع مع أهل نجد، ورغبوا في إنشاء حكومة حديثة في إقليمهم ولكنهم فشلوا في فهم عمق الهوة التي تفصل بين عقيدة الإخوان وبين حكومة الأشراف.

كما أن خطتهم لإنشاء حكومة حديثة في الحجاز كانت تتعارض كذلك وفي شكلها الخارجي على الأقل مع الطريقة البدائية التي يسير عليها أهل

نجد، رغم إشتمالهم علي نوع من أنواع الديمقراطية. وتناسوا نموا قوة «الأسرة» السعودية واستندوها إلي القرآن وحده دستوراً للMuslimين وإلي حد السيف قوة تنفيذية لتطبيق شريعة الله.

وأخيراً فقد فقد الحجاز بهذا التغير كل المزايا الدولية التي حصل عليها من بقاء الحسين ملكاً عليه، خاصة وأن الدولة الأوروبية كانت قد اعترفت به ملكاً على الحجاز. ولم تتعقد أي معاهدات دولية للاعتراف لحدود مملكة الحجاز فكانت الملكية مرتبطة بشخصه في هذه المنطقة، وإحتاج ابنه علي إلى اعتراف جديد به. وكان في إمكانية الحسين أن يستنجد بالبريطانيين إن تطلب الأمر ولكن ابنه فقد هذا السلاح.

وتوجه الحسين إلى جده ثم أبحر منها إلى العقبة، بعد أن رفضت مصر إقامته فيها، إبعاداً عن المشاكل ووقع علي كاهل علي أمر الاشتباك في معركة خاسرة.

سابعاً: يعتبر انتصار عبد العزيز آل سعود علي الملك حسين - من وجه نظر الدكتور جلال يحيى(١٦) - قضاء علي تلك القيادة العربية التي استندت إلى دول الغرب الاستعمارية، وسمحت لهم بطريقه غير مباشرة بالدخول إلى البلاد العربية. ولكن عبد العزيز بن عبد الرحمن كان هو الآخر مرتبطاً باتفاقية العquier مع بريطانيا منذ سنة ١٩١٥، يصادق من يصادقها ويعادي من يعاديها. وكان قد تراجع عن الصدام مع بريطانيا في الوقت الذي لم يتراجع فيه عن الصدام مع الحسين. وأنهى بذلك هذه المعارضة التي قام بها الحسين ضد بريطانيا، وعزل هذا «العامل» وأدار هذه الصفحة التي أخذ فيها العرب يطالبون بريطانيا بتحقيق وعودها التي قطعتها لهم في أثناء الحرب العالمية الأولى، إذ لم تكن بريطانيا قد قطعت من العهود العرب إلا للحسين بن علي.

عاد الملك علي من جدة إلى مكة لكي يدافع عنها لوكته لم يمكث بها إلا أسبوعاً، ثم إضطر في ١٤ من أكتوبر إلى الانسحاب منها عائداً إلى جدة مرة

جديدة، بعد أن وجد قوته تتحصر في خمسينات جندي. ودخل الأخوان مكة دون حرب، بل محترمين مطوفين ببيت الله، بعد أن أصدر عبد العزيز أمره بمعاقبة كل من يقاتل في هذه المدينة. ورغم ذلك فقد وقعت بعض عمليات السلب والنهب. ثم صمم عبد العزيز بن عبد الرحمن على الحضور إلى أم القرى. وقبل قيام سلطان نجد من الرياض أرسل بقواته إلى كل من حدود العراق وحدود شرق الأردن ليمعن أخيه علي، في الشرق والشمال، من الهجوم على نجد، ومن إرسال المعاونة لأخيهم في جدة. وكان دخول عبد العزيز بن عبد الرحمن إلى مكة مع حشود الخوان يوماً مشهوداً، ارتفعت فيه ضرخاتهم تجاوباً لها: لبيك الله لبيك.

وكان الملك قد أرسل بخطابات إلى ملوك العرب ورؤساء المسلمين، طالباً منهم التدخل للتتوسط في الصلح مع سلطان نجد، وحاول الحاج أمين الحسين أن يتتوسط، ولكن عبد العزيز عدده له مساواة حكم الأشراف في الحجاز، وأكده عزيمتهم على إقامة إدارة فيه «تكفل حقوق جميع المسلمين بوجه المساواة». أما شوكت علي، رئيس جمعية الخلافة في الهند، فإنه أجاب حكومة جدة بأنه لا يعترف لهم بحق توليه ملك علي الحجاز بمفردهم، وأن الحكم في ذلك يجب أن يكون لكافحة المسلمين في المؤتمر العام، وأن مسلمي الهند لا يقبلون بأي وجه من الأوجه تولية الحسين أو أحد أولاده ولا يرضون إلا بتأسيس حكومة ديمقراطية يشترك فيها جميع المسلمين.

وعموماً فقد ثبت إنعزاز الملك علي وضعفه، وعزم تأييد العالم الإسلامي له، في الوقت الذي دخل فيه عبد العزيز مكة. وسادت نظرية لا تعرف لعربى بفضل علي عجمي إلا بالتقوى، وتنادي باشتراك جميع المسلمين في تحرير وضع جديد للإراضي المقدسة، أي ملكية المسلمين المشتركة لبلاد الحجاز. ولم يبقى لفصل الأمر إلا بالقوى المادية، وكانت في أيدي أبناء نجد دون منازع.

وحيثما طلب الملك علي من عبد العزيز حقن الدماء والوصول الي سلم، اشترط عليه سلطان نجد أن يقوم بإحلاء الحجاز، وينتظر حكم العالم الاسلامي في الأمر.

وأجتمع عبد العزيز آل سعود بأهل مكة، ورفض أن يسمح لهم بتقبيل يده، وحيثما أظهروا دهشتهم شرح لهم أن عادة العرب المصافحة كذلك فعل الصحابة مع الرسول (صلعم)، ومع بعضهم بعضاً، وأن عادة تقبيل الأيدي قد نزحت إلى البلاد العربية مع الأجانب.

ثم وافق على اجتماع كل من علماء مكة مع علماء نجد، لكي يتشاورا في أمور الدين والشرع، ولكي يصلوا إلى اتفاق حول المسائل المذهبية، وبالتالي إلى اقرار قانون اساسي أو دستور يرضاه الجميع، وفي هذا الاجتماع شرح الشيخ حافظ وهبة أهمية مكة والجاز من الناحية الإسلامية، ثم رسم الخطوط العامة لسياسة السعوديين في هذه المنطقة، فربط بين إنتشار الباع البلاد الإسلامية وبين إتجاه «الترقيي المدني» وذكر أن السعوديين يهدفون إلى «الارتقاء الديني» وذلك برجوع المسلمين إلى السنن التي سنها الله لهم في كتابه وعلى لسان نبيه، ثم شرح ان السعوديين يهدفون إلى الرجوع بالإسلام إلى عهد الشوري، وأوضح ان عبد العزيز بن عبد الرحمن لا يريد أن يكون هذا البيت ملكاً لأحد، بل مشاعراً بين المسلمين، ولكل شعب من الشعوب الإسلامية، ولكل فرد من أفراد العالم الإسلامي حق فيه، وختم بأن التجربة قد اثبتت فشل حكم آل الحسين للجاز، وأن الواجب يحتم على كل العرب أن يعملوا على التخلص منهم.

أما عبد العزيز آل سعود فقد شرح أن الرسول (صلعم) قد قاتل من كان بمكة حينما عصيت قريش أوامر الله، وأعرضت عن الحق، وأنه قد شرف بلال الحبشي وسلمان الفارسي بعد إسلامهما، والأول عبد حبشي والآخر رجل

فارسي، وأن الله قد أذل أبو لهب بالكفر وهو عم الرسول (صلعم) فالشرف ليس بالحسب ولا بالنسب، وإنما هو بالعمل الصالح، فاذاً بذلك الديمقراطية الإسلامية، دون نظر إلى نسب أو إلى عنصر، بل على أساس المساواة وتقديم العمل الصالح.

ولم يكن في استطاعة أي من علماء مكة أن يجادل في هذه المبادئ فأصبح الشرع هو دستور الحجاز، يستمدونه من الكتاب والسنة.

نشر عبد العزيز بن سعود بياناً تعهد فيه بجعل الأمر في الحجاز شوري بين المسلمين، وبقصر مصادر التشريع والاحكام علي كتاب الله وسنة رسوله، أو ما أقره علماء الإسلام عن طريق القياس أو ما أجمعوا عليه، وزبرق إلى كافة المسلمين فيسائر الدول طالباً منهم أن يرسلوا وفودهم لعقد مؤتمر إسلامي عام، يقرر شكل الحكم الذي يرون أنه صالحًا ومطابقاً لأحكام الله في الأرضي المقدسة.

ولكن الخلاف لم يكن في وضع أساس الدستور أو الرجوع إليها، بل كان في استخراج القوانين وفي طريقة تطبيقها، أي في علاقة الفرد بالمجموع في تفاصيلها، وسلطة المجتمع، وتمثله الحكومة، في تطبيق هذه القوانين على الأفراد، خاصة في مسائل الدين. فنجد أن الأخوان لا يدخنون ولا يسمحون للمسلم بالتدخين، ويعارضون في استخدام مظاهر الحضارة الحديثة من برق وهاتف في حياتهم اليومية، فهل يتمشى هذا الموقف مع الدستور الذي اتفق عليه، أي مع الشريعة الإسلامية (١٧)

وقدت بعض المشكلات بين الإخوان وبين أهالي مكة نتيجة لضررهم من يقوم بالتدخين، ودفعهم الأهالي دفعاً إلى إغلاق الحوانيت حينما يؤذن المؤذن للصلوة، وأجبارهم أيّاًهم على القيام بالفرائض وفي أوقاتها. وشعرت «جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» أن من واجبها استخدام كل الوسائل لإجبار

أهل الحجاز على تطبيق ما ارتضته لنجد مذهبًا، ولكن هذه المشكلات كانت تهدد عبد العزيز آل سعود بقيام حركة معارضة له في بقية البلاد الإسلامية، خاصة وأن مسألة الخلافة كانت لا تزال قائمة، بل كانت سلطة الملك على لا تزال موجودة في جدة، فاضطر عبد العزيز بن عبد الرحمن إلى التخلص من شيء من «توصيات» ابن عبد الوهاب، بل أيضًا من إتجاهات ابن قيم الجوزية، ووقف عند المذهب الحنفي، أي أنه اعترف بوجود المذاهب الأخرى، وبصلاحية تطبيقها.

واضطر عبد العزيز إلى أن يوبخ رجاله، وأمرهم بآلا يشتموا أو يضرموا أحداً إذ أن المعروف لا يدعى إليه بالمنكر.

ولكن سيد الجزيرة لم يقبل التساهل في أمر القيام بالفرض الإسلامي من صلاة وصوم و Zakah، وكلف البلدية بمراقبة تنفيذ ذلك. ثم عين الشيخ حافظ وهبة محافظاً على مكة نظراً لما عرف عنه من أنه رجل حر الفكر دمث الطبع فيمكنه أن يجذب القلوب بدلاً من أن ينفرها.

ثانياً: تقييم أحداث هذه الفترة فقد حاول بعض البريطانيين والعرب وال المسلمين من أصدقاء عبد العزيز آل سعود التدخل في الحرب القائمة بينه وبين الملك في جدة، وذلك للتتوسط من أجل السلام. أي بمعنى آخر الوصول إلى حل وسط، وبالتالي إلى منع سلطان نجد من الوصول إلى حل لشبه الجزيرة العربية، وذكر على التوالي كل من فيليبي المستشرق، وأمين الريحاني، وهو من عرب لبنان غير المسلمين، والسيد طالب النقيب من زعماء العرب والمسلمين في العراق. وكان فيليبي أقلهم أهلية للتحدث في موضوع يهمعروبية ويهما الإسلام. أما أمين الريحاني فلم يكن له حق التدخل في الشؤون الإسلامية، حتى وإن كان يمثل آراء بعض العرب المسلمين المتحررين في لبنان. وأما السيد طالب النقيب فكان أكثرهم أهلية.

فأضطر عبد العزيز آل سعود إلى ارجاع المسألة إلى أوصلها، والوقوف موقفاً ديكالياً، وشرح الحجازية هي إسلامية قبل أن تكون عربية، وأنها تهم المسلمين جميعاً، مما يحرم الأفراد والهيئات من التدخل بمفردهم، فأصبح واضحًا أن سلطان نجد لن يستمع إلا للحل الذي يرتضيه المسلمون أجمعون، وأبعدت بذلك كل محاولة تسعى إلى وقف المعركة، والاحتفاظ بوضع غير مستقل.

ويقي الملك علي في جدة، وحاول أن يبرر موقفه أمام أهل مكة في الإنساب من مدینتهم بضرورة التكتيك الحربي، وطلب منهم أن يساعدوه بإعلان الثورة حتى يتتمكن من القضاء على الاحتلال السعودي، وكأنه يحاول إثابة عامل الولاء لدولته سلاحاً في وجه «النظام الإسلامي» الذي دخل مكة، وظهرت ضحالة مجاهداته في هذا الميدان.

وجمع عبد العزيز آل سعود مجلس مشورته، وقرر الزحف على جدة، ولما كان هذا المبناء يشتمل على قنصليات الدول الأجنبية، وعلى عدد من رعاياها، فإن الإخوان قد قرروا محاصರته حتى يستسلم، وبذلت القوات تزحف صوب جدة، وأخذت في محاصرتهم وتضييق الخناق عليها، وسرعان ما بدأت المناوشات.

ازدادت قوات ابن سعود المحاصرة لجدة فقد زاد عددها من خمسة آلاف حتى بلغ أربعين ألفاً، وكانت أسلحتهم قد زادت مع الفنائيم التي حصلوا عليها في المعارك المتعاقبة. وكانوا يحاربون من أجل وحدة الإسلام، وتطبيق الشرع الإسلامي في الأراضي المقدسة، ويعملون جيداً لأنهم يحاربون ابن من عينه الأتراك على الحجاز، ومن ضحي بمصالح العرب والإسلام، ومن ثم حكم الطبقات الاجتماعية، ولا يعترف بالديمقراطية فظهر أن معركة علي هي معركة خاسرة من أولها، ولا تحتاج إلا لعامل الوقت لإقرار نهايتها.

وحاولت حكومة جدة إستخدام الطائرات في ضرب مواقع السعوديين المحاصرين للمدينة، ولكنها فقدت طائرتين في هذه العمليات، في الوقت الذي تلقت فيه طائرتان آخرتان. فحاولت إستخدام المصفحات وعززتها بسيارتي نقل، درعتهما بطريقة بدائية، ووضعت فيما المدفع الرشاشة، ولكنها غاصت في الرمال وأستولى السعوديون عليها. فخسرت حكومة جدة في ساعات ما صرفت الأشهر في إعداده ورسمه، وفقدت في هجماتها ما أمدتها به حكومة شرقي الأردن من بعض الأسلحة والذخائر فإنخفضت الروح المعنوية بين رجال الملك علي واقتربت النهاية.

وانتهز قناعي روسيا وإيران وهولندا، وكلهم من المسلمين، فرصة سماح عبد العزيز لهم باداء فريضة الحج لكي يطلبوا منه، بصفتهم الشخصية كمسلمين، استقبال وزير خارجية الملك علي، تمهدأً لتصفيه الموقف. واشترط ابن سعود أن يكون هذا الوزير مستعداً للموافقة على ما يمليه عليه من شروط، ثم طلب صراحة إنها حكم الهاشميين من الحجاز وخروج علي من جدة وإخراج والده الحسين من العقبة.

وحاول كل من إمام اليمن وشاه إيران وملك مصر التوسط في المسألة الحجازية، خاصة وأن وكالات الأنباء كانت قد نشرت الأخبار عند محاصرة السعوديين للمدينة المنورة، وببدأ الرأي العام الإسلامي ينشغل بضرورة حماية قبر الرسول (صلعم) من التخريب. وكذلك حاولت بريطانيا التوسط للدفاع عن مصالحها في منطقة الهلال الخصيب والطريق البري الموصل للهند أمام التوسع السعودي فما كان من عبد العزيز بن عبد الرحمن إلا أن فصل السياسة الدولية عن السياسة الإقليمية. ورضي بالتفاوض مع البريطانيين لتحديد مشكلات الحدود مع كل من العراق ومن شرقي الأردن. وأخرج بذلك بريطانيا من الميدان. ثم نجح في اقناع الوفد المصري بترك الحجازيين أنفسهم يقررون

نوع الحكم الذي يرضيهم، واعترف في نفس الوقت بحقوق العالم الإسلامي في الاراضي المقدسة، ووكل إلى الملك فؤاد أمر دعوة مندوبى المسلمين في مصر لينظروا في هذه الأمور، وتعهد بتنفيذ ما يقررون. كما أنه رد على إمام اليمن معلنًا قرب دعوة مصر لمؤتمر إسلامي، ورجا منه أن يشترك فيه. وترك الوفد الإيرانى يزور المدينة ويتأكد من عدم تخريب الإخوان لها، وطلب منه أن يبلغ حكومته فكرة إنعقاد المؤتمر الإسلامي لكي تشارك فيه وهكذا نجح عبد العزيز آل سعود في ابطال مفعول هذه المحاولات ووجهها صوب مشكلة الخلافة، محتفظاً لأهل الحجاز ولنفسه، بسلطة تقرير المصير الدولي للأقليم.

وتدخلت بريطانيا لسحب الملك حسين من العقبة في شهر يونيو سنة ١٩٢٥ وانتهت مقاومة المدينة المنورة ودخلتها قوات السعوديين في ٥ ديسمبر من نفس السنة، فاضطر الملك إلى قبول الانسحاب من جدة، وحملته السفينة البريطانية «كورن فلاود» إلى عدن ثم إلى العراق. ودخل عبد العزيز آل سعود المدينة يوم ٢٤ ديسمبر وانتهي بذلك حكم الهاشميين في كل الحجاز.

وشعر كل من السعوديين والجازيين بضرورة تدعيم الوضع الإقليمي لネットتهم قبل اجتماع المؤتمر الإسلامي، فقرروا في اجتماع عدوه يوم ٨ يناير سنة ١٩٢٦ مبايعة عبد العزيز بن سعود ملكاً على الحجاز، وأعلنوا بذلك توحيد إقليمهم مع بقية وسط الجزيرة. وأصبح لقب عبد العزيز الجديد هو «ملك الحجاز وسلطان نجد».

وهكذا نجح عبد العزيز في ضم الحجاز لنجد، والقضاء نهائياً على حكم الهاشميين ونظامهم. وقضى بذلك على أعون الاستعمار وأصبح عليه أن يدعم بناء دولته في الداخل وفي الخارج.

وفي تقييم توازن القوى الإقليمية يمكن القول ان عملية إبعاد الهاشميين من إقليم الحجاز وضمه إلى إقليم نجد كانت إحدى الخطوات التي سار عليها

الفصل الخامس

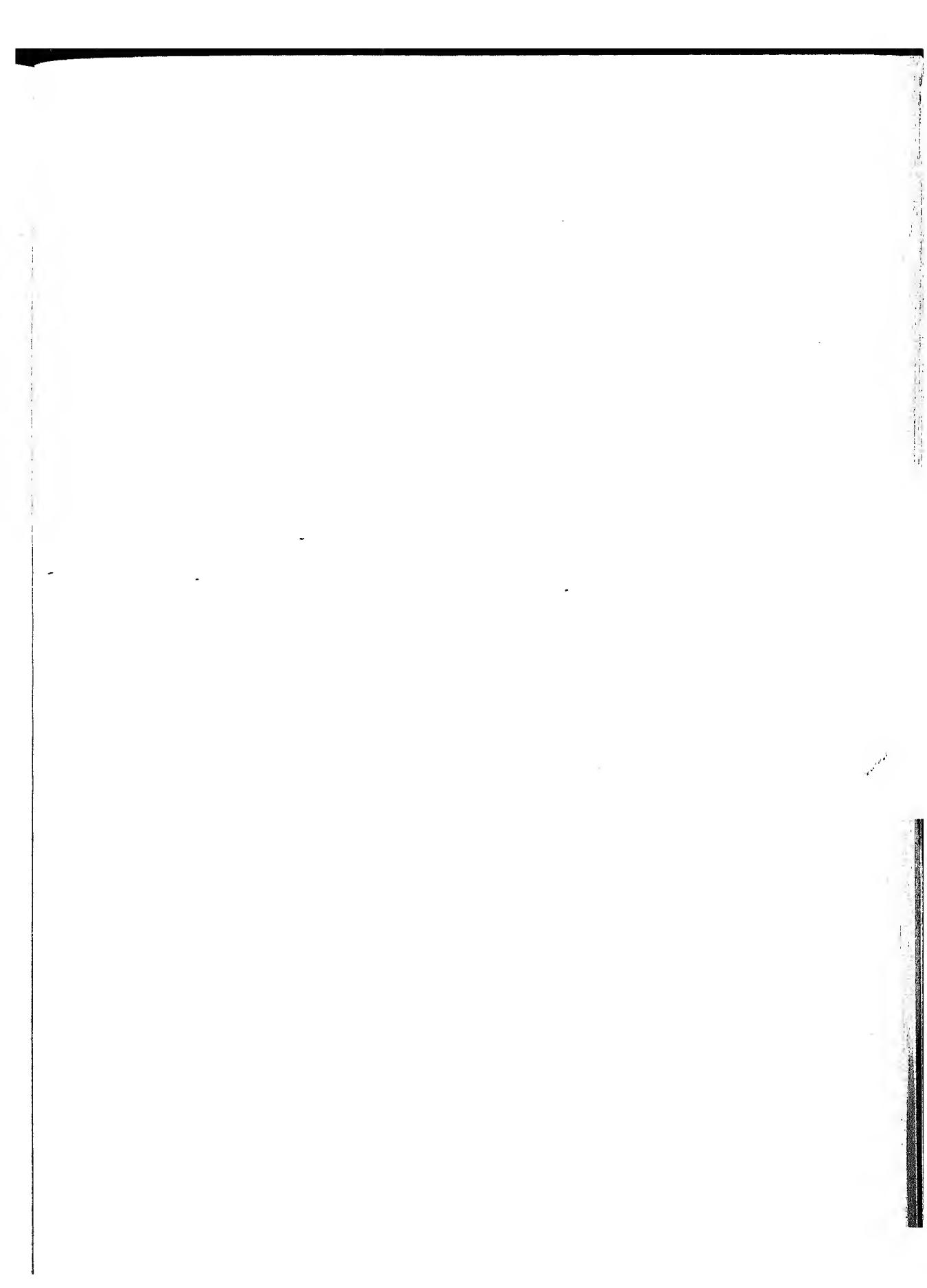
عبد العزيز بن سعود لبناء دولة قوية في منطقة الشرق العربي، لها خصائصها ودعائمه. واصبح من الواجب على ملك الحجاز، وسلطان نجد أن يدعم هذا البناء، وخاصة أمام الأخطار والمشكلات التي طالبت بضرورة إيجاد حل لها. وكانت هذه المشكلات متعددة، فمنها الإسلامي المتصل بأمر الخليفة والحج، ومنها السياسي الذي يتصل بالحدود مع البلاد العربية المجاورة، وفيها نفوذ بريطاني واضح، ومنها الداخلي الذي يتعلق بعملية البناء والتوحيد بين أقاليمه المختلفة، ومنها كذلك الاقتصادي ولقد نجح عبد العزيز في حل كل منها، وأن كان قد اضطر إلى تغيير موقفه، ونتيجة للقوى المواجهة له في الميدان وخاصة في مسألتي الوحدة العربية والمذهب الاصلاحي الوهابي. (١٨)

الهؤامش

- ١- درجت المصادر الغربية على إطلاق كلمة "ابن سعود" على الملك عبد العزيز "الباحث" وراجع في تفصيل ذلك أنتوني ناتنج، العرب : إنتصارتهم وأمجاد إسلامهم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٧٤ ص ص ٣٧٩-٤٢٨.
- ٢- وهو مايراه الباحث.
- ٣- راجع هو تفصيل ذلك ، محمد المانع ، م.س.ذ. ص ص ٣٤-٥٧.
- ٤- راجع في تفصيل ذلك ، دكتور جلال يحيى ، م.س.ذ. ص ص ٢٠-٣٧.
- ٥- راجع في تفصيل ذلك، أنتوني ناتنج، م.س.ذ ص ٤٠٩-٤٢٨.
- ٦- المرجع نفسه ص ص ٤١٢ - ٤١٨
- ٧- وهي اللفظة التي اطلعتها الدكتور / جلال يحيى على نظرة عبد العزيز آل سعود تجاه الهاشميين، وهذه بالطبع هي تحليقات الباحثين والمورخين الغربيين وهم في الغالب غير منصفين تجاه العرب "الباحث".



- ٨- دكتور/ جلال يحيى ، م.س.ذ. ص ص ٢٥-٢٧.
- ٩- انتونى ناتنج، م.س.ذ ص ص ٤١٤-٤١٥.
- ١٠- راجع : دكتور محمد نصر مهنا وأخرون ، الخليج العربى ، دراسة فى العلاقات الدولية والإقليمية، م.س. ص ص ٣٤٢ وما بعدها وراجع أيضاً أمين الريحانى ، م.س.ذ. ص ص ٣٠٥-٣١٠.
- ١١- لمزيد من التفصيل راجع، دكتور محمد نصر مهنا ، مشكلة فلسطين أمام الرأى العربى، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩.
- ١٢- دكتور/ جلال يحيى م.س.ذ. ص ص ٤٤-٤٥.
- ١٣- المرجع نفسه ص ص ٤٦-٤٧.
- ١٤- المرجع نفسه
- ١٥- انتونى ناتنج مرجع سابق ص ص ٤١٧-٤١٨.
- ١٦- دكتور/ جلال يحيى م.س.ذ. ص ص ٥٦-٥٨ وراجع أيضاً احمد عبد النفور عطار ، صقر الجزيرة ، ص ص ٢٨٠-٢٩٥.
- ١٧- دكتور/ جلال يحيى، م.س.ذ. ص ص ٥٩-٦١.
- ١٨- المرجع نفسه ص ٦٥.



الباب الثالث

الفترة المعاصرة و بعض مظاهر التحليث

الفصل الأول : سياسة الصحراء والتحديث السياسي

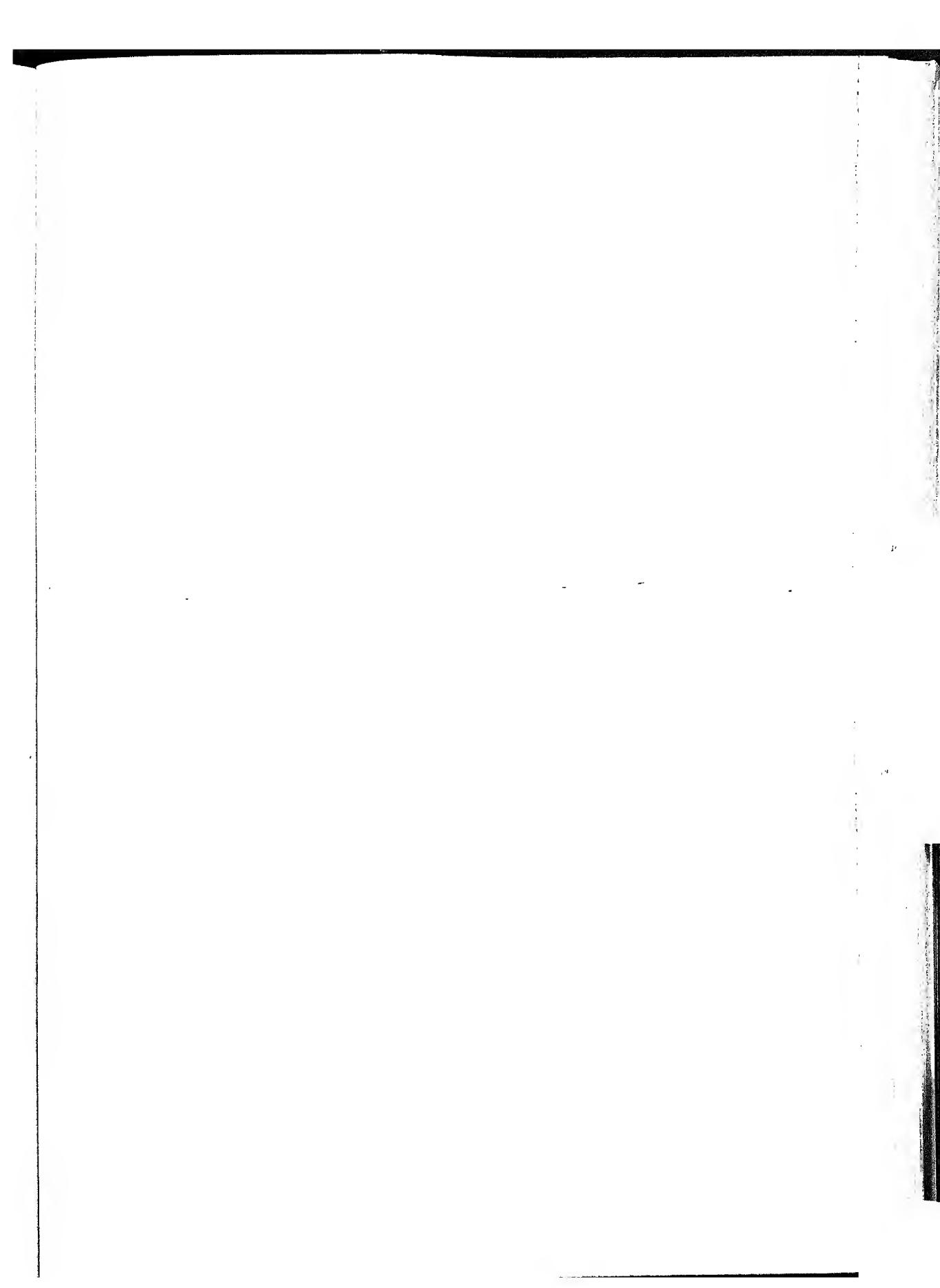
من عبد العزيز بن سعود إلى فيصل بن عبد العزيز
أزمات العلاقات الكويتية العراقية في القرن العشرين.

الفصل الثاني : سياسة دولة الإمارات العربية المتحدة بجاه الخليج.

الفصل الثالث : الموقف السعودي من أزمات الخليج العربي المعاصرة

الفصل الرابع : مشكلات نقل التكنولوجيا

فصل ختامي : الإعلام - النفط



الفصل الأول

التوجهات السعودية في التحديد

كان توسيع سلطان نجد وملحقاتها إقليمياً صوب البحر الأحمر يحمل في طياته عامل تغيير التوازن الدولي في المنطقة، بشكل اقلق بريطانيا، ورفع من مكانة عبد العزيز أمام من يسعون إلى الاحتفاظ لأنفسهم بكلمة حاسمة في مسألة خلافة المسلمين اجمعين وكان تطرف أهل نجد في مذهبهم الحنبلى يثير مخاوف المسلمين السنين المعتدلين في المناطق التي تخضع للنفوذ البريطاني. وكانت العمليات الحربية بين السعوديين والashraf في الحجاز تهدد بتقويض الأماكن المقدسة، فحاولت البلاد الإسلامية أن تحد من سلطة السعوديين، وذلك بفرض حل بعينه في مسألة الخلافة ، وحمل هذا في نفس الوقت معنى محاولة الاحتفاظ بالتوازن بين القوى الإسلامية، وإتخاذها من العمليات الحربية في الحجاز عامة، ومن محاضرة قوات السعوديين للمدينة المنورة خاصة، وسيلة للتدخل، باسم الوساطة بين الأمير (الملك فيما بعد) عبد العزيز والملك على ، وتهدف إلى الحصول على ضمانات في مسألة الأرضي المقدسة، وفي مسألة الخلافة، وبالتالي في مسألة توازن القوى الإسلامية (١)

وقد قامت ضجة ، وكانت فرصة للتدخل. فتدخل الملك أحمد فؤاد في مصر لدى ابن سعود لكي يعمل على صيانة الحرم النبوي الشريف وأثار المدينة المنورة فطمأنه عبد العزيز بأن العرب هم أبناء الحرمين الشريفين ولم يسعوا إلى جعل الحجاز ساحة الحرب، وألقى بمسؤولية هذه الحرب على كاهل ashraf ويستفاد من ذلك -إى السلطان عبد العزيز (الملك فيما بعد)- قد رفض الوساطة المصرية في أمر الحجاز. ولكنه إعترف في نفس الوقت بحقوق العالم الإسلامي كله في الأرضي المقدسة، وكان يعمل أن مسألة الخلافة

مسألة شائكة وأن الخلافات عليها كثيرة ، والأطماء فيها متعددة (٢) فوكل إلى الملك فؤاد أمر دعوة مندوبي المسلمين في مؤتمر إسلامي عام يعقد في مصر، وتعهد من جانبه بتنفيذ ما يقررون . واستند ابن سعود إلى هذه المسألة لكي يتفرغ هو لتسويه الوضع السياسي والمدنى للحجاج ، ولكن يترك القوات الإسلامية الأخرى تتفاعل مع بعضها ، وتنافس وتجادل وتتصارع من أجل لقد الخلافة . وكان هذا مارأه ابن سعود، وأثبت المؤتمر الإسلامي الذي عقد في القاهرة فشله التام، نتيجة لعدم إشتراك كثير من المسلمين فيه، ونتيجة لصعوبة التوفيق بين الاتجاهات بل والأطماء المتعارضة، خاصة وأن أى خليفة جديد لن يتسلّك من إدارة شئون المسلمين. نظراً لافتقاره إلى القوة المادية الازمة، بل وإفتقاره إلى القوة المعنوية كذلك ، مادامت الأرضي المقدسة في أيدي السعوديين.

وجد عبد العزيز بن عبد الرحمن أن الفرصة قد أصبحت مواتية لفرض الحل الذي ارتضاه الجميع، وإن هذه الفرصة قد جاءت في شكل تشاور ديمقراطي، فدعوا إلى عقد المؤتمر الإسلامي الثاني في مكة يوم ٧ يونيو سنة ١٩٢٦م وشرح لأعضاء المؤتمر أن غزوه للحجاج أمر نهائي، ولا يمكن النقاش فيه، وأعلن في نفس الوقت أن الأرضي المقدسة هي وديعة العالم الإسلامي أجمع، وطلب إبداء الآراء وإيجاد أحسن الطرق للعناية بالحجاج وبالمؤمنين . وكان وفد جمعية الخلافة الإسلامية الهندي من بين أقوى الوفود في المؤتمر، فترأس حركة مهاجمة الحسين بن علي، وأثنى على إخراجه من الحجاج، فخدم السعوديين بهذا الموقف، ولو بطريق غير مباشر. ولكن ذلك لم يمنع من ظهور الانقسام واضحًا بين وفود المؤتمر في إتجاهين متباغبين: الاتجاه الوهابي الذي يسعى إلى فرض الشريعة الإسلامية قانوناً وإلى اجبار المسلمين على القيام

بفرايضهم، واتجاه المسلمين المعتدلين في الهند ومصر وهم الذين يطبقون الشريعة في شئونهم الشخصية من زواج وميراث ، ويتركون أحوالهم المدنية لقوانين وضعية، وينظرون إلى الوهابيين نظرة أقرب ماتكون إلى الفضب (٣).

وكان هذا الانقسام من أكبر المصاعب التي واجهت الوفود في المؤتمر، وهددت بفشلها، وجاءت حادثة المحمل لكي تخرج المؤتمر من هذه الأزمة ، وسمحت لعبد العزيز بن سعود بفرض إتجاهه على المؤتمر.

نظر السعوديون إلى مظاهر إرسال المحمل من مصر على أنها خارجة عن الإسلام، فوافقت مصر هذه المرة على إرسال المحمل دون موسيقى ولكن ما أن إقترب المحمل من مكة، وكان المؤتمر الإسلامي المنعقداً، حتى وقعت حادثة مؤسفة . ذلك أن الجنود المصريين ضربوا نوبة (بروجي) في المساء، فما كان من رجال نجد إلا أن هاجموهم بدعوى أنهم من الكفار وإضطررت القوة المصرية إلى الدفاع عن نفسها وأطلقت النار في الهواء، ثم في هذه الحشود التي حاولت إجتيادها والتفرس فيها وسقط خمسة وعشرون وهابي على أرض المعركة . وسرعان ما ظهر الملك عبد العزيز نفسه فتى مكان الالتحام وواسى رجاله، موضحاً للضابط المصري أن ليس له الحق في إطلاق النار في مملكة الحجاز، وأمره بالعودة مع جنوده إلى القاهرة دون أن يكمل الحج (٤)

كانت هذه الحادثة سبباً في إمتناع مصر عن إرسال المحمل إلى الحجاز حتى سنة ١٩٣٦، لكن ذلك أعطى تأثيراً مباشراً على المؤتمر الإسلامي المنعقد في ذلك الوقت. ذلك أن إغضاب مصر وإخراج بعثة الحج التي أرسلتها للحجاز في هذه السنة قطع على الوفد المصري كل إمكاناته للمناقشة في المؤتمر، مادام قد أصبح في وضع الخصم من السعوديين، فقللت المعارضة المعتدلة أمام عبد العزيز، وأصبح لا يواجه إلا وفد جمعية الخلافة الإسلامية الهندية. وأنثبت

ابن سعود أنه لا يقبل أى تدخل إدارى أو مدنى فى شئون الحجاز ، أذ أنه هو رئيس السلطة التنفيذية فى الأقليم، فلم يبق أمام المؤتمر إلا محاولة الاحتفاظ بالسلطة الدينية، أى النفوذ الإسلامى (المعنوى) فى الأراضى المقدسة وأضطر المؤتمر إلى قبول الأمر الواقع إخفاء لهزيمته. وكانت هذه الحادثة سبباً مباشرأ لعدم الوصول إلى حل حاسم فى مسألة الخلافة التى ظلت معلقة، وصرف المؤتمر جهده فى جمع الشمل وفي محاولة الاحتفاظ بما تبقى له من كيان أسمى، ونجح فى تشكيل هيئة دائمة للمؤتمر الإسلامي، نص على ضرورة إجتماعها من وقت لآخر، للباحث فى الأمور التى تهم المسلمين، ولكنه إعترف بطريق مباشر أو غير مباشر بهذا الوضع الذى اختاره عبد العزيز بن سعود للحجاز، مادام يفتقر إلى القوة التى تسمح له بتغييره. وكان هذا هو مايسعى إليه ملك الحجاز ونجد، مادام لا يسعى إلى الحصول على لقب الخلافة، مع كل مايحمله ذلك اللقب من تبعات. ولكن تقرير هذا الوضع للحجاز ولابن سعود جعل منها قوة من القوى الإسلامية التى تمتاز بعروبتها، وفرض عليها أمر موازنة نفسها مع غيرها من القوى، فالغنى بذلك صفتها الثورية، وحدودها بحدود المملكة التى تعيش فيها . ويرى الدكتور جلال يحيى أن التناقض بين ابن سعود وبين القوى الإسلامية ، اضطر هذا الملك إلى الإسراع فى تسوية المشاكل السياسية مع الدول المحاطة به، وخاصة مع العراق ومع شرقى الأردن، حتى يضمن الاستقرار وزاد هذا الاستقرار الزمنى من إلغاء الصفة الثورية لتلك القوة التى خرجت من نجد لنشر مذهب الأخوان، وتتوحد العرب، إذ أنها ستعرف بوجود القوى الأخرى ، داخل حدودها، وتعرف بتقسيم العالم العربى بين دول متعددة ، وتدخل ، هى الأخرى، فى طور القوميات العربية (المحلية) ، أو (الأقليمية) (٥) .

ابن سعود والتحول في الاهتمامات الإقليمية والدولية،

ساعت العلاقات بين السعوديين والبريطانيين نتيجة لعمليات الإخوان في الحجاز ومحاولتهم تغيير الوضع القائم في العالم العربي، وما حمله ذلك من تأثير على كل من مملكة العراق وإمارة شرقى الأردن، حليفتا بريطانيا في الشرق والشمال.

وكان إمتداد الحكم السعودي من مياه الخليج العربي إلى سواحل البحر الأحمر يزيد من أهمية عبد العزيز ودولته في نظر بريطانيا، خاصة وأن دولته أصبحت تكون حزاماً يوصل إلى مياه الهند، ويقع خارج منطقة النفوذ البريطاني. وكان عبد العزيز آل سعود يطالب بالعقبة على أنها من أرض الحجاز، وكانت بريطانيا قد اعترفت فعلاً في عام ١٩١٦ بهذه المدينة داخل نطاق مملكة حسين في الحجاز. غير أن تسلم السعوديين لها كان يحرم بريطانيا من قاعدة إستراتيجية هامة في المنطقة، عقدت عليها كثيراً من الأمال، للمواصلات مع حيفا في الشمال ثم في البحر الأحمر، في حالة تعطيل الملاحة في قناة السويس، واحتارتها مركزاً لفرض سيطرتها على كل من شرقى الأردن (٦) وفلسطين، ومخرجاً لهاتين المنطقتين صوب المياه الإفريقية والشرقية. وكان تسلم السعوديين للعقبة يعني غلق الميناء الأردني الوحيد، ويهدد بالتالي باستيلائهم على الجزء الجنوبي من فلسطين (النقب) يجعل حدودها متاخمة للحدود المصرية في سيناء.

وكان عبد العزيز بن سعود لا يعترف بما أنشأته بريطانيا وسمته إمارة شرقى الأردن، بل كانت حدوده الشمالية في نظره هي مع الشام، وحتى بافتراض أنه يوافق على ترك الأمير عبد الله في عمان، فهو يرفض وجود المر الصحراوى الشمالى الذى يصل عبد الله بمملكة العراق. ويفصله ابن سعود

الفصل الأول

عن سوريا . فكان عبد العزيز يهدى الخط البرى للمواصلات الامبراطورية البريطانية مع الهند تيريداً مباشراً . ويدرسى الى شطبته من مقتضياته .

وإذا كان عبد العزيز قد أحجم عن الإصطدام بقوة بريطانيا ، وامتنع عن معاداة حلفائها الأشراف فى كل من العراق وشرقى الأردن ، فى الوقت الذى قام فيه بعملياته فى الحجاز ، فإن ذلك لم يمنعه من التصريح بطالبه ، خاصة وأنه شعر بأن حياد بريطانيا فى حرب الحجاز كان لا ينفى محاولتها الوصول إلى إنهاك القوى العربية ، والواحدة ضد الأخرى ، بما فيها قوته ومحاصرته من الجنوب والشمال بشكل واضح .

وعلى صعيد علاقه ابن سعود ببريطانيا فقد تبلور سوء العلاقات مع بريطانيا فى الوقت الذى أقام فيه الملك حسين فى العقبة ، وترك ابنه على يحارب الإخوان من جدة ، فوضاع أن الهاشمين يستندون إلى القواعد الغربية البريطانية : ولكن بريطانيا إضطررت إلى أنها ، هذه الأزمة فانقلبت الحسين فى ١٨ مايو سنـه ١٩٢٥ أن السعوديين قد أعدوا قوة حربية لمحاجمة العقبة ، مستندين إلى إقامتـه بها ، وإلى أن الأشراف يتخدونـها - مع عمان - قواعد عسكرية ضد الأخوان . فدعت بريطانيا حسيناً لترك العقبة حتى لا يتسبب فى خلق المشكلات بينها وبين سلطان نجد ، وأصرت بالحاج على سفره منها فى أقرب فرصة . ولقد طلب الحسين السماح له بالاقامة فى حيفا أو يافا ، ولكن بريطانيا رفضت ، وأشارت عليه بقبرص وكان خروج الحسين من العقبة عاملاً من العوامل الذى خدم المصالح البريطانية ، وخدم كذلك مصالح السعوديين (٦) ومع ظهور التنافس الإسلامى ، للتدخل فى أمر الخلافة والأراضى المقدسة ، وللتوفيق بين عبد العزيز وعلى ، ثم للحصول على ضمانات بشأن الحرمين فقد ازدادت العلاقات السعودية تحسناً مع بريطانيا ، فتستند

بريطانيا إلى إتفاقية العقير التي بحثت مشكلات الحدود النجدية مع كل من المهرة، والكويت، وترسل جيلبرت كيلرتون^(٧) على رأي وند للتباحث مع سلطان نجد في أمر الحدود، وإقرارها بشكل نهائي، وذلك في ٩ أكتوبر سنة ١٩٢٥م وأعلن هذا الوفد أن بريطانيا لاتزال محافظة على حيادها التام في المسألة الحجازية النجدية، فظهرت أساس المصالح المتبادلة بين نجد وبريطانيا في الوقت الذي ثارت فيه المشاكل بين نجد وبقية العالم العربي والإسلامي. وصرح الوفد بأنه يريد الاتفاق على المسائل المتعلقة بين نجد وشرق الأردن وبين نجد والعراق، فظهر أن بريطانيا تحاول الحصول على إعتراف عبد العزيز بالوضع الذي نشأته في الشمال، بتشييدها لملكة العراق (الخليفة) إمارة شرق الأردن الموسوعة تحت الانتداب، وفلسطين الخاضعة للحكم البريطاني المباشر، وفي ظل ذلك تترك بريطانيا لابن سعود أمر الوصول إلى حل في مسألة الحجاز، حسب قوله أمام خصومه، وموقف المنافسين الآخرين منه.

ولم يكن من مصلحة عبد العزيز أن يجادل كثيراً، خاصة وأن معظم الدول لم تكن قد اعترفت به، وكان يستند إلى إتفاقية التي وقعتها مع بريطانيا سنة ١٩١٥م والتي كانت تحد من مظاهر استقلاله. فasad المباحثات جو ودى طول فترة المفاوضات التي إمتدت خمسة وعشرون يوماً. وأثنى السعوديون على روح توفيق السويدى، ممثل العراق في الوفد британский، فأثبتوا بذلك إعترافهم بحكم (الإشراف) فى الشمال، فى الوقت الذى يرفضونه فى الغرب، وإعترافهم بقيام قوميات عربية (محلية) فى الوقت الذى لا يرضون عن الوحدة العربية بدلاً فى مسألة الحجاز .

أنساقت هذه المفاوضات عن وضع إتفاقيتين: الأولى هي إتفاقية بحرة التي عالجت المسائل العراقية النجدية ووقعت فى أول نوفمبر سنة ١٩٢٥م،

والثانية هي إتفاقية حداء بين شرقى الأردن ونجد، ووقع عليها فى اليوم التالى، ولقد أدخلت هذه الإتفاقية الثانية بعض التعديلات الطفيفة على المقر الصحراءى الشمالى الذى يصل شرقى الأردن بالعراق. ولكنها تركت مسألة عمان والعقبة، وتركتهما فى صمت، أى تركتهما للأمير عبد الله. واستند عبد العزيز بن سعود إلى هاتين الإتفاقيتين لإضعاف الملك على فى جدة، ولضم الحجاز بائمه إلى نجد .

عقب إعلان عبد العزيز نفسه ملكا على الحجاز، أرسلت بريطانيا السير جلبرت كلايتون للتفاوض من أجل عقد معاهدة بريطانية سعودية تحل محل الإتفاقية السابقة المعقودة مع السلطات البريطانية فى الهندسة ١٩١٥ والتى أصبحت غير ذات موضوع. وتم التوقيع على هذه المعاهدة فى جدة فى ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧م وإعترفت فيها بريطانيا باستقلال عبد العزيز، وإعترف ابن سعود بمركز بريطانيا الخاص فى كل من البحرين وشياخات الخليج العربى ، وتعهد كذلك بالتعاون مع السلطات البريطانية من أجل إلغاء تجارة الرقيق. وفي مذكرة ملحقة بالمعاهدة ، إعترف ملك الحجاز بامتلاك شرقى الأردن لكل من عمان والعقبة (٧)

وكانت مدة صلاحية المعاهدة سبع سنوات وتم توثيقها فى ١٧ سبتمبر ١٩٢٦ ، وعرفت باسم معاهدة جدة . ولكن وضعية عبد العزيز قد تغيرت، إذ أنه أصبح ملكا متوجا لدولة، بعد أن كان شيئا لعشائر نجد ، وأهم من ذلك رئيسا لحركة إسلامية وعربية عريقة ويتمتع باستقلال وسيادة التامة سياسيا داخليا وخارجيا .

تطورت سلطة عبد العزيز آل سعود مع تطور الأحداث وتلاحقها فى شبه الجزيرة العربية. وأخذ هذا التطور يؤثر على الأحداث الإقليمية والدولية منذ بدء

عملياته في الحجاز بشكل عام، وبعد وصوله إلى إتفاق مع بريطانيا بشكل خاص، فأخذت سلطته شكل الدولة التي تعرف بالتزاماتها في المحيط العالمي، وتکبح بالتالي أو تلغى أو تتناهى مقوماتها الثورية. فما أن تم الاتفاق بين عبد العزيز من ناحية، وبريطانيا وحلفائها في العراق وشرق الأردن من ناحية أخرى ، حتى ظهر الانقسام واضحًا بين سيد الجزيرة وبين زعماء الإخوان وقادتهم. وأدى هذا الإنقسام إلى تبلور ثم إصطدام بين القوى الوهابية وبين قوة الدولة الناشئة. وأصبح مستقبل الجزيرة العربية برمتها متوقفاً على نتيجة هذا الصراع.

أعلن قائدان من قواد ابن سعود الثورة عليه بمجرد إتفاقه مع السير جلبرت كلايتون بشأن مسائل الحدود مع كل من العراق وشرقى الأردن، وهما فيصل الديوش وسلطان بن بجاد. وكانا من أكبر قواد الإخوان ومن الداعيinm التي يستند إليها ابن سعود في سلطته في شبه الجزيرة العربية، ونجح كل منهما في الخروج على رأس فرقة من الإخوان وعارضوا الاتفاقيات السعودية البريطانية، وإنهما عبد العزيز بالكفر نتيجة لهادنته الكفار وإعترافه بهم، ووصفوه بأنه لم يكن إلا طالب ملك، وأندفوا ذلك بإنتقاد وسائل التحديد التي يستخدمها ابن سعود من هاتف وبرق للقيام بدعاية ضده . وحاولوا مواصلة الكفاح من أجل الوهابية في شكلها البدائي من ناحية، وأبطال هذه الاتفاقيات بمهاجمة حدود العراق شرقى الأردن من ناحية أخرى .

رأى ابن سعود مع تصميمه على تحديث بلاده أن هذا القسم من الإخوان يأبى التطور، فائتهم بالهمجية والرجعية. وإضطر أمام هذا الإنشقاق إلى الاعتماد إلى درجة كبيرة على أسرته، آل سعود، لكي يسد النقص في القيادة. فجاء هذا مدعماً لظهور أسرة عربية حاكمة، وإلزامه نموها وإزدياد

نفوذها. فنمت سلطة الدولة وتبعها بالتالي إزدياد إختصاصات الملك، وقلة الشورى وتقليل أظافر الأخوان، والحد من قوة الدعوة الوهابية. بل لقد إشطر عبد العزيز إلى التعاون مع القوات العراقية والأردنية وسلاح الطيران البريطاني المرابط في كل منها للقضاء على هذه القوة البدائية ، التي كانت الأساس الأول لقيام حركته ثم دولته .

وإستعد عبد العزيز للقضاء على هؤلاء الثوار. فجمع قوة من الفرسان والمقاتلين بلغ عددها أربعين ألفاً، وكان عدد القوار لا يزيد على أربعة ألفا، ووقعت المعركة الأولى في السبة، وتولي عبد العزيز آل سعود نفسه قيادة قلب الجيش وولى أخاه محمد بن عبد الرحمن الجناح الأيسر، وأبنه سعود الجناح الأيمن، ورغم إشتداد المعركة فإنها لم تكن حاسمة إذ تمكّن كل من فيصل الديوش وسلطان بن يجاد من الانسحاب رغم خسائرهما.

غير أن سلطان بن يجاد إضطر إلى طلب العفو من عبد العزيز آل سعود، ثم سلم نفسه في الرياض، فأحتفظ به الملك سجينًا لخطورته على الأمن العام، وإشتُكَ حاكم إقليم حائل مع إحدى القوات التابعة لفيصل الديوش وقتل معظم رجالها، ومن بينهم ابنه. ورغم ذلك فإن الثوار واصلوا الهجوم، وعمليات السلب والنهب، وهدموا المواصلات في شبه الجزيرة العربية كلها، رغم أن قواعدهم الأساسية كانت في المنطقة الواقعة بين الإحساء والكويت وخشي ابن سعود من أن يلجأ الثوار إلى العراق، ومن أن يتخدّهم الهاشميون والبريطانيون مطية لإفلاته في بلاده، خاصة وأنه قد سمع بإتصال الديوش بجلوب (أبي حنيك) المفتش الإداري للبادية الجنوبية في العراق في ذلك الوقت. ويستند عبد العزيز إلى مركزه الدولي وإلى الاتفاقيات المعقدة مع العراق، وأبلغ المندوب السامي البريطاني في بغداد أنه قد سار على رأس قواته لتأديب

الثائرين الذى قامت عليهم قائمة الحكومات البريطانية والعراقية والكويتية، بعد أن قتلوا رعاياها فى أرضها فساداً، وطلب منه أن تنفذ بريطانيا تعهداها التى قطعتها على نفسها بإخراج (المجرمين) من المناطق الخاضعة لنفوذها. ولكن السلطات العراقية كانت قد رفضت مساعدة الثوار فخرجوا منها إلى الكويت، فكتب ابن سعود إلى المقيم السياسي бритانى فى الخليج العربى ، مذكراً أياه ببعادات بريطانيا حياله فى هذا الشأن. فإضطررت السلطات البريطانية إلى إلقاء القبض على فيصل الديوش ورجاله والاحتفاظ بهم على إحدى البوارخ الحربية، حينما طلبوا حق الإلتجاء السياسى بعد أن انهكت قواهم، ثم قامت بنقلهم جوياً وسلمتهم إلى ابن سعود الذى زج بهم فى السجن.

إضطر عبد العزيز فى الناحية الداخلية إلى الاعتماد على قوة عصبيته وأسرته أمام هذا الأنفصال الذى وقع فى جبهة الإخوان.

وإزدادت سيطرة السعوديين على أمور شبه الجزيرة العربية مع القضاء على بعض القيادات القديمة، فإزدادت سلطة الأسرة الحاكمة التى ربطت نفسها بعلاقات المصاہرة مع معظم القبائل. ومع إزدياد سلطة الأسرة الحاكمة، والدولة، قلت الفوارق بين الأقاليم العربية، وسمح ذلك لعبد العزيز آل سعود بتوحيد ممتلكاته فى ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٢ تحت إسم المملكة العربية السعودية (٨) وأقام ابنه سعوداً نائباً عنه فى الرياض وولياً للعهد، كما أقام ابنه فيصل نائباً عنه فى الحجاز وزيراً للخارجية، نظراً لمعرفته اللغات الأوروبية ووجود السفارات الأجنبية فى هذا الأقليم. ولقد نجحت هذه الإدارة القوية فى اضرب على أيدي العابثين ، وفى إقرار الأمن بشكل غير من تاريخ البلاد.

كما أنه اضطر فى الناحية الدولية إلى التعاون مع السلطات البريطانية للمحافظة على الأمن والنظام على الحدود. فأصبح رئيساً لدولة وتعترف

بالتزاماته حيالها، التغاضى بالتالى بهم وإضطر إلى التفاضى عن العداوة التقليدية بين السعوديين والهاشمين، حتى يدعم الوضع القائم ، ويمنع أى تهديد يقوم به الهاشمى من فى الشمال ضد ملکه ، ولما كان النفوذ البريطانى متوفقا فى مناطق حكم الهاشمىين فقد أصبحت كل عداوة أو جفاء بين السعوديين والهاشمىين أو بينهم وبين البريطانيين غير ذات موضوع. فوافق ابن سعود على مقابلة الملك فيحصل الأول، وتمت المقابلة فى بارحة حربية بريطانية راسية فى ميناء الخليج العربى. ولعبت بريطانيا دور حمامنة السلام بين ملوك العرب، واستقر الوضع الذى رسّمته لخدمة مصالحها، ويتناهى المكان ويتناهادا على العمل من أجل (البلاد) العربية. وشهدت سنة ١٩٣٠ م التوقيع على معاهدة (صداقه) بين المملكة العربية السعودية والعراق (٩). كما شهد عام ١٩٣٢ إبرام معاهدة (صداقه) أخرى مع إمارة شرقى الأردن .

ابن سعود: سياسي الصحراء والتىROL

كان إكتشاف البترول فى أراضى المملكة العربية السعودية عاملا هاما رئيسيا فى تحديث شئون المملكة من حيث تطور الحياة الإجتماعية والأقتصادية فيها، وأثر كذلك فى موقفها من القوى العربية الأخرى فى الفترة التالية التى وقعت فيها الحرب العالمية الثانية ، وما تلاها من أحداث .

وقد أعطت المملكة العربية السعودية إمتياز إستخراج البترول فى ٢٩ مايو عام ١٩٣٢ إلى شركة زيوت استاندارد كاليفورنيا Stondord Oil Com- pany of Colifdrnia وذلك لمدة ستين عاما، وفي منطقة واسعة فى شرقى المملكة ، ف تكونت نتيجة لذلك شركة استاندارد كاليفورنيا العربية لاستغلال هذه الموارد ولما انضمت إليها شركة بترونل تكساس فى العالم التالى، تألفت منها الشركه العربية الأمريكية للبترول، وهى المعروفة باسم (أرامكو). وكانت المملكة

العربية السعودية تجتاز أزمة إقتصادية عصيبة في هذه السنوات، نتيجة لقلة عدد المهاجر، وكانوا موردها الاقتصادي الرئيسي، ونتيجة وبالتالي للأزمة الاقتصادية العالمية في أوائل الثلثينات . فطلبت الحكومة السعودية إلى هذه الشركة أن تقدم لها قرضاً يبلغ ٢٠٠٠ جنيه إنجليزي (من الذهب) حتى تتمكن من تصريف أمورها . ورغم صعوبة المناخ الذي عملت فيه الشركة وإفتقارها إلى تأييد رسمي من حكومة الولايات المتحدة، التي أحجمت عن تشجيع مشروعات إقتصادية في مناطق قرية من النفوذ البريطاني ، فإن تقارير الخبراء عن كمية البترول الموجودة دفع بالشركة إلى أن تقدم هذا القرض دون تردد . وسرعان ما حفرت الآبار في مناطق الظهران والدمام وأبى حضري في إقليم الإحساء . وأكتشفت أن كمية البترول المخزون تحت الأرض تفوق أضعاف أضعاف ما جاء في تقارير الخبراء الأوائل . فشجع ذلك كل من شركة أرامكو والمملكة العربية السعودية على مواصلة التعاون ، وبخاصة بعد استخراج البترول بكميات كبيرة.

وساعدت إيرادات البترول المملكة العربية السعودية على إدخال وسائل الحضارة والمدنية الحديثة في بلادها . من إنشاء الطرق ووسائل المواصلات والتعليم ودخل العمران في مناطق كثيرة منها . وتمكنت الحكومة من إنشاء إدارة حديثة وأستخدمت فيها الموظفين من كل البلاد العربية، وبخاصة من سوريا وفلسطين ومصر . وأستندت الحكومة السعودية إلى موارد ثروتها الجديدة ، وإلى الخبرة الفنية لكي تسير بخطوات واسعة وسريعة إلى الأمام.

وأصبحت حقول إستغلال البترول أساساً لنشأة (صناعة) حدثة في إحدى البلاد العربية، وصاحبها ظهور طبقة خاصة من العمال، لهم شخصية وعقلية تختلف تماماً عن عقلية ونفسية الرعاة والتجار . وكان هذا التطور خطيراً في الحياة الاجتماعية، وبخاصة في إقليم الإحساء.

كما كانت موارد البترول العربي أساساً لاتجاه جديد في السياسة العربية، وهو الميل إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وتفضيلها على غيرها من الدول الصديقة الخارجية. وأنمى البترول على الملك عبد العزيز بن سعود موقفه في التنافس الدولي، الذي بدأ في الثلاثينيات بين الدول النازية، أي دول المحور من ناحية، وبين الحلفاء، أو الدول الرأسمالية من ناحية أخرى.

فلقد عرضت اليابان في عام ١٩٣٧ عرضاً مفرياً لاستغلال البترول العربي، ويفوق بمرافق شروط الاستغلال الأمريكية، ولكن عبد العزيز رأى أن هذا العرض يسعى إلى الحصول على نتائج سياسية، فرفضه وحاولت ألمانيا كذلك في نفس السنة ابعاد أمريكا عن هذه المناطق، فقام الدكتور فريتز جروبا Dr. Fritz Groddo وزيرها المفوض في العراق والمملكة العربية السعودية بالانتقال من بغداد - مقر منصبه - إلى جدة، وعرض على ابن سعود عروضاً جديدة. ولكن عبد العزيز رفضها، مفضلاً إستمرار التعاون مع الأمريكيين، ومواصلة العمل من أجل بناء دولته، دون إقحامها في ميادين التنافس الدولية، أي أنه فضل العمل في إتجاه واحد يسمح له بالإستقرار والمواصلة، والحصول على نتائج ملموسة.

وأعطى الملك عبد العزيز لشركة أرامكو إمتيازاً جديداً لاستغلال البترول في ٣١ مايو سنة ١٩٣٩ وظهر أن اتجاهه السياسي قد تحدد بالخطوط التي يسير عليها في إقتصادياته. ومع حلول الحرب العالمية الثانية أصبحت المملكة العربية السعودية قلعة من أهم قلاع الديمقراطيات الغربية في العالم العربي. وأصبحت تمثل إلى الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من ميلها إلى غيرها من دول الحلفاء الغربيين، وإن كان إستغلال البترول قد أصبح عاملاً للتنافس بين أمريكا وبريطانيا في المنطقة.

ويرى الدكتور جلال يحيى أن الملك عبد العزيز قد نجح تماماً في



السيطرة على وسط الجريدة العربية، والمستند إلى هوة إسلامية أفاد منها وقت إنزال الأبراق في الاستيلاء على الحجاز، وتجزئ في بناء دولة تحالفت من القوى البريطانية، ولكنه أطر إلى أن يعترض بالتزاماته تجاه الدول العربية الأخرى التي شلت بمساعدة الحلفاء بعد الحرب العالمية الأولى، وسمحت له أمكانيات الاقتصادية بالسير في طريق تحليص شئونه بالاده مع الحداث على المحافظة على التراث الإسلامي والتراث الإسلامي في نفس الوقت.

و فيما يتعلق بالعلاقات الدولية مع الملكة وسياساتها الخارجية فلن أهم الركائز التي اعتمد الملك عبد العزيز عليها في السياسة الخارجية هي الدعوة إلى التضامن الإسلامي لرفع شأن المسلمين في إطارهم وقوية أوامر التعاون بينهم.

وقد تصاعدت مكانة المملكة العربية السعودية، ببلاد العالم الإسلامي في الحج السنوي إلى (مكة المكرمة) وزيارة (المدينة المنورة) مؤكدة مكانة الحجاز وبالتالي المملكة في نظر المسلمين (١٠) وقد حاول الملك عبد العزيز منذ عام ١٩٢٦م - أن يضع نظاماً لاجتماع قادة المسلمين وزعمائهم في موسم الحج من كل عام (١١). وذلك عندما دعا إلى عقد (مؤتمر إسلامي) في مكة المكرمة داعماً بذلك مركز المملكة، وقوى الصلات التي تربطها ببلاد العالم الإسلامي والعربى (١٢).

ورأى أن من واجبه العمل بكل اهتمام نحو تشرذم دعوة الإسلام والسلام، وتشبيط دعائمه والدفاع عن مقدساته قوله وعمله (١٣).

وإن أقواله جاءت موضحة ذلك ، وأعماله مطبقة لأهدافه السياسية الإسلامية للملكة العربية السعودية، ومن ضمن مقالاته في ذلك (١٤).

« إنني أفخر بكل من يخدم الإسلام والمسلمين، وأعزّ بهم، بل أخدمهم، وأساعدهم وأؤيدهم ، إنني أفت كل من يحاول النس على الدين والمسلمين ولو كان من أسمى الناس مقاماً وأعلاهم مكانة» (١٥)

- أيضاً : «أنتي أَعو المسلمين جميعاً إلى عبادة الله وحده، والرجوع للعمل بما كان عليه الدُّلُفُ الدُّلُجُّ، لأنَّ لانتاجة المسلمين إِلَّا بِهِذَا ، وأسال الله تعالى أن يوفقنا جميعاً إلى ما يحبه ويرضاه» (١٦)

ولقد كان النهج الذي سار عليه وساعدته في شق طريقه في المحبيطين العربي والإسلامي بدأه باعتبار قضية فلسطين) عربية بل إسلامية ، وذلك حين خاطب الرئيس الأمريكي (روزفلت) بقوله:

« إنَّ عَرَبَ فَلَسْطِينَ وَمَنْ وَرَاءَهُمْ سَائِرُ الْعَرَبِ، بَلْ سَائِرُ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ يَطَالِبُونَ بِحُقُومِهِمْ وَيَدَافِعُونَ عَنْ بَلَادِهِمْ .» (١٧)

وبعد وفاته سنة ١٩٥٢ م خلفه على الفور أكبر أبنائه (سعود)، الذي حكم لمدة أربعين عاماً لغاية سنة ١٩٦٤ م ، ومن بعد ذلك خلفه أخيه الأمير (فيصل) في نفس العام الذي أُعلن فيه فيصل بن عبد العزيز ملكاً للمملكة العربية السعودية وأماماً لها (١٨)

الملك فيصل والتضامن والتحديث السياسي:

إذا كان الملك عبد العزيز هو مؤسس الدولة وصانع سياستها الإسلامية، فإن الملك فيصل يعتبر مطوراً ومكملاً لها، وقد بدأ تجربته في مجالات الشئون الخارجية قبل توليه العرش، عندما زار بريطانيا سنة ١٩١٩ م لتقديم التهاني لانتصار الحلفاء في الحرب، وتمكن خلالها من مناقشته بعض الأمور المتعلقة بالسياسة الخارجية مع كبار المسؤولين فيها (١٩)

كما عين وزيراً للخارجية سنة ١٩٦٠ واستمر فيها طوال حياته، ياسستاء فترة قصيرة في عام ١٩٦٠، ومن الواضح أن السياسة الخارجية قد شغلت كل اهتماماته وأفكاره، فعندما كان ينظر إلى واقع بلاد العرب والمسلمين، وجد أن الصهيونية قد أقامت إسرائيل لتكون قاعدتها الأمامية ، كما أنه لاحظ أحوال العالم الإسلامي، وأن هناك دولاً إسلامية مغتصبة ينكر مستعمرها على أصحابها حق تقرير المصير، بالإضافة إلى بلدان حقوقها المستعمر بدول غربية حتى يبعد أن تستطعها من الأصل، مع وجود عشرات الملايين من المسلمين الذين يتلقون قوى يلاد تخضع لأنظمة حرمتهم من الحرية . مع عدم وجود وحدة يشريع تهمتهم، وتسرع كثافهم بالإضافة إلى الانقسامات الحاكمة في الدول الإسلامية والعربيّة (٢٠) وقدر في العمل على تحسين أوضاع المسلمين وجمع كل ممتلكاتهم .

وكللت التسخّية تنازعه: يائته لا يستطيع أن يقوم بهذه الدور وحده إلا إذا جتمعت الدول الإسلامية ووحدت كلمتها لرفع الضرر الذي لحق بال المسلمين، ولتحقيق ذلك أخذ يفكّر في الدعوة إلى عقد مؤتمر قمة إسلامي يحضره كل الملوك والرؤساء للدول الإسلامية للتبااحث في أمورهم ومشاكل إخوانهم المسلمين .

وتطرّق الآن الملكة العبرية السعودية تحظى بالأراضي المقدسة، فقد كان من واجبها أن تحمل مسؤولية الدعوة إلى تضامن المسلمين، ولاجتمعهم على كلمة سوأة ليبحث مشاكلهم، والواقع عن حقوقهم ولذلك فقد كان الدعم المقدم من السعودية (الرابطة العالم الإسلامي) التي أنشئت عام ١٩٦٢ دعماً غير محدود حيث إن الرابطة هي آهد ألقابها عبارة عن شكل من أشكال التضامن بين المؤسسات والمنظمات الإسلامية في العالم - فمن خلال هذه المؤسسة العالمية

الإسلامية تم التعبير عن رأى المؤسسات الإسلامية في عدد من القضايا التي تتصل بالآليات المسلمة في العالم وببعض القضايا العربية والاسلامية، وعلى الرغم من ذلك ففي منتصف عام ١٩٦٥م أخذ الملك فيصل ينفذ فكرة التضامن الإسلامي) داعيا إلى عقد مؤتمر قمة إسلامي يضم ملوك ورؤساء الدول الإسلامية، رغم معارضة شديدة من بعض الدول العربية ثم انتقل إلى مرحلة التنفيذ الحقيقي لعقد مؤتمر قمة إسلامي، فوجه الدعوة إلى كل ملوك ورؤساء الدول الإسلامية لحضوره ، وقد شجعه على ذلك عدة عوامل منها :-

أولا: أن نداءه لم يكن جديدا في طبيعته ، وليس الأول من نوعه، كما أنه لم يكن وحيدا في تفكيره، فقد وجدت أفكار مشابهة عبرت عنها الكثير من المعاهد والمنظمات، وبعض من رؤساء الدول الإسلامية ، فقد عقد في عام ١٩٦٤م مؤتمر إسلامي (بمقديشو) عاصمة الجمهورية الصومالية، كان الهدف منه: مناقشة المشاكل التي تواجه العالم الإسلامي، كما ألقى الرئيس الصومالي (أدم عثمان) خطابا دعا فيه إلى عقد مؤتمر قمة إسلامي يحضره جميع الملوك والرؤساء المسلمين، كما تبني المؤتمر فكرة الملك فيصل وتأييدها (٢١)

ثانيا: في أبريل سنة ١٩٦٥م ، عقدت رابطة العالم الإسلامي مؤتمرها السنوي (بمكة) وألقى الملك فيصل خطابا في الجلسة الافتتاحية متضمنا : (ثناءه على مبادرة الرئيس الصومالي وموافقة الملكة عليها وفي نهاية الاجتماع صدر قرار خاص في ذلك يتضمن الآتي (يؤكد المؤتمر على تأييده لنداء جلالة الملك فيصل بعقد مؤتمر قمة إسلامي ، أملا أن يعود ذلك بفوائد جمة على الإسلام والمسلمين ، كما يلتمس من جلالتهمواصلة العمل لتحقيق هذا الهدف الكبير) (٢٢)

عند بداية تنفيذه للمبادرة - لم يكن المناخ السياسي في العالم العربي مشجعاً لعقد مؤتمر لوجود شقاقات ونزاعات تفرض نفسها على المنطقة ، ولذلك رأى أنه من الأجرد لتنفيذ فكرته هو القيام بسلسلة من الزيارات إلى الدول الإسلامية وبعض الدول العربية لشرح دعوته ومزاياها .

ثالثاً: وبدأ زيارته الأولى (الشاه ايران) في ديسمبر ١٩٦٥ م - واستطاع أن يحصل على موافقته ، ونص البيان المشترك الذي صدر في نهاية الزيارة على ذلك ، وتضمن مaily (يعلن الطرفان الساميان موافقتهم على الدعوة إلى عقد مؤتمر قمة إسلامي، ليكون فرصة لمناقشة الأمور التي تهم الدول الإسلامية . ونقطة انطلاق وحدتها وصيانتها مصالحها). كما شملت زيارته أيضاً الأردن (١٩٦٦ م) ، السودان (مارس ١٩٦٦ م) ، باكستان (ابريل ١٩٦٦ م) ، تركيا (أغسطس ١٩٦٦ م) المغرب وغينيا ومالي وتونس (سبتمبر ١٩٦٦ م) (٢٣).

رابعاً: ومن خلال رحلاته ظهرت عدة أمور ساعدته على القيام بتنفيذ فكرته: أبرزت العلاقات المشتركة وجود شخصية إسلامية ، لها أثراً روحي ، والمتميزة على الصعيد الدولي في الستينيات من القرن الحاضر، وأن دعوة التضامن الإسلامي ، لا تتعارض مع التضامن العربي ، بل تعزز كل منهما الأخرى ، إن الأخذ بهذه الفكرة يكون نقطة انطلاق لإقامة منظمة عالمية للدول الإسلامية، كما أنها وضحت للجميع بما فيها معارضيها أنها قامت من أجل تأخى الشعوب ، وتحرير الإنسان، ودعم السلم والحرية بين البشر، والابتعاد عن كل متغصب وعدوان ومستكنة سياسة التمييز العنصري ، كما أعلنت عزمها على مؤازرة الشعوب المستعمر في جميع أنحاء العالم الإسلامي، للحصول على استقلالهم وحررياتهم. كما أكد جلالته في دعوته: أن رابطة العقيدة هي المقام الأسمى والأول في نظر الشرعية الإسلامية. كما أنها تتفق

مع كل الدعوات التي تناهى بتصفيه الاستعمار في العالم، كما أن زيارته إلى بعض الدول الأفريقية أثارت اهتماماً دولياً خاص - لأن في أفريقيا بعضاً من المناطق التي تعاني من ظلم الاستعمار وتغلغل الصهيونية فيها. كما كان يدعو في جميع رحلاته إلى تحرير فلسطين والأراضي المحتلة من الاستعمار، وقد كان لدعوته صدى ملموس، وأثر توئي لدى الدول الأفريقية الإسلامية، التي أيدت دعوته إلى عقد مؤتمر إسلامي (٢٤).

الهوامش:

- ١- دكتور جلال يحيى - الثورة العربية : القاهرة ، دار المعرفة ١٩٥٩ من ٣١٩ .
- ٢- خير الدين الزركلي ، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز .
- ٣- راجع : محمد المانع ، توحيد المملكة العربية السعودية م، س، ز من ٤٧ .
- ٤- دكتور جلال يحيى ، م، س، ز من ٦٧ وما بعدها .
- ٥- دكتور جلال يحيى من ٧٠ وراجع أيضاً : احمد عسه ، معركة فوق الرمل من ٧٧ .
- ٦- راجع دكتور عبد العزيز نوار ، تاريخ العراق الحديث ، دكتور جلال يحيى من ٧١ .
- ٧- وسوف يرتفع نجمة جلبرت كليتون فيما بعد في تسوية مشكلات الحدود وراجع أيضاً حافظ وهب ، خمسون عاماً في جزيرة العرب من ٨٧ .
- ٨- دكتور جلال يحيى ، م، س، ز من ٧٣ - ٧٤ .
- ٩- دكتور جلال يحيى من ٧٤ وراجع أيضاً / تركي بن محمد بن سعود الكبير، علاقة بريطانيا بالملك عبد العزيز - رحمة الله - في : الدارة ، العدد الرابع ، ١٩٨٦ وراجع أيضاً دكتور / محمد نصر مهنا ، الخليج العربي، مرجع سابق.

الباب الثالث

- ١٠- امين الريhani ، تاريخ نجد وملحقاتها ، دكتور / جلال يحيى م. س. ز من ٧٦
- ١١- محمد المانع ، م. س. ذ ، دكتور / جلال يحيى من ٧٧
- ١٢- دكتور عبد العزيز نوار ، تاريخ العراق الحديث من ٩٧ وما بعدها .
- ١٣- راجع : بحوث دبلوماسية ، وزارة الخارجية السعودية ، الرياض ، بدون تاريخ اصدار
وراجع أيضاً : أحمد عسّه ، معجزة فوق الرمال ، ط٣ ، (لبنان : المطبع الاهلي اللبناني
، ١٩٧١م) ص ١٦ .
- ١٤- نزار عبيد مدنى، المفهوم الإسلامي للسياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية ، دعوة
الملك فيصل للتضامن الإسلامي (١٩٦٥م - ١٩٧٥م) ، واشنطن ، الجامعة الأمريكية
١٩٧٧م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، ص ٥٨ .
- ١٥- نزار عبيد مدنى ، المصدر السابق ، ص ٦٠ .
- ١٦- أحمد عبد الغفور عطار، صقر الجزيرة ، ص ٥٦ ط ٣ ، (لبنان : المطبعة العربية بيروت ،
١٩٨٢هـ) ص ٢٣١ .
- ١٧- محمد عنان، السعودية وهموم العرب خلال نصف قرن ، ١٩٢٣ - ١٩٧٨م ، (بيروت:
منشورات المكتبة العالمية للطباعة والنشر ، ١٩٧٨م) ص ٩٢ .
- ١٨- عباس محمود العقاد، مع عاهل الجزيرة العربية، (بيروت منشورات المكتبة العصرية) ص
١٩ .
- ١٩- عباس محمود العقاد، المصدر السابق، ص ١٩
- ٢٠- محمد عنان ، المصدر السابق . ص ٩٤ .
- ٢١- سيد محمد إبراهيم ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، (الرياض : مكتبة الرياض
الحديثة، ١٢٩٣هـ ١٩٧٣م) ص ١٢٨ .

٢٢- منير العجلانى ، تاريخ مملكة فى سيرة زعيم يصل ملك المملكة العربية السعودية وإمام

ال المسلمين ، ط ١ ، ١٩٦٨ م ، ص ١٤٩

٢٣- نزار عبيد مدنى ، المصدر السابق ، ٨٧ .

٢٤- نزار عبيد مدنى ، المصدر السابق ، ٩٣ .

الفصل الثاني

أزمات العلاقات الكويتية العراقية

اراد الانجليز بعد الحرب العالمية الأولى رسم الحدود بين الكويت وال العراق وحيث حركة القبائل على تلك الحدود لا تعرف بالقيود بسبب ترحالها المستمر.

وكانت الحكومة البريطانية قد اتفقت مع الدولة العثمانية على رسم خريطة لحدود الكويت عام ١٩١٣ ، وكانت بريطانيا تعتبر تلك الحدود هي حدود الكويت ، وأقرتها عام ١٩٢٢ وكانت تلك الحدود تتصل بالكويت جنوبا إلى جبل منيفه على مسافة تبعد نحو مائة وستين ميلا عن حدود الكويت الحالية مع المملكة العربية السعودية «(١)

ومنذ بداية العشرينيات كانت مسألة الحدود الكويتية العراقية قد استقرت لأن الطرفين اعتبرا اتفاقية ١٩١٣ بين بريطانيا والدولة العثمانية حول تحديد الحدود الكويتية هي الأساس للعلاقات بين البلدين .

يرى الدكتور / عبد المالك (٢) اليمني أنه اذا كانت مشاكل الحدود في منطقة الخليج العربية قد بدأت بسبب حركة القبائل ونزاعها، فإن أسباب تفجرها الأساسية تعود إلى ظهور النفط في المنطقة، ولذلك يمكن تأريخ مشاكل الحدود مع تاريخ النفط فيها منذ الكشف والتنقيب عليه حتى إنتاجه بكميات اقتصادية كبيرة . بما يعنيه ذلك أن بروزها مقترب إلى حد كبير بظهور النفط أكثر من اقترانها بفكرة الكيان والدولة الحديثة، لأن النفط في المنطقة أسبق من تلك الفكرة ، بيد أن نضوب النفط لا يعني انتهاء المشاكل الناتجة

عنه ومنها مشكلات الحدود. لقد استقرت لدى سكان المنطقة فكرة الدولة ذات الحدود الواضحة والإحساس بالسيادة، وكان النفط في منطقة الخليج معروفاً لدى الشركات الأجنبية منذ قبيل الحرب العالمية الأولى، لكننا ويمكن القول إن مسألة الحدود بين العراق والكويت قد استقرت في بداية العشرينيات في اتفاقية العقير عام ١٩٢٢ عندما اعتبر المؤتمرون أن الاتفاقية البريطانية العثمانية لعام ١٩١٣ بشأن الحدود بين العراق والكويت هي الأساس رغم أن النتائج لذلك المؤتمر قد اختلفت عن تلك الاتفاقية في بعض بنودها - كما سبقت الاشارة - غير إثارة الازمات بين العراق والكويت والتي كانت العراق هي السبب المباشر لها دائمًا - هو الأمر الذي يستدعي وقفه للتفصير والتحليل:

يرى جى . بي . كيلي : «أن حدود الكويت قد تمت بتوقيع اتفاقية العقير التي تم الوصول إليها في معاهدة ١٩١٣ (٢) ، ولم يكن في الامكان تغييرها إلا باتفاق بين الحكومتين العثمانية والبريطانية ، ولقد بين ابن سعود بتفاوضه على هذا المبدأ، وأقر بمركزه القانوني كوريث للإمبراطورية العثمانية على نجد والأحساء، وأصبح ملزماً باحترام الالتزامات التعاهدية للباب العالي بالنسبة إلى حدود هذه المناطق (٤) . ويتساءل اليمني عما إذا كانت الكويت قد فقدت مساحات من أراضيها كنتيجة لتلك الاتفاقية .

إن إشكال العلاقة بين الدولتين وما شابها من ازمات حتى العقد الأخير من القرن العشرين ، كان موقف الكويت دفاعياً باستمرار في علاقاتها مع جيرانها، ففيما يتعلق ب موقفها مع العراق فإن الذي كانت تطالب به باستمرار منذ قيام الدولة الحديثة في العراق عام ١٩٢١ حتى الغزو العراقي للكويت في أغسطس ١٩٩٠ هو ترسيم الحدود بين العراق والكويت والاعتراف بكيان

واستقلال الكويت، ورغم تحسن العلاقات بين البلدين في فترات معينة إلا أن أنظمة الحكم في العراق كانت بين الحين والأخر تخرق التزاماتها والتزامات الحكومات العراقية السابقة تجاه الكويت.

ففي أول أبريل عام ١٩٢٣م وجه الشيخ أحمد الجابر حاكم الكويت رسالة إلى الوكيل السياسي البريطاني في الكويت يسأل فيها عن موضوع تحديد الحدود العراقية الكويتية، وبناء عليها رد الوكيل السياسي البريطاني في العراق بتاريخ ٤ أبريل ١٩٢٣م . وكان الرد يؤكد ضرورة احترام العراق للالتزامات الدولية القانونية التي ورثها عن الدولة المنتدبة.. وتم تبادل الرسائل بين وزارة الخارجية البريطانية ورئيس وزراء العراق في ١٧ أبريل ١٩٢٤م باعتبار الكويت كياناً سياسياً دولياً مستقلاً، وأنكرت محاضر وزارة الخارجية البريطانية المؤرخة في ٦ فبراير ١٩٢٩ استقلالية إمارة الكويت ، وأن شيخ الكويت يرتبط بعلاقات تعاهدية مع حكومة صاحبة الجلالة، ومعترف به كحاكم مستقل، ولكن نظام الحكم في العراق رغم تبعيته لبريطانيا لم يتلزم بتلك التعاهدات، ففي عام ١٩٢٠م بدأ بمضايقة الكويت وذلك بمحطاليته شيخ الكويت، بدفع الضرائب عن مزارع النخيل في البصرة والتي هي ملك لأسرة الصباح وبعض الأسر الكويتية أو مصادرتها رغم أن هناك اتفاقاً يعفى تلك المزارع من الضرائب حيث جاء ذلك الإعفاء مقابل موقف الشيخ مبارك الصباح ضد الأتراك في جنوب العراق أثناء الحرب العالمية الأولى (٥) .

وعقب استقلال العراق عام ١٩٣٢ تبادل رئيس وزراء العراق مع حاكم الكويت الشيخ احمد الجابر الصباح الرسائل حول الحدود والعلاقات بين البلدين . وأكملت تلك الرسائل على كيان الكويت وعلى الحدود الكويتية العراقية التي سبق الاتفاق بشأنها عامي ١٩١٣ و ١٩٢٢ م.

وتجدر الإشارة إلى علاقات الكويت بغير أنها كانت تمر بمرحلة صعبة في العشرينيات والثلاثينيات ، وانعكس ذلك على الوضع الاقتصادي للكويت حيث تأثر سلبيا . لقد شهدت الثلاثينيات ثلاثة أحداث فيما يتعلق بالكويت، الحدث الأول كان ظهور النفط واكتشافه في الكويت ومؤشرات ذلك الاكتشاف أنه متوافر بكميات اقتصادية كبيرة والحدث الثاني كان حركة المجلس التشريعي عام ١٩٣٩/٢٨ (٦) . أما الحدث الثالث فقد كان مطالبة الملك غازى ومحاولته الأولى ضم الكويت بالقوة دون أن يقدم عليها وهي المحاولة التي انتهت بمقتله في حادث عام ١٩٣٩ م .

إن العراق قد منع الاستقلال السياسي عام ١٩٣٢ م إلا أن بريطانيا استمرت تمسك بالوضع العراقي، ومع ذلك فالعراق أصبح دولة مستقلة ولها حدودها التي حدتها الاتفاقية العثمانية البريطانية لعام ١٩١٢ .

أما العلاقات الكويتية العراقية في نهاية الثلاثينيات في عهد الملك غازى فقد تدهورت نتيجة تدخل العراق في شؤون الكويت الداخلية وعدم احترام التعاقدات السابقة بين الطرفين، وقد بدأت ولأول مرة مطالبة العراق بالكويت عام ١٩٣٧ (٧) . فقد بدأت في ذلك العام إذاعة موجهة من القصر الملكي في بغداد (قصر الزهور) بحملة دعائية عنيفة ضد الكويت، كما أوردت بعض الصحف العراقية نباءً عزم العراق ضم الكويت، وأن الملك قد أصدر أوامر ب لهذا الشخص، وتدخلت بريطانيا لبحث الموضوع مع رئيس وزراء العراق، ويقال إن الجيش العراقي قد رفض تنفيذ الأوامر، وفي برقية للسفير البريطاني في بغداد موجهة إلى وزارة الخارجية البريطانية بأن الملك قال له بأنه لا يقصد مهاجمة الكويت بل الضغط على حاكمها للإذعان لإقامة المؤسسات الليبرالية(٨) . وانتهت تلك الأمة بمقتل الملك غازى في عام ١٩٣٩ م، وقيام الحرب العالمية الثانية .

أثيرت قضية الحدود الكويتية العراقية في الأربعينيات نتيجة لحدثين: الأول قيام الشركات النفطية بعمليات التنقيب عن النفط على طول الحدود الشمالية للكويت حتى عام ١٩٤٦ ، والثاني تجاوزات الشرطة العراقية داخل الأراضي الكويتية على الحدود، وكان تركيز العراق آنذاك على ميناء أم قصر لما له من أهمية تجارية كميناء عميق المياه (٩) . ولكن لم يحدث جديد في مسألة الحدود بين البلدين خلال الأربعينيات

ويورد التمييزي برقية في ملفات وزارة الخارجية البريطانية مؤرخة في ١٧ يوليو/تموز ١٩٥٧، يرى بأنها ربما تلخص العلاقات الكويتية العراقية في الخمسينيات ، لا بل تلخص سياسات الحكومات العراقية تجاه الكويت بإبداء النوايا الحسنة ظاهرياً وممارسة عكس ذلك .

جاء في البرقية مايلي : «إن حاكم الكويت الشيخ عبدالله السلام الصباح قد وجه الدعوة لوزير خارجية العراق على ممتاز لزيارة الكويت للتباحث حول موضوع تخطيط الحدود العراقية الكويتية ، ولكن وزير خارجية العراق اشترط ألا تكون الزيارة رسمية ، وألا تبحث قضية الحدود، لأن غير مخول بذلك، وقال وزير خارجية العراق إنه يفكر في أن يطمئن حاكم الكويت للنوايا الحسنة للحكومة العراقية الجديدة تجاه الكويت واستقلالها، وتجاه الكويتيين الذين يزورون العراق، أو الذين لديهم مصالح في العراق . . . وأن الحكومة العراقية قد أعطت الكويتيين حقوقاً خاصة عام ١٩٥٣ لم يتمتع بها أى من الرعايا الأجانب كشراء العقارات والأملاك في العراق. وأشار ضمناً إلى أن الحكومة العراقية لم تحصل بالمقابل على أى شيء وفي العبارة الأخيرة تهديد ضمني، وهناك نص في البرقية يقول إن وزير خارجية العراق أيضاً قال بأنه من المستحيل على أى حكومة عراقية ان توافق على تخطيط الحدود، وإذا ما أثير هذا الموضوع فإن نتائج الزيارة ستكون سلبية!» (١٠) .

إن قرابة ما جاء في هذه اليرقية يدل على التوايا السياسية التي
الحكومة العراقية تجاه الكويت، لأن تلك الحكومات كانت دائماً ساردة وترقص
مسالة تحطيطها وترسيم الحدود بين اليابس، أي أن مسألة حسم الكويت لها
جيور تاريخية تأسد العشرات السنتين واليست ولدية المساعدة.

وهي علم ١٩٥٨ عندما قالت الثورة في العراق ووصلت الراية المستشارة
الكونستيتور خيراً بتجاهلات النظام الجديد في العراق، ولكن سرعان ما التحروف
وصلت برسالة الدعاء للسابقة وزاد عليها الله عزّ وجلّ حسم الكويت بالقوه، وهذا
هو التهديد الثاني لـ الأمن والاستقلال وكيلان الكويت من قبل التنظمة الحكم في
العراق.

لأن هاجس الدول الغربية كلن يعنيها عن مسألة العديد الذي فيها كانت
تركى أن الثورة العراقية تلك تهدى خلقت جهواً من عدم الاستقرار في منطقة
الفلوج وتنبئها المصايب (()) .

ويرى التعميم الله منذ الأذى الأولي لاستقلالها فقد أثبتت الكويت
سياسة غير تابعة في القضايا والشؤون الإقليمية والدولية، وللتوضيق بين
سياستها وسياسة البلدان الغربية وبشكل عدم الانحياز العتمد على مبدأ
عدم الانحياز والتحليق النسبي وتنبع الحق العربي في سياستها التاريخية
وبذلك ازداد نقل الكويت دولياً (()) .

لكن العرب في تاريخهم الحديث والماضي ما أدى بنا إلى خطورة إثـ
يصالحها أن يعيها تراجع لعدم خطأه وإن ذلك يعني عودها إلى اليهود واليهود
والكلانات وثمنها باهظاً في زعن يغطي العالم فيه نحو التقى والرقى، فيجد
إعلان الاستقلال الكويت يتلهم ملحة عقد حاكم العراق عبد الكويت فقسم مؤقتاً
صيفاً في ٢٠ يونيو ١٩٦٣ ليعلن مطالبيه بضم الكويت للعراق، واستمرت

الأزمة في العلاقات الكويتية العراقية فترة ثلاثة سنوات إلى أن أطليع بحكم قاسم عام ١٩٦٢ (١٢) ، وتم الانفراج النسبي في تلك العلاقات حتى بداية السبعينيات، فقد تم الاعتراف باستقلال الكويت وتبادل العراق معها التمثيل الدبلوماسي، ولكن التوتر في تلك العلاقات عاد في بداية السبعينيات حيث عاد العراق يلمح ويصرح ويرأوغ في عدم ترسيم الحدود بحجج مطالبته بمنفذ بحرى على الخليج وبالتحديد مطالبته بجزيرتى ورية وبوبيان مستنداً كما يدعى إلى حاجة العراق إلى منفذ بحرى من جهة، وأن اتفاقيات الحدود السابقة بين البلدين قد تمت في ظروف السيطرة البريطانية.

مررت الأزمة الكويتية العراقية خلال الفترة ما بين يونيو ١٩٦١ وأكتوبر ١٩٦٢ بمراحل مختلفة بدءاً بالتهديد العسكري وانتهاءً بالمواجهة السياسية ومروراً بحرب دعائية ساخنة في بعض المناسبات ومع قيام انقلاب عسكري في بغداد في فبراير ١٩٦٣ . وسقوط واغتيال قاسم بدأت الأزمة في الانفراج ولكن النظام الجديد استغرق بضعة أشهر لترتيب أوضاعه، محاولاً خلال تلك الفترة انتزاع بعض المكاسب المالية والسياسية (١٤) .

كانت الفرضية السائدة أن سعى الكويت لاستثمار دخل النفط في مشروعات التنمية في العالم العربي هو ثمن مساعدة العرب لها ضد التهديدات العراقية. وعلى الرغم مما قيل في هذا الصدد فإن سياسة المعونات الكويتية غير متعارضة تماماً مع معتقدات الكويت وممارساتها (١٥) .

ومع قرب مقداره بريطانيا منطقة الخليج العربي في نهاية السبعينيات ازدادت العلاقات العراقية الإيرانية سوءاً حول قضية شط العرب، واستخدم العراق مزيجاً من الإنقاذ والضغط على الكويت لوضع قواته في المناطق الكويتية كجزء من قوة عسكرية لحماية ميناء أم قصر من هجوم إيراني وشيك (١٦) .

ومع نهاية عام ١٩٧٢ بني العراقيون طريقاً عبر الأراضي الكويتية يؤدى إلى موقعهم على الخليج، وفي ٢٠ مارس ١٩٧٣ احتلت القوات العراقية نقطة شرطة كويتية (الصامدة) وقتل اثنان من الكويتيين وجندى عراقي، وتآزرت العلاقات الكويتية العراقية، وبدأ التحرك العربي والدولى لساندة الكويت واحتواء الأزمة. وأن التطورات فى الخليج والمنطقة العربية سمحت للعراق بتغيير موقفه، بعد ما حسم العراق نزاع شط العرب مع إيران فى اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ ، ووافقت بغداد فى يوليو ١٩٧٧ على سحب قواتها من الحدود الكويتية (١٧) .

كانت سياسة العراق ترتكز دائماً على المطالبة بمنفذ بحري على الخليج ولا يتم ذلك في اعتقاده إلا بأخذ جزيرتي وربه وبوبيان الكويتيتين ليصبح العراق دولة خليجية ويواجه التهديدات الإيرانية، ويصدر نفطه وينشط تجارتة. وهذه ادعاءات يكررها العراق دائماً في محاولة لكسب مزيد من التعاطف العربي معه في هذا الموضوع ، مع العلم بأن العراق يملك منفذًا بحريًا على الخليج يمتد لمسافة ٧٠ كيلومترًا صالحًا للموانئ التجارية والبحرية ولديه فعلاً مثل هذه الموانئ على تلك الرقعة البحرية.

يبقى جانب آخر في تطور التجربة الكويتية هي الديمقراطية، وهي تجربة خليجية رائدة فالكويت لديها دستور دائم، وبرلمان منتخب منذ عام ١٩٦٢ .. وكانت هناك انتخابات ديمقراطية ماعدا فترات حل مجلس الأمة ١٩٨٠-١٩٧٦ و١٩٨٦-١٩٩١م ، وبعد كل انتخابات تزداد المعارضة بمختلف اتجاهاتها، وقد أنجزت المعارضة دوراً هاماً في السيطرة على الثروة النفطية، وجيران الكويت لم يكونوا مرتاحين من التجربة الديمقراطية الكويتية (١٨) .

لم يطرأ جديد على العلاقات الكويتية العراقية خلال النصف الثاني من

السبعينيات إلى أن قامت الثورة في إيران ثم اندلعت الحرب العراقية - الإيرانية عام ١٩٨٠ وفي ظل خشية دول الخليج العربية من التطورات الخطيرة في المنطقة ونتيجة للهاجس الأمني بدأ الشروع في إقامة منظمة إقليمية هي مجلس التعاون لدول الخليج العربية. وفي لحظات الخطر التي كانت تضفت على أنظمة الحكم في المنطقة وضع القانون الأساسي لمجلس التعاون الخليجي ونص على أن هذا المشروع التعاوني ينبغي أن يتطور إلى وحدة المنطقة، ولكن ذلك لم ينفذ وليس هناك ما يشير إلى أن مسيرة مجلس التعاون تتجه نحو ذلك الهدف. وكان موقف الكويت المنحاز لتأييد ودعم العراق في الحرب تغييراً في نهج سياسة الكويت الخارجية منذ الاستقلال القائمة على التوازن والحياد، وكان الاندفاع في ذلك التأييد قد ساهم بدون شك مع دول مجلس التعاون في دعم وثبتت النظام العراقي.

يورد أحد الباحثين نصاً من كتاب منشور عام ١٩٨٤ يذكر بأن العراق وإيران ستقدمان على احتلال أجزاء من المنطقة، وعنوان الكويت والبحرين كلتاهما تعانيان من تحدي غير أنهما الأقوياء بسبب موقعهما الجغرافي وخاصة بعد حصولهما على الاستقلال. هؤلاء الجيران هما العراق وإيران، فالعراق يعتبر الكويت جزءاً منه، وكذلك إيران تعتبر البحرين جزءاً منها، وأن كلتيهما تعتبر أن الإمبريالية البريطانية اقتطعت هذه المناطق منها».

وإنه إذا نجحت إيران في الحرب العراقية الإيرانية فستتشكل خطراً على دول الخليج العربية، وكذلك إذا نجح العراق في تلك الحرب فسيشكل نفس الخطير. فهاتان القوتان تتطلعان للاتجاه جنوباً (١٩).

لقد كانت العلاقات الكويتية الإيرانية متورطة في الثمانينيات أثناء الحرب العراقية الإيرانية بسبب موقف الكويت المساند للعراق وتحملت عبئاً مالياً

وسياسيًا بسبب ذلك الموقف، كما انعكس القلق من خطر الثورة الإيرانية على دول مجلس التعاون الخليجي (٢٠) .

غير أن الحرب العراقية الإيرانية التي استمرت ثمانى سنوات بالنسبة للكويت لم تكن مجرد سيناريو للأحداث يمكن تخيله دون معاناة، فقد انعكست نتائج تلك الحرب اقتصادياً وسياسياً ومعنوياً على دول منطقة الخليج العربي، وهددت الوجود المستقل للدولة الكويتية ذاتها، ولهذا يصبح مفهوماً قلق الكويت من تصعيد العمليات العسكرية بين العراق وإيران وفي منطقة الخليج (٢١) .

إن موقف الكويت من الحرب العراقية الإيرانية يرتكز على رأي جماعي لدى دول مجلس التعاون الخليجي مفاده بأن هزيمة العراق في الحرب وانتصار إيران يعني خطر السيطرة الإيرانية على المنطقة، ولذلك وقفت الكويت إعلامياً واقتصادياً مع العراق (٢٢) ، دون أن تخضع في حسابها أن الأمر نفسه سيحدث لو انتصر العراق، وحتى ذلك التقدير للأمور بالصورة التي كانت عليها يؤدى إلى بناء قوة حقيقة تواجه أي عدوan تتعرض له دول الخليج أو أي منها .

لم تهدأ مسألة الحدود بين العراق والكويت إلا في فترات الأزمات التي كان يمر بها العراق ومنها فترة الحرب العراقية الإيرانية خلال الثمانينيات من هذا القرن، لأنه كان في مثل تلك الظروف بحاجة إلى دعم الكويت ودول الخليج العربية والتي قدمت للعراق دعماً مادياً ومعنوياً.

لقد كان الأمل الذي تطلع إليه الجميع بعد توقيف الحرب العراقية الإيرانية عام ١٩٨٨م أن يكون ذلك بداية مرحلة جديدة يسودها السلام والأمن والبناء ، ودعم أواصر المحبة والتعاون العربي المشترك وحسن الجوار مع دول الجوار. وتوصيت الكويت خيراً في أن يبادر النظام العراقي بفتح صفحة

جديدة في العلاقات بين البلدين بترسيم الحدود بينهما، وإنهاء النزاع حول الحدود بصورة نهائية، وبناء علاقات أخوية جيدة . لكن المفاجأة كما تم تقويمها من جانب التميمي(٢٣) كانت على عكس ذلك فقد قام ذلك النظام بعملية غادرة بتوجيهه جيشه لاحتلال الكويت احتلالاً كاملاً، وتخريبها ونهبها في أغسطس ١٩٩٠ . واتضح من خلال ممارسات ذلك النظام وأجهزته غير المعنة في الكويت خلال فترة احتلاله التي دامت سبعة أشهر مدى قدرته على التخريب والدمير المبرمج ، والخبرة التي يتمتع بها من خلال تجربة حكمه للعراق في تخطيم أي مظهر للتقدم والقدرة غير العادية على النهب المنظم.

وبشأن العلاقات الاقتصادية بين العراق والكويت يورد التميمي(٢٤) قول المؤذخ عبد العزيز الرشيد ذكر سائق دنمركي اسمه كارستن ينبوور زار الكويت سنة ١٧٦٥ م ، (إن الكويت كانت مدينة تجارية عامرة، وفي نسخة ١٧٧٦ م هاجر إليها كثير من أهل البصرة واتخذوها موطنًا لهم فراراً من الفرس الذين استولوا على البصرة في ذلك العام، ورحب بهم أهل الكويت، وفي أثناء الاحتلال الفارسي للبصرة (١٧٧٩-١٧٧٦ م) تحولت تجارة البصرة -مع بغداد وحلب وأمير وآستانة إلى الكويت ثم أخذت توطد صلتها التجارية بالموانئ العربية، وهذا أدى إلى زيادة ثروتها، لقد زارها الكثير من الرحالة الأوروبيين والأجانب . . . وكان السكان يعملون إلى جانب التجارة والرعى في الغوص وصيد المؤلؤ) (٢٥).

يستدعي تداعى الأحداث على النحو السابق تقويم الدور الكويتي على النحو الآتي:

أولاً : إن الكويت رغم صغر حجمها وامكانياتها في ذلك الوقت فقد كان لها شأن في المجال التجارى على المستوى الإقليمى .

ثانياً: إن الكويت كانت واحة يلجأ إليها بعض السكان من دول الجوار ومنها العراق عندما يتعرضون للمشكلات السياسية.

ثالثاً : إن الكويتيين كانوا يديرون مجالات عملهم وموارد اقتصادهم المتواضعة بنشاط وهمة في البر والبحر.

رابعاً : إن الكويت كانت منذ فترة بعيدة ترتبط بعلاقات اقتصادية مع العراق وقبل أن تكون بينهما علاقات سياسية .

ويتوصل التميي إلى النتائج الآتية(٢٦) :

أن العلاقات بين العراق والكويت قد اتسمت في تلك الفترة بالشك والريبة والقلق الدائم ، وقد مارس الغرب وبخاصة بريطانيا دوراً مهماً في العلاقات بين الكويت وال العراق ، فقد كان العراق تحت الانتداب وكانت الكويت تحت الحماية .

فضلاً في إن الكويت بلد صغير مساحة وسكاناً، وموقعه استراتيجي على رأس الخليج ، وفي مثلث خطر، لذلك فإن علاقاتها مع جيرانها قد مررت بظروف صعبة خلال القرن العشرين إضافة إلى العوامل الدولية وموقف القوى الاستعمارية التي بنت موقعها على أساس مصالحها بالدرجة الأولى وقد كانت العلاقات الاقتصادية بين العراق والكويت في الفترة موضوع الدراسة نشطة في بعض الفترات كما مررت ببعض الأزمات في فترات أخرى كنتيجة لعلاقات سياسية متامة خلقتها أنظمة الحكم في العراق . ويرى التميي(٢٧) أن ميع أنظمة الحكم في العراق منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة ١٩٢١ - ١٩٩٠ اتفقت على مسألة المطالبة بتبعية الكويت للعراق، واختلفت في أسلوب التعامل مع الكويت، كان الأساس هو الابتزاز للحصول على تنازلات من الكويت.

كما يرى التميي(٢٨) أن الاحتلال العراقي للكويت في أغسطس ١٩٩٠

قد نقل العلاقات بين البلدين إلى مرحلة ذات آثار سياسية واجتماعية خطيرة ستمتد ربما جيلين أو أكثر في المستقبل ، وأخيرا يرى التميمي أن سجل التهديد العراقي للكويت سواء حول الحدود أو بالاجتياح يدل على أن العراق سيحاول في المستقبل إثارة قضية منفذه البحري على الخليج، ولربما يهدد استقلال الكويت مرة أخرى ، ويحذر التميمي (٢٩) من أن تلغى من حسابنا أن أية قوة إقليمية عندما تشعر بقوتها العسكرية والأيدلوجية قد تعمل على ابتلاع جيرانها من الدول الصغيرة، والحل أمام دول الخليج العربية الصغيرة الإقدام على خطوات استراتيجية تاريخية والتنازل عن بعض سيادتها القطرية لتحقيق اتحاد فيدرالي يحفظ لها استقلالها ويحقق لها أمنها وعمقها البشري والاقتصادي والجغرافي وقوتها العسكرية والتنمية .

وفي تعقيبه على الاجتياح العراقي للكويت يرى الدكتور عبد الله محارب العديد من النقاط الجوهرية وخاصة بشأن جوانب التحديث التي شملت دولة الكويت ومؤسساتها على النحو الآتي (٣٠) :

أولاً: ان اجتياح العراق للكويت في أغسطس ١٩٩٠ قد اعقبه مباشرة ثهب العراق للسجلات الرسمية والاجهزة وان البنية التحتية أصبحت غير صالحة للعمل .

يضاف إلى ذلك أن السجلات الرسمية ، والأجهزة قد نهبت .. ولذلك استنتج التقرير أن البنية التحتية قد أصبحت غير صالحة للعمل .. أما قطاع النفط فقد أفاد التقرير بأن المؤسسات وحقول الإنتاج قد دمرت إلى حد لا يوصف .

وغمى عن البيان أن الدمار كان مقصودا ولم يكن نتاج المعارك الخربية، بشكل أساسى، خلال حرب التحرير .. فقد دمرت خمس محطات لإنتاج

الكهرباء، وأعطت اثنان آخران . كما أن ثلاثة من أربع مقطرات للمياه أصابها التدمير والتخريب. كما لم يسلم نظام الصرف الصحي من التخريب، وإن استمر يعمل .

ثانياً: انتشرت الألغام في كل الكويت ، مما عطل الوصول إلى السواحل والعديد من المناطق لفترة زمنية طويلة حتى تم تنظيفها من تلك الألغام. ومما لا شك فيه أن تنظيف المناطق أدى إلى خسائر في الأرواح وتضرر العديد من الأفراد من المواطنين والمقيمين والعاملين في عمليات تنظيف الألغام الذين فقروا أطرافهم أو جرحوا جروحًا بالغة.

وحتى الطريق لم تسلم من الضرر الناتج عن عمليات القصف أو نتيجة لرور معدات ومركبات كبيرة مثل ناقلات الجنود أو الدبابات على تلك الطرق .. ولم يعد العديد من تلك الطرق صالحة للاستعمال مما تتطلب إصلاحات أساسية .. أما أنظمة النقل العام فقد لحقها النهب الكبير فلم تسلم منه باصات شركة النقل العام، ولا سيارات ولا إسعاف ولا عربات المطافيء ، أو عربات نقل القمامات .. ويمكن القول إن أكثر من خمسين في المائة من تلك العربات والمعدات قد نهبت أو دمرت أو فقدت. ولم يكن إذن غريباً أن شاهد بعض تلك العربات في أقصى شمال العراق، أو في طرق بغداد مما يؤكّد نهبها من قبل قوات النظام العراقي .

ثالثاً: يستطرد الدكتور عبدالله محارب قائلاً :

قبل الغزو العراقي للكويت كان هناك ١٠٨٠ بئر نفط منتجة .. وبعد اندحار القوات العراقية الغازية ، قامت تلك القوات بحرق أكثر من ٧٠٠ بئر بشكل متعمد .. وقد تأكّد تخرّب ٧٤٩ بئراً .. وقدرت كمية النفط المحترقة من تلك الآبار في المراحل المختلفة من بدء الحريق حتى إطفاء آخر بئر بما بين

مليونين و٧ ملايين برميل يوميا .. وإذا أردنا حساب الخسارة الاقتصادية المباشرة من حرق تلك الكميات من النفط فإن المبلغ قد يتراوح بين ٩٠ - ٣٠ مليون دولار يوميا على افتراض أن سعر النفط يعادل ١٥ دولارا للبرميل الواحد

وإذا أخذنا بعين الاعتبار الأضرار البيئية الناتجة عن تلوث الهواء، وحجب أشعة الشمس، ومن ثم تخفيض درجة الحرارة ، وتكوين بحيرات نفطية تسبب أضرارا باهظة للتربيه ، بالإضافة إلى تخريب البيئة البحرية نتيجة لتسرب كميات كبيرة من النفط في مياه البحر، كل ذلك قد يؤدي إلى خسائر مالية ضخمة لا يمكن تعويضها إلا بعد مرور سنوات طويلة من الإصلاح وإعادة وتنظيف البيئة من كل تلك الآثار المدمرة.

يوجد في الكويت ستة موانئ للتصدير النفطي، ومن هذه الموانئ تم تخريب الرصيف الشمالي في مينا الأحمدى، وكذلك الرصيف الجنوبي ، وتدمير شامل للجزيرة الصناعية أما مينا عبدالله فقد دمر بشكل جزئي بما في ذلك الرصيف الجنوبي منه.

أما خطوط الأنابيب التي تربط رؤوس الإبار بمحطات التجميع ، والخزانات، وموانئ التصدير ومحطات التكرير، فقد أصابها التخريب والتدمير بأشكال متعددة.. فمثلا تم تدمير عدد من الخزانات والأنباب التي تربط بينها وبين الموانئ، وكذلك خربت بعض الأنابيب التي تربط بين الموانئ ومحطات التقطير أو التكرير.. ومن مراكز التجميع التي كان يبلغ عددها ٢٦ تم تخريب ٣ مراكز بشكل كبير ورئيسي.

أما المصافي أو محطات التكرير فقد أصابها التخريب لأسباب عديدة ومن تلك الأسباب عدم تصريف كميات المواد الكيماوية منها بعد توقفها. ومن

المصافي التي تأثرت مصفاة ميناء عبد الله وميناء الأحمدى . أما مصفاة الشعيبة فقد دمرت بشكل رئيسي وكبير.

رابعاً: أدت عمليات التخريب سالفة الذكر إلى فقدان الكويت موارد مالية مهمة نتيجة لعدم تحصيل عائدات نفطية سواء من بيع النفط الخام أو النفط المكرر .. وفي ١٦ أكتوبر (تشرين أول) ١٩٩١ كان انتاج الكويت من النفط ٢٥٠ ألف برميل يومياً و ١٢٠ مليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي يومياً، وفي المنطقة المقسمة كان نصيب الكويت من الانتاج ، في ذلك الوقت، ١٢٥ ألف برميل نفط خام يومياً . وبذلك كان نصيب الكويت ٣٧٥ ألف برميل يومياً بعد أكثر من ثمانية أشهر من تحرير البلاد (٢٤) .

وغمى عن البيان حجم الخسارة المالية الناتجة عن انخفاض الإنتاج النفطي لبلد مثل الكويت تعتمد اقتصادياته على النفط بشكل رئيسي وحيوي . ففي ١٩٩٠/٨/٢ كان نصيب الكويت من الانتاج لدول الأوبلk ١٥ مليون برميل يومياً حسب مقررات وزراً «نفط الأوبلk في شهر يوليو ١٩٩٠ .

وبالرغم من أن الكويت استطاعت أن تستعيد إنتاجها النفطي بمعدلاته الطبيعية، وفي زمن قياسي، إلا أن الخسائر التي نجمت عن التقطيل أثناء فترة الاحتلال، وخلال فترة الحرائق حتى نوفمبر ١٩٩١ ، وفترة تباطؤ الإنتاج ، كل هذه العوامل أدت إلى فقدان الكويت لعائدات مالية كبيرة . من جهة أخرى فإن النفط المحترق مثل خسارة مالية كبيرة . يضاف إلى ذلك أن الحرائق ربما أحدثت بعض الأضرار، وإن كانت طفيفة لمكامن النفط.. ولذلك قامت شركة نفط الكويت بتكليف عدة جهات متخصصة لدراسة مختلف المكامن والحقول النفطية لتبيان الأضرار الحقيقية الناتجة من التدمير والحرائق . وقد يمضى بعض الوقت قبل التعرف على نتائج تلك الدراسات . ومهما توافرت الأضرار فإن التكاليف المالية لها قد تكون طائلة .

قطاع الصناعات التحويلية:

مثّلت الصناعات التحويلية مساهمة في الناتج المحلي الاجمالي تقارب خمسة في المائة في السنوات السابقة لغزو العراقى للكويت. وقد ساهم القطاع الخاص منفردا وأحيانا بالشراكة مع القطاع العام في تطوير هذه الصناعات غير النفطية. ومن أهم الصناعات التحويلية في الكويت صناعة مواد البناء مثل الأسمنت، والمواد العازلة والأنابيب والطاوبق وصناعات الأخشاب والأصباغ .. وقد مثّلت هذه الصناعات أكثر من خمسين في المائة من عمليات التخريب والنهب قد تتجاوز عدة بلايين من الدولارات الأمريكية يجري الان حصرها من خلال هيئة التعويضات ومن ثم أجهزة الأمم المتحدة المختصة.. ولاشك أن تلك العمليات بالإضافة إلى الخسائر المباشرة في المصانع ومعداتها وأجهزتها قد أدت إلى فقدان أصحاب المؤسسات المذكورة للدخل المباشر من أعمالهم نتيجة لتوقفها عن العمل. كما أن قيام عدد من العاملين في تلك المنشآت بالرحيل عن الكويت أدى إلى خسارة في القدرة البشرية لا يمكن تعويضها بقوة عاملة بذات الكفاءة والخبرة في وقت مناسب .. وغنى عن البيان أن توقف أعمال المنشآت الصناعية أدى إلى فقدانها لأسواقها الاعتيادية سواء داخل الكويت أو خارجها. أن توقف الإنتاج أدى إلى دخول شركات غير كويتية لتوريد منتجات بديلة للمنتجات الكويتية وبطبيعة الحال فإن اقتحام هذه الشركات لسوق الكويت قد نتج عنه سيطرة على حصص الشركات الكويتية وحتى لو استأنفت الشركات الكويتية إنتاجها فلن تستطيع أن تستعيد حصصها إلا بعد مرور وقت طويل واجراء تحسينات على نوعية المنتجات . كل ما يسبق ذكره يبين مدى الخسائر الفادحة التي لحقت بقطاع الصناعات التحويلية في الكويت من جراء الغزو العراقي للكويت .

قطاع التشييد والبناء والعقارات

تأثرت الأنشطة العقارية في الكويت بصورة واضحة من بعد الاحتلال العراقي ولا يزال النشاط في القطاع العقاري متاثراً بالرغم من مرور ثلاث سنوات على التحرير .. ولاشك أن قطاع التشييد والبناء يتاثر بما يحدث في قطاع العقار .

من النتائج المباشرة للاحتلال العراقي انخفاض عدد السكان الوافدين إلى الكويت بنسبة كبيرة، ففي الوقت الذي كان فيه عدد السكان ٢٦ مليون نسمة في منتصف عام ١٩٩٠ ، كانت نسبة الكويتيين بينهم ٢٧ في المائة وغير الكويتيين ٧٣ في المائة .. ولقد كان غير الكويتيين يمثلون قوة شرائية كبيرة، ويشكلون فئة المستأجرين الأساسية في البلاد.. يضاف إلى ذلك أن الوافدين كانوا يتمتعون بحياة عائلية مستقرة ، أو نسبة كبيرة منهم على الأقل، ومن ثم كان طلبهم على السكن العائلي مرتفعاً، وقد جاء الغزو وتداعياته لوضع حد لذلك التكوين الديمغرافي للوافدين .

ومع التحرير برزت ظاهرة الوافدين العزاب الذين اضطروا للإقامة دون أسرهم، وهم بذلك قرروا أن يقيموا في مساكن جماعية مشتركة للتوفير في تكاليف المسكن وتوفير قدر أكبر من المال لتحويله لعالة أسرهم وذويهم في بلدانهم الأصلية .. وكان من نتاج هذه الوضعية انخفاض الطلب على المساكن في العمارات الاستثمارية .. وقد قدرت وزارة التخطيط في بداية عام ١٩٩٢ عدد الشقق الشاغرة في مختلف مناطق الكويت السكنية بما يقارب ٥٠ ألف شقة تمثل ثلثين في المائة من إجمالي عدد الشقق المجهزة للسكن .. ومن الطبيعي أن تتأثر مناطق أكثر من أخرى نتيجة لهجرة مجموعات سكانية من مناطق معينة كذلك تأثرت المناطق بعيدة عن المراكز الحضرية ، ومواقع

الأعمال في البلاد ، تأثرت سلبياً أكثر من المناطق القريبة من العاصمة .

أما مباني المكاتب والمتاجر فهي لابد أن تكون قد تأثرت بنتائج انخفاض السكان ، وبالتغيرات التي حصلت للتركيبة السكانية ، ولذلك أغلق الكثير من المكاتب والمتاجر أبوابها إما بسبب رحيل أصحابها الحقيقيين أو بسبب انخفاض حجم الطلب على أعمالها واضطراب أوضاعها المالية .. ومن نتائج ذلك انخفاض الطلب على المباني ، وقد قام عدد من أصحاب الأعمال بتغيير مواقع أعمالهم من مبانٍ إلى أخرى للاستفادة من وجود نوعية أفضل من المكاتب والمتاجر وبأسعار أفضل وفي مواقع مواتنة لأعمالهم .

لقد نشأن عن تراجع نشاط القطاع العقاري أن تراجع العمل في قطاع الإنشاءات إلى حد كبير من الطبيعي أن هناك أعمالاً كثيرة يمكن أن يتضطلع بها قطاع الإنشاءات ومن أهمها أعمال المشاريع الخاصة بالحكومة، بيد أن تلك الأعمال والتي تمثل أعمال إعادة البناء أو المشاريع الإسكانية الحكومية لا تمثل بديلاً عن أعمال القطاع الخاص المستمرة.. الأعمال الحكومية بالرغم من أهميتها فإنها لا تغنى عن أعمال القطاع الأهلي بالنسبة لكثير من أصحاب شركات المقاولات الصغيرة الذين عادة لا يصنفون في قوائم الحكومة .. ومن أهم أعمال الحكومة المشاريع الإسكانية التي تتضطلع بها الهيئة العامة للإسكان ، ومشاريع الطرق والأعمال الصحية والمباني الحكومية التي تتضطلع بها وزارة الأشغال العامة ، ويبعد أن الظروف الاقتصادية والمالية في البلاد تتحمّل ترشيداً في إنجاز تلك الأعمال وبرمجة صارمة .

ويمكن أن نستنتج أن قطاع الأعمال الإنسانية قد تضرر كثيراً من واقع الغزو العراقي وتراجعت أعماله إلى حد كبير، وبالرغم مما أتيح له من أعمال في برامج إعادة البناء ..

كان قطاع سجارة الجملة والتجزئة في الكويت من القطاعات الاقتصادية الأساسية. في عام ١٩٨٩ كانت قيمة مساهمة القطاع في الناتج المحلي الإجمالي (بالأسعار الجارية) ٤٩٢ مليون دينار كويتي من أصل قيمة الناتج التي بلغت ٦٧٧٩ مليون دينار كويتي أي بنسبة ٣٪ في المائة. وهذه النسبة وإن كانت منخفضة نسبياً إلا أن القيمة إذا نسبت إلى قيمة الناتج من القطاعات غير النفطية في العام المذكور فإنها ترتفع إلى ٣٪ في المائة .. ومن الطبيعي أن تكون التجارة من أهم أنشطة القطاع الخاص الكويتي الذي مارس هذا النشاط منذ زمن سحيق، وقد اعتمد الكويتيون في السنوات السابقة (٣١) لاكتشاف النفط على التجارة مع دول أفريقيا الشرقية، ومدن شبه القارة الهندية وعملوا على جلب البضائع لبيعها في أسواق الجزيرة العربية والعراق. كما قاموا بتجارة التمور واللؤلؤ الذي نشط الكويتيون، آنذاك، في جمده من أعماق الخليج وبيعه في الأسواق الهندية - وبعد أن أصبح قطاع النفط القطاع الأساسي والحيوي في الاقتصاد الكويتي قام القطاع الخاص في ترتيب أوضاعه وعمل على جلب السلع من مختلف دول العالم لبيعها في السوق المحلية النامية بعد أن تدفقت العمالة الوافدة على البلاد للعمل في مختلف القطاعات الاقتصادية . وبعد أن كانت التجارة مقصورة على جلب السلع الأساسية مثل المواد الغذائية ومواد البناء، اتسعت السوق، بعد تحسن مستويات المعيشة وتطور الأوضاع الاجتماعية ، لتشمل السلع الكمالية والمعدات الصناعية والسلع المعمرة.(٣٢)

لذلك فقد أصبحت التجارة مصدراً رئيسياً للدخل لعدد كبير من العائلات الكويتية .. وهذه المجموعات التجارية عملت على توسيع أنشطتها الاقتصادية في قطاعات اقتصادية أخرى مثل قطاع العقار والقطاع المالي

والمصرفى وقطاع الخدمات .. وبذلك فإن التجارة أصبحت عنصراً مهماً في تطوير أعمال اقتصادية أخرى أساسية في الكويت.

وهكذا نجد أن قطاع التجارة يعتبر قطاعاً حيوياً، ونتيجة للاحتلال فإن هذا القطاع قد تأثر تأثراً بالغاً.

الهوامش:

١- للمزيد حول هذا الموضوع انظر : د. عبدالله الاشعل ، قضية الحدود في الخليج العربي ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية في الاهرام ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ١٠٠-١٠٢.

٢- د. راجع في تفصيل ذلك.

٣- أحمد أبو حاكمة، تاريخ الكويت الحديث ، ص ٢٥٧ - ٢٥٩ .

٤- جي . بي . كيلي ، ترجمة هيرى حماد ، الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ١٧٦ . انظر أيضاً ج. ج. لوديمر، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، الجزء الرابع ، إصدار وترجمة ديوان أمير قطر، ص ٢٢٧٤-٢٢٧٥ .

٥- دكتور عبد المالك التعميمي ، العلاقات الكويتية العراقية ، ١٩٢١-١٩٩٠ ، دراسة تاريخية في: عالم المعرفة، العدد ١٩٥ «الغزو العراقي للكويت»، مارس ١٩٩٥ ص ٧٣-٥٠ وسوف نعتمد على تحليلاته القيمة في المتن وراجع أيضاً : وليد الأعظمي ، الكويت في الوثائق البريطانية ١٧٥٢-١٧٦٠ ، الطبعة الأولى ١٩٩١ ، لندن - قبرص ، ص ١٢١-١٢٤ .

٦- أحمد أبو حاكمة ، المصدر السابق ، ص ٣٦٣ - ٣٦٥ .

٧- بدر خالد البدر ، نوري السعيد ، الملك غازى ، عبد الكريم قاسم وموافقهم تجاه الكويت ، جريدة القبس ، الكويت ، ٢٧/٦/١٩٩٣ .

الفصل الثاني

٧- راجع دكتور/ جمال زكريا قاسم، أزمة العلاقات الكويتية العراقية على عهد الملك غازى ١٩٣٩-١٩٣٢ ، بحث مقدم لندوة العوان العراقي على الكويت، قسم التاريخ ومجلة العلوم الإنسانية بجامعة الكويت ، ٤-٢ مارس ١٩٩٢ ، الكويت ، ص ١٦-١٨ .

٨- التمييى مرجع سابق.

٩- المصدر نفسه .

Tim Niblock, Social and Economic development in the Arab Gulf. -١.
Great Brition, 1980, pp. 215-216.

١١- التمييى ، مرجع سابق.

١٢- المرجع نفسه .

١٣- د. عبد الرضا على أسبيري ، الكويت في السياسة الدولية المعاصرة الطبعة الثانية، مايو ١٩٩٢ ،
الكويت ، من ٨٧ .

١٤- المصدر نفسه ، ص ٧٩ .

١٥- المصدر نفسه ، ص ١٣٩ .

١٦- المصدر نفسه ، ص ٤٠ .

Sharam Chubin. Security in the persian Gulf. International for -١٧
Strategic Studies, 1981. England, pp. 8-9 .

See also, Emile A. Nakhleh, Arab - American Relations in the Persian
Gulf, 1975, U.S.A., pp. 32-33.

Robert G. Darius, Gulf Security into the 1980s, Slonford Uni--١٨



versity, California, U.S.A., 1984, p. 121.

H. Richard Sindelar and J. E. Peterson, crosscurrents in the Gulf,-١٩
London and New York, 1988, pp. 95-98 .

-٢٠- التميمي، مرجع سابق.

S. chubin and C. T, pp. Iran and Iraq at War, London, 1988, pp. -٢١
152-155.

-٢٢- التميمي، مرجع سابق.

-٢٣- نفس المرجع السابق وراجع أيضاً:

-A. H. T Chisholm, the First Kuwait Oil Concession, London, 1973,
p. 186.

-٢٤- التميمي، المراجع نفسه وحول إقتصاديات المنطقة راجع:

Rodney Wilson, the Economies of the Middle East, London, 1979, p.
72-79..

-٢٥- د. جمال زكريا قاسم، أزمة العلاقات الكويتية العراقية في عهد الملك غازى ، بحث مقدم لندوة
العدوان العراقي على الكويت، قسم التاريخ ومجلة العلوم الإنسانية ، الكويت ، ٤-٢ ، مارس
١٩٩٢ ، ص.٨

-٢٦- د. عبد المالك التميمي، الخليج العربي والمغرب العربي ، الكويت وقبرص ، ١٩٨٦ ، ص
١٥٢-١٥٢

-٢٧- المراجع نفسه.

الفصل الثاني

٢٨- المرجع نفسه.

٢٩- المرجع نفسه

٣٠- دكتور عبد الله محارب، مرجع سابق.

٣١- وليد الأعظمي، الكويت في الوثائق البريطانية ، ١٩٦٠-١٧٥٢ ، المصدر السابق ، ص ١٢٨
١٢٩- وراجع أيضاً.

R/15/5/140 Appendix, Dataed 25 Gun. 1932 See also, R/15/5/135 to
139 dated 1930 to 1940.

I.O.R.R/15/5/160 Kuwait's Water supply, 1932-42 See R/15/1/511,
13 No. 1912

F. O. No. 371-127938, Oct. 1957, London.

حمل مشروع المياه أنظر أيضاً : هر، ديكسون ، الكويت وباراتها ، الجزء الثاني، القسم الثالث ،
الكريت ١٩٦٤ .

٣٢- اليقين لا السراب، المركز الوطني الكويتي للوثائق والدراسات ، جريدة صوت الكويت ، ١٢ يوليوليو
١٩٩٢ ، الكويت .

٣٣- وراجع أيضاً جاسم السعدين ، التقرير السنوي الاقتصادي ، مكتب الشال ، ٩١/٩٠ ، الكويت
جريدة القبس ١٩٩٢/٢/٢ .

٣٤- وراجع أيضاً د. عبدالله محارب ، تعقيب في المرجع نفسه من ص ٧٧ وما بعدها.

الفصل الثالث

سياسة دولة الامارات العربية المتحدة تجاه الخليج

توطدت الصداقة وحسن الجوار بين دول الامارات العربية المتحدة مع شقيقاتها من دول الخليج العربي . ذلك أن ابناء هذه المنطقة هم أخوة من أصل واحد . لغتهم واحدة ودينهما واحد . والأرض التي عاشوا عليها منذ آلاف السنين واحدة . وجمعهم التاريخ في صف واحد أمام الغرزة والطامعين وفي مواجهة المحن (١) . لذا ، فان التعاون والتضامن بين دول الخليج هو حتمية قومية . وحول أهمية هذا التعاون يقول الشيخ زايد في موتور صحفي عالمي يوم ٢٧ مايو ١٩٨١ « ان تعاون دول الخليج هو دعم للأمة العربية بأسراها ، وللجماعة العربية بشكل خاص . وهو دعم وقوة سارى المفعول لهذه الأمة . كما أنه يعزز ويدعم الروابط مع الأصدقاء » (٢) .

ويرى خالد بن محمد القاسمي (٣) أن أول عمل تضامني خليجي هو تأسيس مجلس التعاون لدول الخليج العربية عام ١٩٨١ ، والذى حدد الشيخ زايد أهدافه ومبررات قيامه بالقول «انا فى الخليج العربي أسرة واحدة متعاضدة متكاتفة ، تسير بخطى ثابتة واضحة على طريق الوحدة كجزء من وحدة عربية اشمل . وما مجلس التعاون إلا دليل قاطع على تصميم قادة وابناه الخليج العربى على تحقيق الأهداف النبيلة ، تصبوا إليها الأمة العربية في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية » .

ويرى القاسمي (٤) انه كان لدولة الامارات ، في ظل قيادة الشيخ زايد ، مواقف تميزت بدبلوماسية هادئة . ومن هذه القضايا :

أولاً، المشكلات الحدودية:

عندما خرجت بريطانيا من منطقة الخليج، تركت ورائها جملة من المشكلات الحدودية بين مختلف دول الخليج ، بعد أن مارست معها سياسة «فرق تسد». ازاء ذلك لم تتأل دولة الامارات أى جهد في حل هذه النزاعات، بهدف ارساء التعاون والانضام والتقارب الخليجي . ومن أهم هذه المشكلات:

أ- النزاعات الحدودية بين الامارات الاعضاء في الاتحاد: وهي تعد من أهم القضايا الموروثة التي واجهتها الدولة الاتحادية. وقد بذلت الدولة، وعلى رأسها الشيخ زايد، جهودا حثيثة لإزالة هذه العقبات. وقد وصف الشيخ زايد مشكلة الحدود، عام ١٩٧٦ ، قائلا: «مضيت أسبوعا كاملا متنقلًا من إمارة إلى إمارة ومن حاكم إلى حاكم في سبيل حل مشاكل تافهة على الحدود بين الإمارات وبالأليت هذه الخلافات قائمة على مئات الأميال أو الكيلومترات، وإنما هي مشاكل تافهة لا تتعدي الخلاف على عشرات الأمار ، نعم عشرات الأمتار، وأقولها بكل أسف ومرارة » (٥) .

ب - نزاعات الحدود بين الإمارات وعمان: أن خط الحدود بين دولة الاتحاد وسلطنة عمان يكاد يكون معدوما، بدليل أن الزائر لتلك المناطق الحدودية يكتشف تدخلا عجيبا وغريبا في الأراضي التابعة للبلدين . فعندما يخرج من عمان ويدخل دولة الاتحاد، يفاجأ بأراض عمانية ومخفر عمانى وعلم عمانى داخل أراضى دولة الاتحاد. وبإمكان الزائر لمدينة العين التابعة لدولة الاتحاد أن يسيرا مسافة ربع ساعة بواسطة السيارة ليجد نفسه داخل أراض عمانية ليس فيها غير العمانيين المزارعين والوالى ، ولا وجود فيها لنقطة حدودية أو مخفر للشرطة أو الجيش (٦) . هذا إضافة إلى التداخل الحدودي بين رأس الخيمة وعمان.

وأثر جهود واتصالات مكثفة أجريت في شهر أبريل ١٩٨١، تم إنهاء الخلاف الحدودي بين البلدين ، ووضعت الاتفاقية النفطية انهاء الخلاف الحدودي الطويل بين عمان ورأس الخيمة . وقد نصت الاتفاقية على أنه تم الاتفاق بين سلطنة عمان ودولة الإمارات العربية المتحدة على اعتماد أساس محددة لإعادة تحديد الحدود بين سلطنة عمان وامارة رأس الخيمة تحسن بصورة نهائية النزاع الحدودي بينهما حيث أبدى الجانبان يدهما صارق الأخوة وروح التسامح رغبتهما في كل ما من شأنه التعجيل بالاتفاق والوصول إلى حل يحفظ الروابط التاريخية بين البلدين الشقيقين وتوثيق عري الصداقة والتعاون بينهما .

من ناحية أخرى ، كان للجهود التي قام بها صاحب السمو الشيخ راشد بن سعيد المكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء السابق وزيارته للسلطان قابوس بن سعيد الأثر الفعال في إرساء أسس الاتفاق بما يضمن مصالح البلدين الشقيقين ويعزز العلاقات فيما بينهما في وقت كانت تتحتم ظروف المنطقة توحيد الكلمة ومواجهة ما يحيط بها من أحظار .

ج - نزاعات الحدود بين الإمارات والملكة العربية السعودية :
وخصوصا حول منطقة البريمي. مع قيام دولة الاتحاد، تكثفت الجهود لحل هذا النزاع عام ١٩٧٥ ، قام الشيخ زايد بزيارة للمملكة العربية السعودية ووقع خلالها اتفاقية الحدود التي نصت على تأليف لجنة مشتركة مكونة من وزير النفط السعودي ونظيره الإماراتي، لوضع حدود رسمية مشتركة بين البلدين بطريقة أخوية (٧) فهذه الروح الأخوية هي الموجه للسياسة الخارجية لدولة الإمارات على مستوى منطقة الخليج .

د - النزاع مع إيران حول قضية الجزر العربية الثلاث : أبو موسى ، طنب الكبرى وطنب الصغرى :

في الأول من نوفمبر ١٩٧١ ، وقبل الانسحاب البريطاني من الخليج بيوم واحد، قامت القوات الإيرانية باحتلالاً عسكرياً لجزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى كما دخلت قواتها العسكرية إلى جزء من جزيرة أبو موسى بموجب مذكرة ترتيبات تمت، تحت أشراف بريطاني ، بين إمارة الشارقة وإيران.

وعقب ذلك راحت إيران تعزز وجودها السياسي والعسكري في الجزء الثلاث، بينما عمّدت دولة الإمارات إلى تكثيف جهودها الدبلوماسية لحل مشكلة الجزر بالطرق السلمية . وعام ١٩٩٢ ، قامت إيران بطرد كل المواطنين العرب من جزيرة أبو موسى ، فتم لها بذلك الاحتلال لكامل الجزر العربية الثلاث.

وأعقب هذه التطورات تبلور موقف دولة الإمارات على النحو الآتي:

أولاً: في مواجهة التعنت الإيراني الرافض كلياً لإعادة الجزر العربية إلى أصحابها الشرعيين ، تميز الموقف الإماراتي بالانتزان والهدوء والانابة وطول النفس . فلا انفعال ولا تحدي ، بل رؤية موضوعية للأمور تنطلق من حتمية وجود إيران كأمر واقع، وعليه، فإن العداء والصراعات بين الدولتين ستتجزء إلى منطقة الخليج . فلا بد إذا من حل القضية بالأساليب السلمية والدبلوماسية، انطلاقاً من علاقات حسن الجوار والانتماء إلى الدين الإسلامي الواحد والمصير الخليجي المشترك. كما دولة الإمارات تدعوا إيران باستمرار إلى تحكيم العقل والضمير والدين، وال التجاوب مع دعوات دولة الإمارات المتكررة لإجراء الحوار المستمرة والسلمية بالنسبة لقضية الجزر .

ثانياً: وفي جلسة افتتاح المجلس الوطني الاتحادي (١٩٩٣) ، أوضح رئيس الدولة هذه السياسة بالقول: «أن الإمارات تعتبر احتلال إيران لجزرها الثلاث طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى وعدم التزامها بما جاء في

مذكرة التفاهم حول جزيرة أبو موسى يمثل انتهاكاً لسيادة ووحدة أراضي دولة الإمارات العربية المتحدة وزعزعة للأمن والاستقرار في المنطقة، كما يمثل اخلالاً بالرغبة المعلنة في تطوير العلاقات بين البلدين وتعارضاً مع المبادئ التي تقوم عليها العلاقات بين الدول. واننا نؤكد أن تطوير علاقات الصداقة والتعاون بين البلدين يرتبط بتعزيز الثقة وبما تتخذه الجمهورية الإسلامية الإيرانية من إجراءات تنسجم مع التزامها بمبادئ القانون الدولي والمواثيق الدولية واحترامها لسيادة وحدة أراضي دولة الإمارات العربية المتحدة ولبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى. ان دولة الإمارات أعربت مراراً عن رغبتها في حل هذه المشكلة بالطرق السلمية وتوّكّد عزمها على اتخاذ ومتابعة كافة الإجراءات السلمية الكفيلة باستعادة سيادتها على جزئها الثلاث بموجب مبادئ، وميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي وكتاب الله وسنة رسوله الكريم ”

ثالثاً: اتبعت دولة الإمارات ازاء قضية الجزر الخطوات التالية :

- ١- الدعوة المستمرة للحوار المباشر والتفاوض الثنائي بين الدولتين الجارتين.
- ٢- عرض القضية في اللقاءات المنفردة مع قادة بعض الدول الشقيقة والصديقة وممثليها الدبلوماسيين، ومن تربطهم علاقات ودية مع إيران بهدف اجراء الوساطة والمساعي الحميدة لحل المشكلة بالطريقة السلمية .
- ٣- عرض القضية على المنظمات العربية والدولية مثل مجلس التعاون وجامعة الدول العربية وهيئة الأمم المتحدة ومؤتمر عدم الانحياز . . . وحثها على استخدام نفوذها للضغط على إيران لأجراء مفاوضات سلمية حول قضية الجزر .

- ٤- استمرار العلاقات السياسية والاقتصادية والتجارية مع الجارة المسلمة إيران ، رغم اطلاقها التهديدات ضد جيرانها .
- ٥- حشد التأييد الدولي الواسع لوقف الامارات في توجهها السلمي لحل القضية بواسطة التحكيم الدولي (٨) .

ولقد لاقت هذه السياسة الحكيمية التأييد والاحترام من قبل معظم الدول العربية والفردية .

ثانياً، العرب العراقية - الإيرانية :

أن ثوابت السياسة الخارجية تجاه الحرب العراقية - الإيرانية أنها بمثابة استنزاف للطاقات البشرية والمادية والعسكرية العربية والإسلامية التي كان ينبغي توظيفها لمواجهة العدو الإسرائيلي ودعم القضية الفلسطينية وتأسисا على ذلك لم تتأل دولة الامارات جهدا في السعي للتوصل إلى تسوية ترضي الطرفين المتنازعين في هذه الحرب ووضع حد لها، فهى لم تقف إلى جانب العراق لأنه بلد عربى ، ولا إلى جانب إيران لأنها ترتبط معها بروابط العقيدة الإسلامية (٩) ، بل اتبعت في ذلك سياسة متوازنة فجاء تحركها الدبلوماسي يتم على كافة المستويات اقليميا وعربيا ودوليا من هذا المنظور.

وتجدر الاشارة أن فى افتتاح دورة الانعقاد الثاني من الفصل التشريعى الخامس للمجلس الوطنى الاتحادى المنعقد بتاريخ ٢١ ديسمبر ١٩٨٢ ، حدد الشيخ زايد مسار السياسة الخارجية الاماراتية حول الحرب العراقية - الإيرانية بالقول: «ان دولة الامارات لا تدخر وسعا فى سبيل العمل على إيقاف الحرب المؤسفة بين العراق وإيران وتأييد كافة الجهود المبذولة لإحلال السلام من جديد بين الجارتين العزيزتين. وذلك أن استمرار هذه الحرب

خطيئة كبرى وأمر مؤلم لنفس كل عربي وكل مسلم. لأن الجهات المعادية للعروبة والإسلام هي وحدها التي تستفيد من اهدار وتدمير الطاقات العربية والإسلامية. وما كان زحوجنا أن نحافظ على هذه الطاقات والأرواح والأموال، ونتخاذل منها عدة وعتاداً لمواجهة العدو المشترك » (١٠) .

وفي تصريح آخر للشيخ زايد قال « إن إيران جارة وقريبة لنا وترتبطنا بها علاقات تعاون مفيدة وطيبة. ولم يكن هناك ما يعكر من صفو العلاقات بيننا حتى وقعت الحرب بين العراق وإيران والتي الحقت بالبلدين خسارة كبيرة إلى جانب تأثيرها على دول المنطقة. ولم نكن نتنبئ أبداً أن تقع حرب بين دولتين جارتين مسلمتين يكون فيها غالب ومغلوب بل نتمنى أن تكون بينهما روابطأخوية وودية تعود بالنفع عليهما، وما قدرنا الله أن نبذل له من مساعي الخير القائمة على المنطق والمحوار والتفاهم بالحسنى قمنا به ولازلنا مستعدين لتقديم كل عون ومساندة من أجل تحقيق السلام والاستقرار بين العراق وإيران، فـإيران دولة مسلمة وجارة ، وضعفها هو ضعف جيرانها وقوتها القائمة على الصواب هي مفيدة لجيرانها وأخواتها في الإسلام، ولن ندخر شيئاً يصلح بين البلدين إلا وسنقوم به » (١١) .

وقد حملت دولة الإمارات ملف هذه الحرب إلى كافة المحافل العربية والدولية ، خصوصاً الأمم المتحدة، وحضرت من عواقبها الوخيمة، ودعت الدول والمنظمات الدولية إلى التحرك لوقف النزف وتحقيق الأمن والسلام في منطقة الخليج لأنه جزء من السلام العالمي .

ثالثاً: الغزو العراقي وتحرير الكويت:

وتتجدر الاشارة أنه اثناء الغزو العراقي للكويت في الثاني من أغسطس ١٩٩٠ ، كانت دولة الإمارات تشارك في أعمال مؤتمر وزراء الخارجية للدول

الإسلامية المنعقد في القاهرة. فكان أن اشتركت بفعالية مع شقيقاتها أعضاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية، وكذلك الدول العربية والإسلامية في إصدار أدانة صريحة للفزو وطالبة العراق بسحب جيشه من الكويت. ولم تكتف بذلك، بل أنها أيدت وشاركت بفعالية في الاجتماعات الطارئة التي عقدها المندوبون العرب الذين كانوا يحضرون اجتماعات المؤتمر الإسلامي. وعقدت الجامعة العربية في الثاني والثالث من أغسطس اجتماعاتها وأدانت الفزو العراقي، وأيدت الاقتراح بعقد اجتماع مصغر يضم العراق والكويت وال السعودية وبعض الدول العربية الأخرى لحل الأزمة وتفاقمت الأمور بعد رفض العراق ومن معه من الأراف العربية مقررات الجامعة العربية مما أدى إلى انعقاد القمة العربية الطارئة في القاهرة يومي ٩ و ١٠ أغسطس. ووقفت الإمارات مع الدول التي أدانت العدوان العراقي على الكويت ووافقت على ماقررته القمة من منع دول الخليج الحق في الاستعانة بقوات من الدول الشقيقة والصديقة للدفاع عن نفسها. ولما تأزم الموقف أكثر بفعل التصلب العراقي وتعاظم احتمالات المواجهة في الخليج، أعلنت إمارات العربية المتحدة في التاسع عشر من أغسطس على لسان مصدر مسؤول في وزارة الخارجية أنها وافقت على استقبال بعض القوات العربية والصديقة، وذلك تمشياً مع قرارات القمة العربية الطارئة وقرارات مجلس الأمن (١٢) .

وقد بذلك دولة الإمارات ، بالتعاون مع شقيقاتها الدول العربية وعبر الجامعة العربية جهوداً مكثفة بهدف تجنب منطقة الخليج العربي مخاطر استفحال هذه الحرب الدمرة. غير أن استمرار النظام العراقي في عدوانه أحبط كل المساعي المخلصة . فكانت دعوة المجتمع الدولي إلى العمل بشكل حازم وسريع لانهاء الاحتلال العراقي للكويت بغية تجنب المنطقة كارثة غير

محمودة النتائج. لكن العراق لم يستجب للنداءات والقرارات الدولية القاضية بالأنسحاب من الكويت. فكانت حرب الخليج التي أسفرت عن آثار مدمرة، ليس على مستوى منطقة الخليج فحسب ، بل على مستوى العالم بأسره (١٤) وهذا ما أكدته الشيخ زايد في تصريح أدلى به لـمجلة (لوموند) الفرنسية حيث قال: «إن آثار حرب الخليج لم تقتصر على منطقة الخليج ولكنها امتدت إلى جميع أنحاء العالم وانعكست آثارها أكثر فأكثر على من تسبب فيها. فالذى بدأ بالحرب هو الذى يتعثر الآن ويعيش فى الرمل ويدفع ثمن ما ارتكبه بالأمس» (١٥)

ورغم كل ذلك ، بقيت دولة الإمارات حريصة على وحدة العراق وسلامة أراضيه وحملت النظام العراقي مسؤولية إعنداته على التراب الوطنى الكويتى وفي هذا السياق، دعا الشيخ زايد إلى التمييز بين الشعب العراقي ونظامه المستبد.

وكانَت دولة الإمارات موافقَ مشرفة تجاه دولة الكويت وشعبها ويقول محمد سعود زين سفير دولة الكويت في دولة الإمارات العربية المتحدة : «حققت دولة الإمارات وقوتها الواضحة الجليلة مع دولة الكويت أثناء العدوان العراقي الفاشل. فقد وقفت إلى جانب الحق الكويتي وشجبت العدوان، وذلك منذ الأسبوع الأول للغزو. ليس هذا فقط، وإنما استقبلت أبناء الكويت وقدمنا لهم الكثير من الخدمات والتسهيلات المطلوبة. ولا ننسى أبداً أوامر صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة بأن يعامل أبناء الكويت نفس معاملة أبناء الإمارات في جميع المجالات».

وفي هذا السياق وفرت دولة الإمارات لبناء الكويت خلال تواجدهم على أرض الإمارات كل الرعاية وفي جميع المجالات. الأمر الذي كان له أطيب الأثر

في التحقيق عنهم مما أصابهم. وتشكلت لجنة لاستضافة مواطنى دولة الكويت برئاسة سمو الشيخ حمدان بن زايد آل نهيان وزير الدولة للشئون الخارجية ووفرت لهم المساكن الدائمة وقدمت لهم الخدمات الاجتماعية والتعليمية والمادية وذلك بالتعاون مع جمعية الهلال الأحمر بدولة الإمارات. ولا ننسى أبدا دور المرأة في دولة الإمارات بحيث لعبت دوراً بارزاً وهاما اثناء الأزمة ، اتضحت ذلك جليا في جهود الاتحاد النسائي وجمعية نهضة المرأة الظبيانية بفروعها المختلفة. وكان لسمو الشيخة فاطمة بنت مبارك قرينة رئيس الدولة رئيس الاتحاد النسائي العام دور هام في تقديم الكثير من الخدمات والرعاية الاجتماعية للمواطنات الكويتيات خلال تواجدهن في الإمارات.

كما كان لسائر أجهزة الدولة ومؤسساتها الاجتماعية وجمعياتها الخيرية دور كبير في تقديم العون والمساعدة لأخوانهم إبناء الكويت خلال تلك المحنـة.

ولم تقتصر المؤازرة التي قدمتها الدولة على تقديم العون والمساعدة فقط، بل قدمت الكثير في المجال الدبلوماسي والسياسي، بل أيضا في المجال العسكري حيث امتزجت دماء الشهداء من دولة الإمارات بدماء إخوانهم شهداء الكويت على أرض الكويت حتى تم التحرير من النظام العراقي الغاشم» (١٦) .

وأثر تحرير الكويت، دعت دولة الإمارات إلى التضامن العربي والتسامح وإلى إقامة نظام دولي جديد عادل ومتوازن يأخذ بعين الاعتبار مصالح الدول الصغيرة النامية بهدف رأساء نوع من التكامل الدولي . وأعلن راشد عبدالله وزير الدولة للشئون الخارجية أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة أن بلاده تؤيد تشكيل هيئة دولية تتولى بالتعاون مع لجنة مجلس الأمن تنفيذ القرار ٦٦١ لعام ١٩٩٠ لدراسة الأضرار الاقتصادية التي خلفتها أزمة الخليج وتكون صندوق

الtributes تساهم فيه جميع الدول من أجل إعانته الدول المتضررة، وأنها على استعداد تام لتحمل مسؤولياتها والمشاركة في هذا الجهد لتجنب العالم كارثة اقتصادية حيث لم يكن ممكناً تجنب الكارثة السياسية. وقد خصصت دولة الإمارات مبلغ بليون دولار كمساهمة منها في الجهود الهادفة إلى تخفيض اعباء المعاناة المترتبة على دول العالم الثالث من جراء أزمة الخليج وتطبيق القرار رقم ٦٦١ (١٧) .

وبقصد أمن الخليج من وجهة نظر الامارات فقد عبر الشيخ زايد قائلاً: «اننا ندرك بان الأمن لا يتجرأ ولا ينبغي أن يتجرأ، لأن السياج الذي يحمي الدولة ويصون منجزاتها، وبه تتعلق الآمال لتوفير الحياة الآمنة المستقرة للوطن والمواطنين».

أراء التهديدات الدولية العديدة التي يتعرض لها الوطن العربي عموماً ومنطقة الخليج خصوصاً، انطلقت دولة الامارات من مبدأ أن أمن الخليج جزء من الأمن القومي العربي وأنه من مسؤولية دول المنطقة. وبقصد ذلك يقول وزير خارجية دولة الامارات: «ان الحفاظ على أمن منطقة الخليج مسؤولية تتحملها دول المنطقة نفسها، وهناك عدة عوامل أساسية للحفاظ على أمن المنطقة وفي مقدمتها الاستقرار السياسي لدول المنطقة وتكاملها وتنسيق سياساتها وموافقها وإنها مشاكلها مع بعضها البعض . اننا نحرص على مصالح العالم واحتياجاته في نطاق السياسة البترولية المتفق عليها بين الدول المنتجة للنفط وفي إطار مفاهيم دول العالم الثالث المنتجة للمواد الأولية. وعلينا أن نأخذ نصيحتنا من التقدم، وان نعيش سنوات الحرمان والتخلف الذي فرضه علينا العالم الصناعي، وإن نستخدم ثرواتنا لحل كل مشاكلنا بما فيها مشاكلنا السياسية التي خلفها لنا هذا العالم الصناعي .

. ومن الثابت أن هذا القول يختصر مفهوم دولة الامارات لامن الخليج. إذ يؤكد صاحب السمو رئيس الدولة «إن مفهومنا لأمن الخليج هو أن تتحرك دول الخليج لتعيش بأمن واستقرار، دون الاستعانة بقوى خارجية ودون تدخل الدول الكبرى أو غيرها لتحديد مصير هذه المنطقة، ودون أن ينظر إلى هذه المنطقة على أنها منطقة نفوذ لأنّ دولة وان أمن الخليج مسؤولية دول هذه المنطقة وشعوبها، وأن هذه الدول قادرة على تأمين ذلك. ولعل أهم عنصر من عناصر توفير الأمن لمنطقة الخليج، هذه المنطقة المهمة جداً والحيوية للعالم ولاقتصاده هو أن تبقى بعيدة من صراع القوتين العظيمتين والتي كانت تحاول السطرة على هذه المنطقة الحيوية بالنسبة لها، وأن تظل بعيداً عن أجواء المواجهة التي تؤدي إلى تعكير أمن هذه المنطقة واستقرارها» .

وعموماً فقد، تحديد موقف دولة الامارات من أمن الخليج بضمانته حرية الملاحة في مياه الخليج وتجنب المحيط الهندي وبحر العرب الدخول في محاور الصراع الدولي . في ذلك يقول الشيخ زايد: «ان منطقة المحيط الهندي وبحر العرب أصبحت في الآونة الأخيرة تشهد تواجدًا عسكريًا متزايدًا للدول الكبرى المتنافسة من أجل مناطق النفوذ بسبب أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية . الأمر الذي يعرض أمن المنطقة وسلامتها للخطر الشدد. واننا كدولة تطل على هذا المحيط نشعر بقلق عميق ازاء التصاعد والتوتر المستمر بالمنطقة، ونؤيد جميع القرارات الدولية والإقليمية لإبعاد هذه المنطقة عن الصراع بين الدول الكبرى واعلان المحيط الهندي منطقة سلام » (١٨)

الهوامش :

- ١- اعتمدنا في هذا الجزء على خالد محمد القاسمي ، التاريخ الحديث والمعاصر لدولة الامارات العربية المتحدة ، المكتب الجامعي الحديث ١٩٩٩ ص ٤٧٥ - ٤٨٥ .
- ٢- خالد بن محمد القاسمي زايد الزعيم، دار الثقافة العربية، الشارقة ، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ ، ص ٣٢ .
- ٣- خالد بن محمد القاسمي نقلًا عن ناجي صادق شراب؛ دولة الامارات العربية المتحدة، دراسة في السياسة والحكم ، دار الكتاب الجامعي، العين ، ١٩٨٧ ، ص ١٥٨ .
- ٤- جريدة اليقظة ، الكويت ، تاريخ ١٩٧٦/١٢/٢٧ .
- ٥- جريدة الشرق الأوسط ، اللندن ، تاريخ ١٩٨١/٤/٣ .
- ٦- جريدة الخليج ، تاريخ ١٩٨٦/٨/٢ .
- ٧- سالم مشكور: نزاعات الحدود في الخليج ، معضلة السيادة والشرعية، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت ، ١٩٩٣ ، ص ١٣١ .
- ٨- مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، الجزء الرابع، دار رواد النهضة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ١٩٩٥ ، ص ١٥٢ .
- ٩- وكالة الانباء الكويتية (كونا): المساعي الحميدة لوقف الحرب العراقية - الإيرانية، ملف الابحاث (٢٧) ، ارس ١٩٨٤ ، ص ٣ .
- ١٠- ديوان الرئاسة زايد الأمل والعمل ، أبو ظبي ، ١٩٨٩ ، ص ١١٧ .
- ١١- وزارة الاعلام والثقافة : زايد مع رجال الاعلام في قضايا الساعة ، مؤسسة الاتحاد للطباعة والنشر ، أبو ظبي ، ١٩٨٩ ، ص ٦٧ .

- ١٢- جريدة الاتحاد ، العدد ٥٩٥٨ ، تاريخ ١٢/٣/١٩٩١ .
- ١٣- جريدة الخليج ، تاريخ ٥/١٠/١٩٩٠ .
- ١٤- جريدة الخليج ، تاريخ ٦/١٢/١٩٩٦ .
- ١٥- مجلة درة الامارات ، العدد ١٤ ، ديسمبر ١٩٩١ .
- ١٦- جريدة الخليج ، تاريخ ٥/١٠/١٩٩٠ .
- ١٧- إسماعيل صبرى مقلد: أمن الخليج وتحديات الصراع الدولى ، الريungan التشر والتوزيع ، الكويت ، ١٩٨٤ ، ص ٤٥ .
- ١٨- جريدة الشرق الأوسط: لندن ، تاريخ ٢١/٥/١٩٨١ .
- ١٩- من خطاب سموه في قمة عدم الانحياز التي عقدت بالهند في مارس ١٩٨٢ .

الفصل الرابع

الموقف السعودي تجاه الأزمات الخليجية المعاصرة

سبقت الاشارة أن منطقة الخليج العربي تمثل عمقاً استراتيجياً مصرياً بالنسبة للمملكة العربية السعودية نظراً لارتباط تلك المنطقة والتصاقها بشتى مقومات حياتها ووجودها ومصيرها ، وقد سعت من ناحية لتطوير وتحديث قدراتها الدفاعية ومن ناحية أخرى سعت المملكة إلى توثيق مجالات التعاون والدفاع مع دول الخليج العربية لمواجهة شتى الأخطار الإقليمية والدولية المشتركة (١) . ومن هنا تأتى السياسات السعودية إزاء منطقة الخليج العربي انطلاقاً من ذلك الارتباط الاستراتيجي والمصيري للمملكة بدول الخليج العربي والتي ترتكز على قرائين أهمها :

أولاً: حق الجوار والقربى واللغة والدم والمصير الواحد ، وضمان الأمن والسلام في المنطقة وترتكز المملكة في ذلك إلى كونها دولة الجوار القوية والظهير لإمارات الخليج ضد تطلعات القوى الإقليمية والدولية وتأسيسها على ذلك فإن المملكة تمتلك قوات مسلحة لديها أسلحة متقدمة وذات تدريب وكفاءة عسكرية قتالية عالية .

كما تبني سياسة دفاعية وقاديه هناك تقوم استراتيجيةيتها على الحفاظ على شخصيه الدوله السعوديه وكيانها والمحافظه على استقلالها وتأمين حدودها بالتعاون مع بقية دول الخليج العربي وهو ما يبرز من ثابتاً تنمية ودعم التعاون العسكري في سياق مجلس التعاون انطلاقاً من ثوابت بن تنمية القوة العسكرية الذاتية هي السبيل الفعال للتصدى لاي تهديدات ويفسر ذلك اتفاق دول مجلس التعاون على العمل معاً من أجل تحقيق تعاون عسكري أفضل من

خلال قوة عسكرية للدول أعضاء المجلس تمثلت في قوة درع الجزيرة الجوية المشتركة التي اعتمدت «صقر الجزيرة» وفي هذا السياق أيضاً تجأ المملكة إلى تعدد مصادر السلاح طبقاً لتقنولوجيا وامكانيات الدولة المصنعة وتتأثر ذلك على اسلوب الاستخدام المثال وبالتالي شكل وتنظيم القوات المسلحة السعودية وارتفاع كفاءة المستوى التعليمي والصحي الوعاء التطوعي في الجيش والحرس الوطني .

وتؤسساً على ذلك فقد قامت المملكة بدور ملموس في إنشاء المجلس وفي مرحلة حاسمة من مراحل الحرب الباردة بين القطبين وخاصة بعد نجاح الرئيس الأمريكي السابق ريجان وإتخاذه نهجاً متشددأً مع الاتحاد السوفيتي السابق ، ذلك إلى جانب دوافع إقليمية تمثلت في قيام الحرب العراقية الإيرانية ، ومن ثم جاءت المطالبة بإيجاد شكل من أشكال الوحدة الخليجية خاصة في مجال الأمن والدفاع ، ولذلك كله نشطت المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى قيام حلف أمني للدول النفطية الخليجية وذلك حسبما تردد في الصحافة الخليجية في أغسطس سنة ١٩٧٩ م ، وفي النصف الثاني من عام ١٩٨٠ م إزدادت كثافة التحرك السعودي النشط في هذا الاتجاه في نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٨٠ م وبادر الأمير نايف ابن عبد العزيز وزير الداخلية السعودي إلى القيام بجولة في كل من الكويت ودولة الإمارات العربية المتحدة وقطر وعمان والبحرين في نوفمبر سنة ١٩٨٠ م لمناقشة المقترنات السعودية حول أمن الخليج ومن ناحية أخرى قام الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودية بجولات في دول الخليج حول ترتيبات التعاون والأمن في دول الخليج العربي (٢) .

وتتجدر الاشارة إلى أن المملكة العربية السعودية كانت أكثر دول الخليج ثباتاً في موقفها (وإلى جانبها الكويت) في الإسراع لتوحيد موقف دول الخليج



من التحديات المائة أمامهم بإنشاء منظمة خلنجية والدعوة إلى توحيد مصادر السلاح إلى دول الخليج حتى يصبح التدريب والإستيعاب سهلا، كما طالب المشروع السعودي بإقامة تعاون واسع النطاق بين قوات الأمن الداخلي في الدول المعنية بدلاً من إنشاء حلف عسكري كما استبعدت المخالفات العسكرية تماماً مع الدول الأجنبية حيث عملت المملكة على تعزيز قدرتها العسكرية بكل الوسائل الدفاعية الحديثة والمتطورة .

جاءت أزمة الخليج (الغزو العراقي لدولة الكويت) لكي تبرز مدى أهمية وجود شكل من الوحدة والتنسيق العسكري الكامل بين دول مجلس التعاون الخليجي ، فقد أظهرت تلك الأزمة وجود قصور في النظام الأمني لدول الخليج العربي حيث كان قاصراً على نطاقات ضيقة وعلى الرغم من مساعيـاتـ المـملـكةـ العـربـيـةـ السـعـودـيـةـ الضـخـمـةـ حتىـ فـيـ مـسـاـعـدـاتـ بـعـضـ بـلـانـ مـجـلـسـ التـعـاوـنـ لـتـدـعـيمـ دـفـاعـاتـهاـ العـسـكـرـيـةـ . وقد اتجهت دول المجلس في اجتماعاتها عقب أزمة الخليج إلى إيجاد صيغة لتحقيق أمن دول المجلس في مواجهة التحديـاتـ الإـقـلـيمـيـةـ وـالـدـولـيـةـ .

وفي هذا السياق يقول خادم الحرمين الشريفين الملك فهد «لقد وفقنا الله أن ننشيء مع أشقائنا في الخليج داخل دائرة الجامعة العربية دائرة قوية فعالة هي مجلس التعاون لدول الخليج العربية ليكون نموذجاً لما يجب أن يكون عليه مستوى التعاون بين الأشقاء العرب ليصبح دمامـةـ تقوـىـ منـ جـامـعـةـ الـدـوـلـ العـربـيـةـ وـدـرـعـاـ للـعـربـ يـصـدـ الأـذـىـ وـيـعـقـمـ الأـوـاسـرـ» (٣) .

وقد قامت المملكة ممثلة في مجلس التعاون الخليجي بالتوسط في النزاع بين قطر والبحرين حول (جزيرة حوار) حيث جرت اتصالات مكثفة مع الدولتين الشقيقتين على أعلى المستويات في إطار مساعيها الحميدة والتي

توازت مع جهود الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي ، كما أعربت في نفس الوقت قطر هي الأخرى في ٢٠/٤/١٩٨٦م عن «فها للنزاع مع البحرين حول حدودهما البحرية وعبرت عن تقديرها لجهود الملك فهد واهتمامه بتسوية النزاع وبفضل الجهود المكثفة للمملكة العربية السعودية أمكن التوصل إلى اتفاق في ٢٠/٥/١٩٨٦م بين قطر والبحرين لإنهاء النزاع وإعادة الأوضاع إلى سابق عهدها .

وفيما يتعلق بالنزاع العراقي الإيراني فإن النزاع العراقي الإيراني له أبعاد تاريخية منذ قيام الدولة العراقية سنة ١٩٣٥م . وقد ورث العراق عن الدولة العثمانية حدوداً تفصل بينه وبين إيران نتيجة للحرب العالمية الأولى ، وتعتبر مشكلة شط العرب من أهم مشكلات الحدود بين العراق وإيران وهو مجرى مائي واسع يلتقي فيه نهر دجلة والفرات عند كرمه على ويجريان معاً ويكونان نهراً واحداً يصب في الخليج العربي ويفصل بين العراق وإيران وقد تنازلت الدولة العثمانية عن «المحمرة» وجزء من أراضيها الواقعة على الضفة الميسري من شط العرب لمصلحة إيران (فارس) بمقتضى شط العرب خاضعاً للدولة العثمانية حيث تأكّدت السيادة العثمانية على شط العرب بموجب بروتوكول الأستانة سنة ١٩١٣م لتحديد الحدود بين الدولة العثمانية والدولة الفارسية (إيران) .

وقد توصل الطرفان إلى اتفاق عام ١٩٣٧م حول الحدود بينهما حيث اعترفت إيران بصحة الحدود في عهد الدولة العثمانية وأدخلت تعديلاً طفيفاً على خط الحدود في شط العرب لحساب إيران حيث تنازلت العراق عن أربعة أميال في شط العرب أمام عبдан وأعلنت إيران سنة ١٩٦٩م إلغاء هذه المعاهدة، وفي عام ١٩٧٥م وقعت إتفاقية بين الدولتين في الجزائر حيث تنازل

العراق بموجب اتفاقية الجزائر عن مطالبه في شط العرب الذي تضمن اتفاق الجزائر الموقع من صدام حسين نائب الرئيس العراقي آنذاك وشاه إيران محمد رضا بهلوى في ١٣ يونيو ١٩٧٥ م مع ثلاثة بروتوكولات إضافة إلى عدة ملاحق وقد أعلنته السلطات الجزائرية في ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٠ م والمتضمن النقاط الأساسية لهذا الاتفاق الذي أكد على الطابع غير القابل للمساس وال دائم والنهائي لرسم الحدود المائية والبرية بين إيران والعراق والذي يحدد بوضوح إجراءات التحكم في حال نشوب أي نزاع بين البلدين وفيما يلي النقاط الأساسية المتمنة هذا الاتفاق :-

أولاً : القيام برسم الحدود البرية للبلدين في شكل نهائي على أساس بروتوكول القدسية في العام ١٩١٣ ومحاضر لجنة رسم الحدود في العام ١٩١٤ م مكانياً وجوب أن يكون الخط النهائي للحدود المائية على امتداد الخط المستقيم الذي يربط النقطتين الأكثر إنخفاضاً بين مصفتي شط العرب عند مصبها.

ثانياً : وجوب رسم الحدود المائية وفق الخط الموازي للخط الأكثر عمقاً داخل القسم الصالح للملاحة في شط العرب.

وبعد إندلاع الحرب العراقية الإيرانية أعلن العراق إلغاء تلك المعاهدة لأنه قبلها تحت ضغط القوة العسكرية الإيرانية في عهد الشاه .

وبالنسبة لوقف المملكة العربية السعودية إزاء تلك الحرب فقد ساندت المملكة العراق لكن يقف في وجه المطامع الإيرانية في ذلك الوقت والتهديدات الإيرانية لمنطقة الخليج، ولقد تأيد التقارب السعودي العراقي بعزوف البعث العراقي عن سياسة التطرف حيث أعلن خادم الحرمين الشريفين عن ان دعم المملكة للعراق جاء حتى لا جتاح العراق من قبل إيران فقد عبر خادم الحرمين

الشريين عن ذلك بقول: «أعود وأكرر فاق قول عندما قامت المملكة العربية السعودية بمساعدة العراقة على إيران فلانتنا ندرك أنها لن تنتصر على إيران ولكن للحفاظ على بقاء العراق ...» جاء ذلك في المؤتمر الصحفي الذي عقد في الرياض أثناء زيارة الرئيس المصري حسني مبارك للمملكة في ١٦ رجب ١٤١١هـ (٢٠ يناير ١٩٩١م) .

ويتلخص الموقف السعودي من حرب الخليج بالنسبة للمملكة في إلتزام الحياد العسكري مع الإكتفاء بتقديم الدعم المعنوي والمادي للعراق حيث تتبع سياسة الحذر تجاه إيران ولا تقبل التنسيق والتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية إلا بشروط واضحة أقلها تأمين حرية الملاحة في الخليج والعمل الجدى على إنهاء الحرب ..

وظل دعم المملكة العربية السعودية مستمراً للعراق حتى بعد لجوء العراق وإيران إلى إيقاف الحرب في أغسطس عام ١٩٨٨م (٤) . وظلت المملكة على عهدها بدعم العراق مادياً للوقوف على قدميه بعد حرب دامت ثمانى سنوات تكبد خلالها خسائر فادحة ، فقد وقفت المملكة إلى جانب العراق في تعمير مادمرته الحرب وخاصة في مدينة البصرة العراقية .

وقد امتد هذا الدعم المادى إلى الإنفاق على تسليح العراق (٥) وفي مؤتمر القمة العربي في بغداد في مايو ١٩٩٠م ساهمت المملكة دبلوماسياً على موافقة إقرار السلام الشامل وال دائم بين العراق وإيران على أساس قرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ في ٢٠ يوليو ١٩٨٧م باعتباره خطة سلام شاملة واتفاق ١٩٨٨/٨/٨ بما يضمن حقوق العراق وسيادته على أراضيه وحقه التاريخي في السيادة على شط العرب وعدم التدخل في شؤونه الداخلية بعد أن تعرض العراق آنذاك لحملة دعائية شعواء من قبل إسرائيل ومعظم الدول الأوروبية الغربية (٦) .

هذا ورغم كل ذلك التأييد من جانب المملكة العربية السعودية للعراق مادياً ودبلوماسياً بل وعسكرياً وإعلامياً فإن العراق قد استخدم جيشه الذي أسهمت المملكة العربية السعودية في بنائه بعد حرب الثمان سنوات في الإعتداء على دولة الكويت وتهديد أمن المملكة .

وقد تبلور الدور السعودي تجاه الغزو العراقي للكويت في هذا الغزو قد جاء ضرباً للتضامن العربي والإسلامي بعد أن خطا ذلك التضامن خطوات واسعة في الفترة الأخيرة فكان للمملكة أن تقف موقفاً حازماً ضد هذا الاعتداء ليس فقط لأنه ضرب للتضامن العربي والإسلامي وإنما لأن ذلك مناف للقيم الإسلامية .

فضلاً عن أن غزو العراق لدولة الكويت جاء كضربة قاصمة للأمن القومي العربي والذى يعد أمن المملكة جزءاً لا يتجزأ منه وتعريف المنطقة العربية بأسرها إلى التهديد والتربص وخاصة من الجانب الإسرائيلي .

بالإضافة إلى أن المملكة العربية السعودية ليس فقط تنتمي إلى مجلس التعاون الخليجي وإنما تتجزء دور الدولة القائد في هذا المجلس وبما يترتب على ذلك الحفاظ على مصداقيتها كدولة قائدة إزاء تعرض أمن أي دولة عضو في المجلس للمخاطر (٧) .

وان فتح ملف الحدود في النزاع العراقي الكويتي سيفتح خلافات الحدود بين دول الخليج كلها وخاصة بين السعودية واليمن وبين السعودية والعراق نفسها .

وبالنظر إلى المملكة العربية السعودية في مقدمة الدول المصدرة للبترول ومن ثم لا تكون بعيدة عن النزاع العراقي الكويتي الذي كان أحد جوانبه أن الكويت تجاوزت حصص التصدير مما يفتح الباب أمام خلاف مع العراق (٨).

ومن الثابت أن غزو العراق لدولة الكويت قد أضر كثيراً بأمن دول الخليج العربي بل وبأمن المنطقة العربية بأسرها وأبرز القصور في الأمن القومي العربي ، وعقب انتهاء الغزو وعودة دولة الكويت حرمة وبعد اعلان العراق الالتزام بكل قرارات مجلس الأمن على أثر هزيمته من قوى الائتلاف الدولي خرجت عدة سيناريوهات لأمن منطقة الخليج العربي في البداية إلا أن ذلك قد تبلور في سيناريو سعودي خليجي إلى جانب انضمام أطراف عربية أخرى هي بالذات مصر وسوريا ، ويأتي هذا السيناريو انطلاقاً من مفهوم الأمن القومي العربي الشامل وتحديد أبعاد مفهوم دول مجلس التعاون الخليجي لأمن الخليج وعلاقاتهم مع القوى الإقليمية في المنطقة (وبالذات إيران والعراق) ومع القوى الدولية الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية .

ولقد كانت بدايات ذلك التعاون الخليجي المصري السوداني في اجتماع في القاهرة في منتصف فبراير ١٩٩١م الذي ضم وزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجي ووزير خارجية مصر وسوريا حيث أكدوا على القبول الحقيقي والفعلي لقرارات مجلس الأمن التي صدرت بشأن الغزو العراقي من بدايته إلى نهايته ، وحددت الدول المشاركة أربعة أهداف للنظام الأمني الجديد في مقدمتها حماية المنطقة من الغزو العسكري والمحافظة على استقلال دول الخليج وحل كل النزاعات بالوسائل السلمية وتحت مظلة هذا التعاون الجامعية العربية مع تدعيم القدرات العسكرية القتالية والتقنية لتلك الدول والتوصيل إلى إيجاد جهاز خاص مشترك يتولى إعداد الهيكل الأمني المقترن مع مراعاة التوازن الإقليمي بين تلك الدول و تستند تلك الترتيبات إلى مبادئ وأهداف ميثاق الجامعة العربية ومعاهدة الدفاع العربي المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة، كما تلتزم هذه الترتيبات بأحكام ميثاق الأمم المتحدة وأمن

المنطقة واستقرارها كجزء لا يتجزأ من أمن العالم العربي واستقراره كما أن كل الترتيبات الشاملة التي سيتفق عليها مفتوحة لكل الدول العربية لمشاركة فيها .

وقد مهدت هذه السيناروهات لاجتماع القاهرة الإشارة إليه تمهدًا لإعلان دمشق الذي وقع بالأحرف الأولى في العاصمة السورية يوم السادس من مارس ١٩٩١م والذى وقعته الدول العربية الثمان (بول مجلس الخليج الست ومصر وسوريا) وضم هذا الإعلان تعاوناً وتنسيقاً بين هذه الدول العربية الثمان وصيغة هذا الإعلان منبثقة من ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة وهذا الإعلان قد تم في ظروف وملابسات تاريخية وسياسية جعلت منه أعلاناً لا يقل خطورة عن ميثاق الجامعة العربية حيث كان الكيان العربي يتوجه إلى التفتت وضياع هويته، وفيما تضمنه هذا الإعلان بشأن أمن الخليج العربي ما يلى :

أولاً: تضمن الإعلان أداة تجنب الأمة العربية أخطر ما خشيته في تاريخها وهو الاضطرار إلى ابقاء القوات الأجنبية على أراضيها . ذلك الأمر الذي كان ذريعة للتلاعب بها، ولا شك أن الأمة العربية قد اضطرت إلى طلب الدعم من الدول الصديقة .

ثانياً: أشار الإعلان في بندث الثاني على وجه الخصوص إلى المادة التاسعة من ميثاق الجامعة العربية معتبراً أن وجود القوات المصرية وال叙利亚 على أرض المملكة العربية السعودية ودول عربية أخرى في منطقة الخليج هو تلبية لرغبة حكوماتها بهدف الدفاع عن أراضيها وهو بذلك (الإعلان) يمثل نواة لقوة سلام عربية تعد كضمان لأمن وسلمامة الدول العربية في منطقة الخليج العربي ونموذجاً يحقق ضمان فاعلية النظام الأمني العربي الداعي الشامل.

وفي هذا النص ما يعنى الكثير لأن التطبيق العملى والفعال للاستفادة عن القوات المتعددة الجنسيات بعد أن أدت المهمة التى دعيت إليها ومن ثم فإن اعلان دمشق قد بادر بملئ الفراغ العسكرى عربياً وفوت الفرصة على من رفعوا راية الخطر من وجود القوات الأجنبية .

ثالثا : شدد الاعلان على الالتزام بالشرعية العربية والإسلامية والدولية حيث جاء فى ديباجة الاعلان الإشارة إلى التمسك بأهداف ومبادئ وقرارات جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي والأمم المتحدة .

الهوامش :

- ١- عبد الرحمن سلطان ، أضوا على الاستراتيجية السعودية ، مرجع سابق، ص ١١٥ . ولمزيد من التفصيل حول علاقة المملكة العربية السعودية تجاه دول الخليج انظر : - أمل الزياتي ، علاقة المملكة العربية السعودية تجاه دول الخليج ، مجلة دراسات الخليج ، العدد ٢٢ ، يناير ١٩٨٣ م من ١٨٥ - ١٩٣ .
- ٢- راجع بحسب تصريحات الأمير نايف بن عبد العزيز ، جريدة البلاد والمدينة والعرب يوم ١٩٨٠/١١/٢٧ م
- ٣- عكاظ في تاريخ ٤/١٠/١٤٠٢هـ (١٩٨٢/٧/٢٤) م
- ٤- أعلنت إيران قبول وقف إطلاق النار مع العراق في ١٨/٧/١٩٨٨ م . وفقا لقرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ .
- ٥- بشأن دور و موقف المملكة العربية السعودية من حرب الخليج راجع Mylroie, Laurie Ann, Regional security after empire: Saudi Arabia and the Gulf, PH.D., Ibid. p. 213-278.

الباب الثالث

- ٦- راجع في هذا الشأن : - محمود عادل أحمد ، الأمن القومي العربي - نحو استراتيجية عربية موحدة شاملة في التسعينات يونيو ١٩٩٠ م ، ص ٢٢٢ وراجع أيضاً أحمد الزهراني ، السياسة السعودية في الدائرة العربية ١٩٧٩ - ١٩٩٠ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التجارة جامعة الإسكندرية ١٩٩١ ص ٢٩٥ وما بعدها .
- ٧- أ.د. الزهراني ، م.س. ز ص ص ٣١٢ - ٣١٥ .
- ٨- المرجع السابق ، نفس الصفحة

الفصل الخامس

الخليج العربي ومشكلات نقل التكنولوجيا

لم تصادف مشكلات نقا، إلى دول الخليج العربي مشاكل تذكر بالنسبة لظاهرة نقل التكنولوجيا إلى دول العالم الثالث حيث منطقة الخليج العربي تعتبر سوقاً لمنتجات التكنولوجيا نظراً الزيادة المطردة في حجم السوق العربية هذه، وكذلك في تنوع المنتجات المطلوبة ويمكن ملاحظة أن هناك طلباً مستمراً على التكنولوجيا في مجالات متخصصة مثل الاعمال المدنية والسكك الحديدية والمنشآت النفطية والاتصالات والشاحنات والجرارات ... الأمر الذي يبرر حيازة وتطوير قدرات خليجية عربية في كل من هذه الميادين . فإن التحدي الذي يواجه الأقطار العربية يتمثل في كيفية زيادة مدى ونطاق النشاطات العربية المشتركة في ميدان التكنولوجيا .

ومن الناحية الرسمية ، تعلن عدة أقطار عربية أن سياستها هي الحفاظ على القيم التقليدية . ولكن التقاليد لا يمكن الحفاظ عليها وكأنها متحجرة، وما لم تدخل «التقاليد» بشكل إداعى في عملية التغيير فانها تعمل على إعاقة التغيير المقترح أو رفضه . وعلى سبيل المثال، تعتمد المدينة العربية الحديثة بمساكنها وضواحيها على السيارة بقدر ما تعتمد عليها المدن الغربية . ولم يسفر إدخال وسائل جديدة للنقل بشكل ارتجالي عن تدمير أصالة الفنون والمهارة العمرانية العربية التقليدية والمفاهيم العربية للمدينة فحسب بل وأيضاً الكثير من العلاقات الاجتماعية التقليدية المترنة بها، كما أن استيراد معدات المطابخ المصنوعة في الخارج لا يرغم العرب على تناول طعام البلدان التي انتجت هذه الآلات ولكن من المؤكد أنها تجعل من الصعب شواء حمل ومن الواقع أن السوبر ماركت في معظم المدن العربية يعارض الاتجاهات الشائعة

في عادات الأكل العربية . وبالرغم من هذه التبريرات مقوحا ولت الخليج العربي على أصالتها العربية الإسلامية وفي نفس الوقت نقلت التكنولوجيا الغربية إليها في صناعة الأطعمة.

ويرى الدكتور انطوان زحلان أن تطبيق العلم والتكنولوجيا قد أسفر عن توليد قدر كبير من الثروة لفترات زمنية قصيرة، وإنما إنتاج النفط في الوقت الراهن هو مثال بالطبع على سياسة (ناجحة) في هذا الصدد (١).

وهناك آراء تبرر أيضاً اعتماد الأسلوب الحالي من التكنولوجيا في نقل السلع الرأسمالية (الانتاجية) من جانب المسؤولين العرب عن اتخاذ القرار وعن التخطيط ومن جانب المؤسسات العامة العربية، ومن أمثلة هذه الآراء ما يلى :

- ١- إن الوطن العربي عموماً ودول الخليج العربي على وجه الخصوص يزخر بموارد طبيعية هائلة ، وهناك شركات دولية مؤهلة وقادرة على التخطيط وتوفير المعدات اللازمة لاستغلال هذه الموارد. ولذلك فمن غير المعقول إضاعة الوقت في تعلم التكنولوجيا الازمة عندما يكون الحل جاهزاً ويكون التأخير باهظ التكلفة .
- ٢- إن المشاريع التي تنفذ على صعيد الوطن العربي تتم على نطاق ضخم كما أن التكنولوجيا المكتسبة بالفترة التطورية والتعقيد ، وليس بوسع التكنولوجيا المحلية سوى المشاركة بشكل هامشى ، ونقل التكنولوجيا يتم ببطء ولا يرکن إليه ، وليس باستطاعتنا أن تحمل المخاطرة.
- ٣- إن الأقطار العربية ليست في مستوى تقدم البلدان المتقدمة، والسبيل الوحيد لتعويض ذلك هو اكتساب أكثر الصناعات تطوراً وتعقيداً .
- ٤- إن التكنولوجيا سريعة التغير بحيث عندما يتعلم المرء تقنية ما تكون قد أصبحت بالية وعثيقة .

وهذه الأنواع الأربع من الآراء تتناقض مع الخصائص الأساسية للتكنولوجيا ، إلا أنها شائعة في الوطن العربي . وباختصار ، تفترض هذه الآراء أن كل مشروع فريد في نوعه وليس واحداً من مشاريع كثيرة ، وأن نقل التكنولوجيا لا يمكن أن يتم في وقت واحد مع حيازة السلع الرأسمالية ، وأن المخاطرة تكون أكبر عندما تقوم الشركات المحلية بتنفيذ مشروع وأنه ما من سبيل للتأكد من النوعية والقليل من المخاطر كما ان المشاركة في أعمال البحث والتطوير هي جزء لا يتجزأ من عملية تغير التكنولوجيا . ومن ثم يكون لدى البلد المتلقى على امتداد فترة من ١٠ إلى ٢٠ سنة - وهي الفترة التي يتم خلالها تدريجياً اكتساب التكنولوجيا - الوقت الكافي لبناء قدراته المحلية بشكل منظم ومنهجي . وفي هذا السياق فقد تمكنت معظم دول الخليج العربي في إقتحام عصر المعلومات والتكنولوجيا في بداية الألفية الثالثة وتحطمت الكثير من الدول النامية (٢٠) .

من الواضح أن الأقطار العربية توفر سوقاً كبيرة جداً للتكنولوجيا وأن هذه السوق إذا ما نظر إليها ضمن منظور الوطن العربي كافية ومناسبة لدعم وتطوير المؤسسات والشركات والمرافق التكنولوجية العربية .

ومن ناقلة القول أن الكفاءات العلمية والتكنولوجية ، وهي إحدى الأدوات الأساسية لانتهاج سياسة للتكنولوجيا تعتمد على النفس ، متوفرة الآن . بالإضافة الكفاءات العلمية والتكنولوجية أداة ضرورية ويتوقف التحول في الأسلوب العربي للمعاملات التكنولوجية بالدرجة الأولى على تحول في السياسات وعلى تطوير لمجموعة متخصصة من الشركات والمؤسسات وهو متأخذ به العديد من دول الخليج العربي في إطار تحديث مواردها البشرية الوطنية .

أخذ نظام التعليم في الأقطار العربية يتسع بمعدل عالٍ ومضطرب على امتداد الثلاثين سنة وأخذ عدد الخريجين يتضاعف كل ثلاثة أو خمس سنوات . النصف الثاني من القرن العشرين وما من شك في أن الكفاءات العلمية والتقنية العربية غير مستغلة إلى حد كبير . وبعبارة أخرى ، يمكن للوطن العربي أن يستفيد من الكفاءات البشرية المتوفرة اليوم أكثر مما يستفيد في الوقت الحاضر . وربما تكون دول الخليج في معظمها في إعتقادنا هي التي استفادت من كفاءاتها العلمية بالنظر إلى الفصول المرتفعة لهذه الكفاءات .

وهناك سببان رئيسيان لهذا الوضع في الدول العربية الفقيرة عموماً ويتعلق السبب الأول بالأوضاع السائدة في الجامعات ومؤسسات البحث العربية ، وهنا يجد المرء مجموعة متنوعة من العوامل ومن بينها هذه الأموال ، الادارة ، وتطبيق قواعد ونظم الخدمة الدينية الحكومية على الجامعه والحريريات الأكاديمية والفكرية ومرافق التدريس والبحث وتضخم أعباء التدريس وأرتفاع نسب الطلبة إلى الأساتذة وقد قامت الجامعات في دول الخليج العربي بدور ملحوظ في تحديث الموارد البشرية من ثنياها ربط البرامج الأكاديمية بالتغييرات التكنولوجية في المهن الحرة أو ربط البرامج الأكاديمية بالمضامين التكنولوجية لمشاريع التنمية . وتخريج كفاءات ماهرة ومؤهلة لاستيعاب التكنولوجيات المعنية فضلاً عن استخدام قدرات البحث لدى هيئات التدريس بالجامعات والخريجين من الطلبة لحل المشاكل التقنية التي تنشأ خلال عملية التنمية .

وتؤسساً على ذلك ينبغي أن تتتوفر لدى الأقطار العربية المرافق والخبرات العالمية التخصص والتى يجب تطويرها في كل جامعة وفي كل من الميادين العلمية والهندسية وهنا أيضاً من المستحيل أن تغطي أية جامعة عربية جميع الميادين ولابد من درجة عالية من التخصص إذ ان للكفاءات الفنية

العربية أن تقوم بوظيفتها على نحو فعال ومفيد وهو ماتحاول القيام به بالجامعات في دول الخليج العربي . ويضاف إلى النشاطات السابقة أن الجامعات تقدم برامج متقدمة لإعادة تدريب المهندسين والتكنولوجيين ، وتشكل مصدرا في دول الخليج العربي لأفراد الحكومة وقطاع الأعمال والصناعة بالكفاءات العالية والخبراء المتخصصين وتشكل في الوقت نفسه مركز جذب لموظفي الحكومة والمهنيين إلى سلك التدريس بالجامعات وللتداول الداخلي للكفاءات المتخصصة تأثير كبير على الجامعات والتعليم والحياة العامة . وقد أخذ الكثيرون منهم في الحصول على درجات علمية من الدول العربية والجامعات المصرية .

وعموماً أن الكفاءات التقنية والجامعات العربية الخليجية متوفرة بأعداد كبيرة، فضلاً عن أن إعداد خريجي هذه الجامعات يزداد بمعدل عالٍ لدرجة أنه من المحتمل أن تكون الكفاءات عاملاً يحد من آية سياسية عربية مخصصة لاكتساب التكنولوجيا ويرى الدكتور انطوان زحلان أن الامكانيات الهائلة للكفاءات التقنية الخليجية العربية لم تتحول إلى خدمات مفيدة بسبب الأوضاع السائدة في الجامعات ومؤسسات البحث العربية . ويمكن تطوير كل منها بسهولة نسبية لأن لديهما الكثير من العوامل الرئيسية للتغيير السريع .

وليست الجامعات سوى مجموعة واحدة فقط من عدة مؤسسات ضرورية لحيازة التكنولوجيا . وتشكل شركات الاستثمار الهندسية والمقاولات والتصنيع وكذلك مؤسسات البحث والتطوير ، المؤسسات الرئيسية التي يتم من خلالها تعبئة واستخدام القدرات التكنولوجية وتنجز المنظمات الهندسية دوراً حاسماً في تخطيط وتوجيه وتكامل اعداد كبيرة من الشركات المتخصصة والخبراء الاستشاريين والمؤسسات والخدمات والبيانات وقد أدى الاعتماد

المفرط للاقطارات الخليجية العربية على الشركات الاجنبية للاستشارات والمقاولات والتصنيع إلى سرمان المؤسسات الاقليمية من الكثير من فرص المشاركة في الاعداد الهائلة من المشاريع في الاقطارات العربية . وتوجد بالفعل شركات استشارات ومقاولات عربية ناجحة تثبت بشكل قاطع إمكانية النهوض بمثل هذه النشاطات في الوطن العربي والمشكلة هنا تتعلق بالعدد والنطاق والشمول التكنولوجي . إذ أن معظم الخبرات العربية في الاستشارات والمقاولات متخصصة في الهندسة المدنية ويتساوى العدد كثيرا في الميادين الصناعية والكيماوية والمواصلات والطب . وأهمية الشركات الهندسية لوضع استراتيجية للتكنولوجيا تمثل أن تعمل الشركات الاستشارية على إشراك الكفاءات المتخصصة في فرق لفرض الأضطلاع بدراسة للجدوى . وأن تعمل الشركات الاستشارية ، من خلال التطبيق والتطوير المتكرر للتكنولوجيا ، على تنمية العمليات الصناعية وابتكار مخترعات جديدة وضمان مزايا نسبية .

فضلاً عما تقوم به الشركات الاستشارية ذات الصلة الوثيقة بالمجتمع بابتكار حلول هندسية تناسب الاحتياجات الثقافية للمجتمع مع أدنى حد من المخاطرة ولا بد من تحمل قدر كبير من المخاطرة لدى تصميم وتشييد الكثير من الصناعات اليوم ويتوقف قدر ونوع المخاطرة على ما إذا كان المهندسون وعائلاتهم سيقيمون بالقرب من منتجات عملهم وهم ماتحاول العديد من الدول العربية الخليجية انجازه .

وتعتبر شركات الهندسة والمقاولات من العوامل القوية لنشر التكنولوجيا الداخلية . ويرى الوطنيون المشتركون في كل مشروع فرضاً جديدة لمهاراتهم، وأسواقاً للوازم والمعدات والخامات التي يمكنهم توریدها . وهكذا يمكن للمهندسين والعلماء الذين اشتركوا في مشروع واحد أن يكتسبوا خبرة فنية

كافية لتطبيق مهاراتهم على المشاكل الأخرى. وهكذا تبدأ سلسلة من الآثار تنتشر بمزيد من التحديث من تكنولوجيا إلى تكنولوجيا ، ومن المدينة إلى القرية . وفي هذا السياق يمكن للمقاولين الوطنيين بما أصبح لديهم من وعي متزايد باللوازم والمواد والمعدات المستخدمة في تنفيذ المشاريع. أن يحفزوا الاقتصاد الوطني على تلبية الطلب من الانتاج المحلي وهو ما يلمه الباحثون العرب العاملون في دول الخليج العربي. كما يعمل المقاولون الوطنيون من خلال تجاربهم العملية على تحسين قدرتهم على حل المشاكل التقنية داخل بيئتهم المحلية وكذلك تحسين فهتمهم واستخدامهم للمواد المحلية .

فضلاً عما تتنمية المشروعات من فرص هائلة لتدريب وتعليم القوى العاملة من أجل تنمية مهاراتهم الإدارية ، وخلق فرص العمالة ونشر التكنولوجيا وهو أيضاً ما تحاول الدول الخليجية العربية انجازه حالياً .

وعموماً فإن مؤسسات البحث والتطوير مصدرها هاماً من مصادر التكنولوجيا واذا أمكن التوصل إلى مدى ونطاق كافيين لنشاط البحث والتطوير فإن اعتماد البلاد على نقل للتكنولوجيا من العالم الخارجي سيكون هامشياً فقط ومع توفر الموارد الأن لدى الأقطار العربية الخليجية الممكن تطوير القدرات التنظيمية والمؤسسية العربية بمعدل عال حتى مرحلة الاعتماد الكامل على النفس في بدايه القرن الجديد ولابد أن تقوم مصادر التكنولوجيا بدور هام خلال فترة الانتقال وهناك مصادر عديدة للتكنولوجيا ، ولكن مصدر طابعه الخاص وأدواته الخاصة للوصول إلى التكنولوجيا . كما أنه لا يوجد أسلوب وحيد لاكتساب التكنولوجيا، إذ أن الشركات أو الأفراد أو البلدان الخليجية التي تستخدم مجموعة من هذه المصادر في سعيها المزيد من تحدٍث مرافقها.

وتوفر مختلف انواع الكتابات والمؤلفات والمؤسسات البحثية (منشورات الشركات ، البراءات ، الدوريات ، الكتب ، الأبحاث) أقل مصادر التكنولوجيا تكلفة ، إذ أن التكلفة الوحيدة تمثل في ثمن المنشور أو مصاريف استنساخه والمشكلة الرئيسية هنا هي أن حجم الكتابات من الكبر بحيث أن الاهتمام إلى المعلومات المناسبة يتطلب أشخاصاً أكفاء وتسهيلاً مؤسسيّة، وهو بالطبع أكثر الطرق استخداماً في البلدان المتقدمة وما نأخذ به حالياً العديد من دول الخليج العربي.

ويشكل التعليم بالطبع مصدراً ثانياً من مصادر التكنولوجيا وهنا يصبح الشخص المشترك في العملية مؤهلاً لنوع معين من النشاط في عملية تلقى التعليم وتتوفر المؤسسات والكتابات التعليمية على نطاق واسع وتوجد مصادر عديدة توفر فرضاً مماثلة . ولا يوجد احتكار لهذه المصادر . وفي هذا السياق فقد أخذت دول الخليج العربي بأكثر الوسائل تحديثاً لمرفق التعليم وخاصة التعليم الجامعي ان المصدر التالي للتكنولوجيا هو المؤسسات الوطنية . حيث طاقات المؤسسات الوطنية في البلدان النامية قليلة الاستخدام والانتفاع بها عادة . وتتوفر المؤسسات الوطنية قناة فعالة لاكتساب التكنولوجيا وتطويرها . وتعتمد هذه المصادر جميراً على المشاركة الفعالة من جانب الكفاءات المؤهلة ولا شك ان السياسات الخليجية العربية الحالية تنهي هذا الاسلوب .

وقد انطلقت مسيرة التعاون والعمل المشترك بين مجلس التعاون لدول الخليج العربية الدول من المجال الاقتصادي . ففي الشهر التالي لولادة المجلس، وضعت الاتفاقية الاقتصادية بين دول المجلس في الرياض في ٨ يونيو ١٩٨١ وتمت موافقة المجلس الأعلى عليها في ١١ نوفمبر ١٩٨١ . وقد تم البدء في تطبيق هذه الاتفاقية في مجالات تحرير التجارة والنقل البري والبحري

وممارسة النشاط الاقتصادي اعتباراً من ١ مارس ١٩٨٣ ، كما تمت إقامة مؤسسة الخليج للاستثمار برأس مال (٢١٠٠) مليون دولار ومقرها الكويت ، في ٢٠ نوفمبر ١٩٨٢ م.

وتتعزز فرص نجاح التعاون الإقليمي بتوفير عاملين آخرين بالإضافة إلى توفر العامل الجغرافي ، يتعلّق العامل الأول بتوفير سمات مشتركة بين دول التجمع الإقليمي ، ويتعلّق العامل الآخر بأهداف مشتركة بينها تسعى إلى تحقيقها .

ولعل العامل السياسي من بين أهم الأسس المشتركة التي تحدد ، وإلى درجة كبيرة ، فرص نجاح تعاون إقليمي حقيقي ، فالعبر التي يمكن أن تستخلص من تجارب مختلف نماذج التعاون الإقليمي في مختلف مناطق العالم تشير بوضوح إلى أن العوامل السياسية تتتصدر المعوقات الرئيسية التي تحد من مدى نجاح التعاون الإقليمي الحقيقي . إن توفر تماسك سياسي حقيقي لا ظاهري ، شرط أساسى لدفع عملية التعاون الإقليمي وتأمين استمرار انطلاقها في الاتجاه الصحيح . لكن ذلك مرتبط بعامل قوى وهو دور المنظمات الأقليمية وأهمها هنا ميل التعاون الخليجي بشأنه يصور حد أدنى من تفصيل العمل الخليجي المشترك.

ومن الثابت على أهمية العامل السياسي في دفع عملية التعاون الإقليمي وتطويرها لا ينفي بالضرورة إمكانات أي تعاون مثمر في ظل غياب الحد الأدنى من تجانس القواعد السياسية بين دول التجمع الإقليمي ، كما لا يعني أن تقوية التماسك السياسي من خلال شكل من أشكال التكامل أو الاندماج السياسي يجب أن تسبق عملية التعاون في المجالات الأخرى .

فمن الممكن أن تنطلق عملية التعاون الإقليمي الخليجي من المجال الاقتصادي ، وتعبد الطريق إلى مراحل التماسك السياسي . ولكن لابد من الاشارة إلى أنه قد يصعب الاستمرار في توسيع وتعزيز التعاون في مختلف المجالات الاقتصادية ومختلف المجالات الأخرى دون عمل مواز نحو إسراء وتطوير قواعد التماسك بين الدول الخليجية العربية وفي هذا السياق فإن وحدة اللغة والدين وتشابه التراث والعادات والتقاليد والروابط الاجتماعية بالإضافة للموقع الجغرافي تشكل رصيدا قويا لقيام وتطوير تعاون مثمر بين دول مجلس التعاون الخليجي . كما أن التشابه في الهيكل الاقتصادي وفي عوامل الوفرة والندرة للموارد الطبيعية والبشرية والتقارب في النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وصغر الحجم النسبي وحداثة الاستقلال السياسي لمعظم دول المجلس من جهة ، والتطلع إلى إرساء قواعد الأمن والاستقرار في المنطقة ، وإلى تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية بأسرع ما يمكن ، من جهة أخرى ، تشكل حواجز قوية لإقامة وتطوير تعاون مثمر بينها .

أن التنمية التي تحققت في كل من دول مجلس التعاون نظرا للظروف والأهداف المتوضئة كانت أقل من التنمية الممكن تحقيقها لو تمكنت هذه الدول من الاستفادة من مواردها المتاحة بأعلى درجة ممكنة من الكفاءة خلال الفترة الماضية . فضلا عن أهمية إعادة توجيه مسيرة التنمية في هذه الدول بشكل يتيح لها تحقيق، أفضل عائد ممكن من مواردها المتاحة في المرحلة القادمة .

من المتوقع أن يؤدي التعاون بين دول المجلس إلى رفع كفاءة مواردها المتاحة مما يتبع جنى ثمار أفضل لكل منها على حدة ولمجموعها كوحدة واحدة. كذلك فإن حجم السكان من جهة، ومستوى دخل الفرد من جهة أخرى ، يحددان حجم القوة الشرائية وبالتالي حجم السوق المتوفر في الدولة .



فحجم السكان من العوامل التي تحدد حجم الطلب على السلع والخدمات من جهة، كما تحدد حجم القوة العاملة الازمة ل مختلف النشاطات الاقتصادية والاجتماعية من جهة أخرى ، وكلما زاد الطلب زاد حجم الوحدات التي تنتفع بالسلع وتتوفر الخدمات ، وكلما زادت وبالتالي فرص خفض تكاليف انتاج السلع وتوفير الخدمات، أى كلما زادت فرص تحسين كفاءة استغلال الموارد المتاحة . ومن هنا تتبين أهمية عدد السكان كمعيار للحجم .

وباستثناء السعودية (٥) ، تعتبر دول مجلس التعاون متوسطة الحجم نسبيا ، على أساس معيار حجم السكان أو المساحة على السواء .

ولا يقتصر الفرق بين السعودية وبقية دول المجلس على حجم السكان بل يتعداه إلى المساحة أيضا . فبينما مجموع سكان خمس من دول المجلس (البحرين وقطر والإمارات وعمان والكويت) يساوى ٤٥٪ من سكان السعودية، فإن مساحة هذه الدول الخمس تساوى فقط ١٩٪ من مساحة السعودية .

ويتمتع الفرد في كل من دول المجلس بقوة شرائية مرتفعة نسبيا ، إلا أنه بالرغم من ارتفاع القوة الشرائية للفرد في هذه الدول، فإن حجم القوة الشرائية المتوفرة في كل منها، وبالتالي حجم السوق ، يعتبر صغيرا نسبيا، باستثناء السعودية ، فيما له علاقة بإقامة بعض الصناعات والاستفادة من مزايا الحجم الكبير.

ويتبين أن صغر حجم دول المجلس ، باستثناء السعودية، من جهة، وضعف اتساق الخارطة الاقتصادية مع الخارطة السياسية من جهة أخرى وهذا الواقع يشكل فرصة وتحديا في أن واحد لمجلس التعاون لدول الخليج العربية. أما الفرصة فمن السهل بيانها، وأما مواجهة التحدي فتكتمن في مقدرة مجلس التعاون على الاستفادة من الفرص المتاحة للتعاون المثمر بين دول المجلس ، وجني أفضل عائد ممكن من مواردها المتاحة.

إنضم الأسواق المحلية السبعة في سوق إقليمي واحد يوسع نطاق السوق المتاحة ويولد سوقاً ذات قوة شرائية كبيرة لا تتيح فقط إقامة صناعات ذات حجم كبير بل وتعزز فرص منع التكرار والتنافس بين الأسواق المحلية . فكما هو معلوم ، فقد انتهزت هذه الدول سياسات مماثلة لتنوع مصادر الدخل فيها ، واقامت مجمعات صناعية خاصة في مجال الصناعات البتروكيمياوية . فالتعاون يتبع فرضاً أفضل للتنسيق والتكميل وتغليب التعاون على التنافس بين الصناعات القائمة حالياً ، أو الصناعات التي يمكن أن تقوم مستقبلاً (٦) .

ومن ناحية أخرى ، فإن التشابه في الاستيراد والتصدير من جهة ، وضيق الأسواق المحلية من جهة أخرى ، يضعفان القوة التفاوضية لهذه الدول مع العالم الخارجي . لهذا فالسوق الإقليمي يتبع فرضاً أفضل لهذه الدول لتنمية مراكزها في التجارة الخارجية ، التصدير والاستيراد على السواء ، والحصول على شروط أفضل للتبادل التجاري مع العالم الخارجي . ولا تقتصر فوائد التعاون على فرص التكامل بين مشروعات الانتاج المباشر ، في مجالات الصناعة وغيرها ، ومشروعات الهياكل الأساسية ، الاقتصادية والاجتماعية ، وكذلك مشروعات الخدمات ، بل تتعداها إلى مجالات الابتكارات والتكنولوجيا . كما هو معروف تتجه الابتكارات والتطورات التكنولوجية نحو الوحدات الكبيرة . لذا فإن امكانات التقدم على طريق الابتكارات وتطوير التكنولوجيا تتعزز بالتعاون الإقليمي .

ومن المتوقع أن يؤدي التعاون بين دول مجلس التعاون ، ومن خلال ما يترتب من علاقات سياسية واقتصادية مع بقية الدول العربية ودول العالم ، إلى حشد أفضل للموارد المتاحة لدول المجلس ، وتحسين كفاءة تخصيصها

واستخدامها في إطار الأهداف التي تسعى هذه الدول إلى تحقيقها. ومن شأن ذلك أن يحول الانجاز الممكن في إطار الموارد المتاحة إلى انجاز فعلي ، ويتيح مزيدا من اتساق الخارطة الاقتصادية مع الخارطة السياسية ، ويدفع إلى توسيع وتعزيز التعاون والعمل المشترك بين هذه الدول، ويعود إلى مزيد من التماسك السياسي والاقتصادي والاجتماعي .

ومن المسلم به أن التنمية المتوازنة لا تعنى فقط بالتوازن بين القطاعات بل بتحسين توزيع ثمار التنمية ليس فقط بين الأفراد والفنانين بل وبين الجهات أيضا. وكما هو معروف ، يوجد تباين بين أقاليم العدد من الدول بالنسبة لمستويات التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي تحققت فيها، حيث يوجد في داخل الدولة الواحدة أقاليم متقدمة وأخرى متاخرة نسبيا. ولا يعود السبب في هذه الفروقات إلى تباين مهم في عوامل الوفرة ، أو الندرة النسبية في الموارد الطبيعية بين هذه الأقاليم ، بل إلى عوامل عديدة مترابطة، ولعل سياسات وخطط التنمية التي اتبعتها مثل هذه الدول ، من بين أهم العوامل ، إن لم تكن أهمها جمِيعا(٦).

ففي أغلب الأحيان لا يحظى البعد المكاني بالاهتمام الكافي في سياسات وخطط التنمية في الدول النامية بصفة عامة. وبسبب إهمال البعد المكاني أو ضعف الاهتمام به يتم توطين العديد من مشروعات التنمية في بعض الأقاليم ، بينما لا يتم توطين مشروعات ذات شأن كبير ، إن تم ألا ، في بقية الأقاليم . ومن الطبيعي أن تقدم الأقاليم التي تحظى بنصيب وافر من الاستثمارات العامة أكثر من بقية الأقاليم الأقل حظوة ، وتصبح أكثر جاذبية لمزيد من استثمارات القطاع الخاص، مما يتبعه مزيدا من التقدم وارتفاع مستويات المعيشة في الأقاليم المحظوظة ، وتنبع الفجوة التنموية بين هذه الأقاليم وبقية أقاليم الدولة الواحدة .

إن الفروق في مستويات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بين الأقاليم الدولة الواحدة والتي لا تعود، في المقام الأول، إلى فروق مهمة بين الأقاليم في الهبات الطبيعية ، بل بسبب اهمال البعد المكاني في سياسات التنمية وخططها، وإن كانت تؤدي إلى زيادة النمو في المدى القصير، إلا أنها تعيق فرص استغلال كامل الموارد المتاحة وتحول دون تحويل التنمية الممكنة إلى إنجازات فعلية، في المدى الطويل.

وقد تناهى مؤخراً ادراك المهتمين بقضايا التنمية بأهمية تحقيق قدر من التوازن بين مختلف الأقاليم لتعزيز فرص تحقيق أفضل عائد ممكן من الموارد المتاحة وفي إطار هذا الادراك ازداد الاهتمام بالخطيط الإقليمي كوسيلة لتقليل التباين بين مختلف الأقاليم وتحقيق أكبر قدر ممكן من التوازن بينها .

ان وجود فروق بين دول المجلس بالنسبة لمعايير حجم السكان والمساحة والقدرة الشرائية والشوط الذي قطعته كل منها على طريق التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وتتوقف احتمالات تقليل أو توسيع الفوارق بين هذه الدول، في المقام الأول ، على الخيارات التي يختارها مجلس التعاون للتوجيه التنمية في دوله(٧).

إن خيار عدم التخطيط على مستوى دول مجلس التعاون ككل ، والاعتماد على آليات السوق لتخصيص الموارد المتاحة هو أحد الخيارات التي يمكن للمجلس أن يختارها .

إن الاعتماد على آليات السوق واطلاق كامل الحرية لرأس المال وأو العمالة، يؤدي بصفة عامة، إلى توجه عوامل انتاج السلع وتوفير الخدمات من الأماكن حيث الانتاجية الحدية لهذه العوامل منخفضة إلى تلك الأماكن التي تتمتع بمميزات نسبية معينة وانتاجية حدية مرتفعة. ونظراً لفوارق الحالية بين

دول المجلس من المحتمل أن تؤدي الحرية المطلقة لانتقال رأس المال و/أو العمالة إلى زيادة النشاط الاقتصادي والاجتماعي في الأماكن التي تتسم بمميزات نسبية على حساب الأماكن الأخرى . وإن كان هذا الخيار قد يتبع عانداً أفضل للعمالة أو لرأس المال في المدى القصير، إلا أنه لا يؤدي إلى تحقيق التوازن المطلوب بين المدى القصير والطويل من جهة، كما يعمق الفوارق بين هذه الدول. بدلاً من تقليصها ، من جهة أخرى. إذ أن توسيع المشروعات في مثل هذه الحالة لا يتم على أساس التكلفة والعائد من الموارد في إطار دول المجلس ككل من جهة، وفي إطار التكاليف والعوائد في المدى القصير والطويل من جهة أخرى .

وبما أن مجلس التعاون يصبو إلى تحقيق تنمية متوازنة ، قطاعياً ومكانياً ، تتيح تحسين توزيع ثمارها بين الأفراد والفنانات والجهات على السواء ، فخيار الاعتماد كلياً على آليات السوق لا يتسق والأهداف التي يسعى إلى تحقيقها. فما الخيار الأكثر موانمة لتمكين المجلس من التوجه نحو الطريق إلى تحقيق تنمية متوازنة قطاعياً ومكانياً.

إن القول : إن خيار الاعتماد على آليات السوق واطلاق كامل الحرية لانتقال العمالة ورأس المال من مكان لأخر داخل دول المجلس قد يؤدي إلى زيادة الميزة النسبية لبعض من دول المجلس ، وتوسيع الفروق بينها لا يعني بالضرورة شطب هذا الخيار نهائياً ، بل التبصر في كيفية استخدامه بشكل يتيح الاستفادة من أيجابياته، وتجنب سلبياته وأنثره غير المقصودة .

فإذا كان البعض من دول المجلس يتمتع حالياً بمميزات نسبية قد تجذب مزيداً من العمالة ورأس المال، فالمطلوب خيار لا يتيح فقط تعزيز الميزات النسبية الموجودة حالياً في بعض دول المجلس بل وأيضاً خلق ميزات نسبية في الدول الأخرى .

لذا ينطوى هذا الخيار على تنظيم وتجهيز انتقال رأس المال والعمالة في إطار سياسة واضحة تأخذ بعين الاعتبار البعدين المحلي والإقليمي من جهة ، والتكلفة والعائد في المدى القصير والمدى الطويل من جهة أخرى .

وفي هذا السياق فإن جوانب التحديات تشمل التغيرات والنمو الاقتصادي السعودي وهو ما يقتضي وقفة للفسخ في مجلس التعاون

زاد حجم رأس المال الثابت المحلي الإجمالي المنفذ في السعودية وبالأسعار الثابت لعام ١٩٨٤ من ١٥٢ بليون ريال عام ١٩٦٩ إلى ٩٦ بليون ريال عام ١٩٨٤ ، ولكنه تراجم بشكل تدريجي نظراً لاكتمال معظم مشاريع البنية الأساسية حتى وصل إلى حوالي ٤٩ بليون ريال عام ١٩٨٨ ثم بعد ذلك أخذ في التزايد حتى وصل إلى حوالي ٨١ بليون ريال عام ١٩٩٣ .

وقد بلغ معدل النمو السنوي العام لرأس المال الثابت وبالأسعار الثابتة لعام ١٩٨٤ حوالي ٥٪ في المتوسط سنوياً خلال الفترة ١٩٦٩-١٩٩٣ وبالأسعار الجارية حوالي ٢٪ في المتوسط سنوياً خلال الفترة ١٩٩٣-١٩٨٤ .

وبالنسبة للأهمية النسبية للقطاعات المختلفة في حجم رأس المال الثابت، نجد أن نصيب القطاعات البترولية في إجمالي رأس المال الثابت قد بلغ حوالي ٣٢ بليون ريال عام ١٩٧٤ وبنسبة ٢٥٪ من إجمالي رأس المال الثابت، وهذا النصيب أخذ في الزيادة بعد ذلك حتى عام ١٩٨٤ ، ثم هبط حتى وصل إلى أدناه عام ١٩٨٨ ، ولكنه بدأ في الزيادة بعد ذلك حتى وصل إلى ٨ بليون ريال عام ١٩٩٣ وبنسبة ٨٪ من إجمالي رأس المال الثابت . وهذا يعني أن نصيب القطاعات غير البترولية في إجمالي رأس المال الثابت قد تراوح ما بين ٧٥٪ ، ٩٢٪ خلال الفترة ١٩٧٥-١٩٩٣.

ويلاحظ أنه سمن القطاعات غير البترولية نجد أن مساهمه القطاع الخاص في تكوين رأس المال الثابت المحلي الاجمالي الحقيقي قد بلغت حوالي ٥٦٪ في عام ١٩٩٣م.

وحيث أن التوسع الصناعي هدفاً مستمراً لخطط التنمية في المملكة. فقد ارتفعت المساهمة النسبية للإسثمار في المعدات والآلات من حوالي ٤٪ عام ١٩٧٩ إلى حوالي ١٨٪ عام ١٩٩٠

ويعتمد تمويل رأس المال المستثمر في المملكة على ميزانية الدولة والشركات العامة والقطاع الخاص ومؤسسات الأقراض المتخصصه . فقد قدرت مساهمة ميزانية الدولة والشركات العامة في تمويل استثمارات الخطة الخمسية الخامسة ١٩٩٥-١٩٩٠ بحوالي ٥٤٪ يليها القطاع الخاص وبنسبة ٣٧٪ ثم مؤسسات الأقراض المتخصصه بنسبة ٩٪ .

وقد أنجزت مؤسسات الائتمان السعوديه المتخصصه دوراً كبيراً في تمويل الإستثمارات وفي دفع عجلة التنمية الاقتصادية في المجالات التي خصصت لها كالزراعة والصناعة والاسكان وغيرها .

وقد سجلت جملة القروض التي قدمتها مؤسسات التمويل الحكومي نمواً كبيراً خلال سنوات خطط التنمية الثلاث الأول، إذ أزدادت من ١٦ بليون ريال عام ١٩٧٠ إلى ١٩٨ بليون ريال عام ١٩٨٠ ، ثم انخفضت إلى ١٧ بليون ريال عام ١٩٨٥ . وعلى ضوء تضاؤل الحاجة إلى القروض.. انخفض تقديمها تدريجياً بعد ذلك إلى أن وصلت إلى حوالي ١٧ بليون ريال عام ١٩٩٥ .

هذا وقد بلغ مجموع قيمة القروض التي قدمتها مؤسسات الأقراض العامه منذ تأسيسها إلى نهاية عام ١٩٩٥ حوالي ٢٥٨ بليون ريال، وكان نصيب صندوق التنمية العقارية منها حوالي ١١٠ بليون ريال وبنسبة ٤٢٪ .

والبنك الزراعي العربي السعودي حوالي ٢٨ بليون ريال وبنسبة ١٠٩٪ ، ثمن صندوق التنمية الصناعية السعودي حوالي ٦٦ بليون ريال وبنسبة ٦٪٢١ و المؤسسات الأخرى حوالي ٩ بليون ريال وبنسبة ٤٪٣٤ .

وبالنسبة للاستثمارات الأجنبية ، نجد أن الحكومة السعودية قد أصدرت عدة قوانين أحنت على العديد من المزايا التشجيعية للمستثمرين الأجانب مثل الأعفاء الضريبي والأعفاء من الرسوم الجمركية والتسهيلات العقارية وضمان الإستثمارات من المخاطر غير التجارية .

تتمتع المملكة العربية السعودية بميزان تنافسيه ونسبة متعدده وخاصة في مجال الصناعات التي تعتمد على استخدام الموارد الهيدروكرابونيه والصناعات التي تعتمد على الاستخدام المكثف للطاقة ويتجلى هذا بوضوح عن طريق النجاح الذي حققه الصناعات البتروكيمياويه على الساحه الدوليه.

وإذا كانت الحكومه السعوديه، قد قامت بتنفيذ الكثير من المشروعات الصناعية التي تنتج سلع تحل محل السلع المستورده إلا أنها قامت ببعض البرامج الخاصه بتنمية الصادرات ، مثل تأسيس المركز السعودى لتنمية الصادرات والشركه السعوديه لتسويق الصادرات وقيام البنك الاسلامي للتنمية بتوسيعة برنامجه الخاص بتمويل التجارة للمنتجات السعوديه .(٨)

أما الصادرات السعوديه إنها قد زادت بمعدل نمو بلغ حوالي ٧٪ في المتوسط سنويًا خلال الفترة ١٩٧٠-١٩٩٣ ، بينما بلغ معدل نمو صادرات البترول الخام حوالي ٦٪ والم المنتجات البترولية ١١٪ والسلع الأخرى ٤٪٣٢ خلال نفس الفترة .

وتعتبر صادرات البترول الخام، أهم العناصر الرئيسية في مجموع



الصادرات السعودية، وقد شكلت صادرات البترول الخام حوالي ٥٧٥٪ من إجمالي صادرات المملكة عام ١٩٩٣ ، وبعد صادرات البترول الخام تأتي الصادرات من المنتجات البترولية والتي شكلت حوالي ٦١٥٪ ثم الصادرات الأخرى مثل الماشية والمنتجات الحيوانية والمواد الكيماوية والمنتجات الزراعية والتي شكلت حوالي ٩٨٪ من إجمالي صادرات المملكة عام ١٩٩٣ .

أما بالنسبة للواردات ، فقد كان للتطور الاقتصادي السريع في المملكة دور حاسم في تحديد حجم ونسبة السلع المستوردة .

هذا وقد زادت الواردات السعودية بمعدل نمو سنوي بلغ حوالي ١٤٪ خلال الفترة ١٩٧٠-١٩٩٣ .

وتعتبر الواردات التي تحتاجها المشروعات الانمائية من معدات نقل وأليات ومعدات ميكانيكية وكهربائية من أهم العناصر الرئيسية في مجموع الواردات السعودية، وقد بلغت نسبتها حوالي ٥٣٪ من إجمالي الواردات السعودية عام ١٩٩٤ ، كما بلغت نسبة الواردات من المواد الغذائية حوالي ١٢٪ في نفس العام.

وعلى الرغم من انخفاض قيمة الصادرات السلعية وأرتفاع قيمة الواردات وتراجحهما صعوداً وهبوطاً ، إلا أن الميزان التجاري (٣) استمر في تحقيق فائض بلغ عام ١٩٧٠ حوالي ٧٠ ره بليون ريال وأرتفع إلى ١٢٤٧ بليون ريال عام ١٩٧٩ بسبب ارتفاع أسعار البترول ولكنه انخفض حتى وصل إلى ١٦٩ بليون ريال عام ١٩٨٨ نتيجة انخفاض أسعار البترول ثم أرتفع إلى ١٧١ بليون ريال عام ١٩٩٢ .

وتجدر الاشارة ان السعودية بدأت عملية التنمية منذ الأربعينات من

القرن العشرين ، حيث هيئات باكورة العوائد التفطيه الصغيره امكانية هامة لتحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المملكة .

وقد أدت عملية التنمية الاقتصادية الى حدوث زياده كبيره في الناتج المحلي الاجمالى وحدوث تغيرات فى الأوزان النسبية للقطاعات المختلفة فى هذا الناتج . فقد زاد الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجاريه .

بالنسبة للمساهمة النسبية للقطاعات المختلفة في الناتج المحلي الاجمالى، وكما يتضح من نفس الجدول السابق، نجد أن المساهمة النسبية للقطاع البترولى المتمثل في استخراج البترول الخام والغاز الطبيعي وتكرير البترول، في الناتج المحلي الاجمالى قد بلغت حوالي ٣٥٤٪ عام ١٩٦٩ ، ارتفعت إلى حوالي ٨٢٪ عام ١٩٧٤ بسبب زياده انتاج وأسعار البترول، ثم انخفضت هذه النسبة حتى وصلت إلى حوالي ٤٪ عام ١٩٩٢ ، ويرجع ذلك إلى انخفاض اسعار البترول وفي نفس الوقت إلى تطور القطاعات الأخرى غير البترولية وأرتفاع نسبة مساهمتها في الناتج المحلي الاجمالى .

ومن القطاعات غير البتروليه ، نجد أن القطاع الصناعي بالمملكة العربية السعودية ، قد شهد تطورا كبيرا نتيجة لما أولته الدوله من دعم كبير لهذا القطاع ، وما تميز به المستثمرون من نشاط وحيويه تجاوبا مع هذا الدعم.

وقد نمت الصناعات التحويليه بدرجة ملحوظة خلال الفترة ١٩٧٠-١٩٩٣ ، إذ ارتفع أجمالي المصانع العامله من ١٩٩ مصنعا عام ١٩٧٠ إلى ٢٢٣٤ مصنعا عام ١٩٩٣ ، وبلغ رأس المال المستثمر فيها حوالي ١٥١٢ بليون ريال ، كما بلغ أجمالي عدد العاملين أكثر من ١٩٦ الف عام وموظف وذلك بالمقارنة إلى ٢٨ بليون ريال وحوالي ١٤ ألف عامل وموظف في عام ١٩٧٠ .

وقد ركز قطاع الصناعة نشاطه على التصنيع المستخدم للموارد البترولية والتى تتمتع فيها السعودية بميزة نسبية .

وبقدر معقول من الثقه يمكن القول ان الاقتصاد السعودى ما زال يعتمد كثيرا على الصادرات البتروليه والتى تشكل العنصر الاساسى فى صادرات السعودية وقد بلغت نسبتها حوالى ٧٥٪ / ١٩٩٣ . وتناثر هذه الصادرات كثيرا بتغيرات أسعار البترول العالميه صعودا وهبوطا وبالرغم من أن البترول لعب دورا رئيسيا فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى المملكة العربيه السعوديه ، وكان له أعظم الاثر فى تغيير ملامح الحياة على الأرض السعوديه، إولاً أن استراتيجية التنمية فى السعودية القائمه على أساس أحداث تغير هيكلى فى بنية الاقتصاد القومى، قد أثبتت قدرتها على مواجهة الضغوط الخارجيه بصورة واضحة ، ويرجع صمود الاقتصاد القومى لهزات السوق البترولية الى توفير احتياطي من العملات الاجنبية والسياسات الاقتصادية التي اتخذتها الدولة كالمحافظه على مستوى النفقات المتكرره للموازنـه العامة للدولة.(٩)

الهواشت :

- ١- انظر انطوان زحلان ، البعد التكنولوجي للوحدة العربية : (٢) الجانب الجيوسياسي - النقل والتكنولوجيا ، المستقبل العربي ، السنة ٢ ، العدد ٢٢ (كانون الثاني / يناير ١٩٨١) ، ص ٩٢-٨٠ . وهو ما يراه المؤلف «الباحث» .
- ٢- وراجع نفس المؤلف ، المستقبل العربي العدد ٢٥ مارس ١٩٨١ ص ص ٣٠ وما بعدها، وراجع أيضاً : دكتور محمد نصر مهنا ، النظرية السياسية والعالم الثالث ، الطبعة الثالثة ، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية ١٩٩٨ .
- ٣- راجع تفصيلاً - دكتور مختار محمد يلون ، التخطيط الاقتصادي ، تهامة ، الرياض بدون تاريخ اصدار.
- ٤- دكتور / محمد بن عبد الرحمن الطويل وأخرون ١٩٨٨ ، الادارة العامة في المملكة العربية السعودية ، معهد الاداره العام الرياض ١٩٩٥ .
- ٥- اعتمدنا في هذا التحليل القيم على : دكتور (احمد فؤاد مندور ، د/ابراهيم نصار سالمان ، التغيرات الميكلية والنمو الاقتصادي في تركيا وال سعودية ، دراسه مقارنه ، بحث مقدم إلى ندوة العالم الاسلامي والتحدي الحضاري ، القاهرة ١٩٩٦) .
- ٦- المرجع نفسه.
- ٧- المرجع نفسه.
- ٨- المرجع نفسه.
- ٩- المرجع نفسه.



فصل ختامي الاعلام - النفط

أولاً، الإعلام وتحديثه،

من الثابت إن العمل الإعلامي العربي عموماً والخليجي على وجه الخصوص لا يقوم بالأرقام بقدر ما يتميز فسوف نجد التجربة الخليجية تحاول اللحاق بأساليب التقدم بال النوعية والجودة.

وليس هناك - اذا اعتمدنا الكم على حساب الكيف - التقدم ورغم العديد من الصعوبات.

وكمؤشر اعلامي عالمي يعتبر أن توفر ٢٠٠-٢٥٠ جهاز راديو وتلفزة ونسخ صحف لكل ألف ساكن هو معدل يسمح بتعطية إعلامية كافية داخل كل مجموعة بشريّة، والملاحظ أنه لا يشترط التساوى بين هذه الوسائل الثلاث بل ان العبرة متكاملة ، وبذلك تصنف الدول النامية إلى مجموعتين : مجموعة محظوظة نسبياً وهي هنا دول الخليج العربي التي تجاوزت هذا المعدل بكثير ومجموعة أخرى دونها ينبغي أن تكون في مقدمة الدول المرشحة للمساعدة والمؤازرة .

وانطلاقاً من هذه المقاييس من أرقام اليونسكو في السنوات الأخيرة فقد تم وضع قائمة تشمل ٤٦ بلداً، لكن هذه المؤشرات الإعلامية غير كافية وذلك لأن الأرقام المعتمد عليها قديمة تعود إلى سنة ١٩٧٠ ، وقد تحسنت الأوضاع الاقتصادية ، ثم الاجتماعية في الكثير من البلدان ، وخاصة البلدان النفطية التي انعكس عليها أثر التحسن الإعلامي وتحديثه المستمر حيث الأغلبية الساحقة من الدول النامية التي هي في حاجة ملحة إلى الاعتمادات المالية

لتدعم اجهزتها الاعلامية ومواجهها اوضاع الاختلال التي شهدتها العالم في
الهندع الأخير من القرن العشرين.

و قبل عقدين من الزمن قدرت حاجيات الدول النامية غير الخليجية
لتجهيز قطاع الاعلام بحوالي عشرين مليارا من الدولارات الأمريكية على
الأقل. وقد تختلف هذه الحاجيات في مطبع وصحف وكتب ووكالات أنباء
وأجهزة بث للإذاعة والتلفزيون ومراكم توثيق ... أما الاستثمارات في مجال
الهاتف وتواضعه لرفع مستوى الدول النامية غير الخليجية إلى مستوى الولايات
المتحدة فقد قدرت بخمسة مليار دولار. ومن الثابت أن العمل الأساسي لتسديد
ال حاجيات ومواجهة الوضع كان يتوقف على الدول النامية أساسا حيث لا
تخصص قطاع الاعلام أكثر من ٢ أو ٣ بالمائة من ميزانياتها الأمر الذي
استلزم بذل المزيد من العناية لقطاع الإعلام والاتصال .

غير أن الدول العربية وخاصة دول الخليج العربي قد اعتمدت في
ميزانياتها جزءاً أكبر للانفاق الاعلامي وخاصة في مجال البث التليفزيوني
والحاسوب وشبكات الانترنت. وقد خذلت الدول العربية الأخرى حذوا دول الخليج
العربي بهذا الصدد في سياق التعاون الاعلامي العربي بشأن إبراز الحقائق
في مجالات الإعلام والاتصال وبالمقارنة بالكثير من الدول النامية في أفريقيا
وآسيا ، فلا تزال الحاجة الملحّة ، تتطلب استئثار التعاون في مجالات الإعلام
والاتصال بالقدر الكافي .

وإن الدول الصناعية التي أصبح بها هذا القطاع في مقدمة القطاعات
المتقدمة ولم تحرك ساكناً لتشجيع تصويره في البلدان النامية وهي تعلل ذلك
بأسباب واهية .

لذلك فان المقتراحات العملية التي تقدمت بها الهيئات الاستشارية الدولية
ورجال الحكمة لم تجد أذاناً صاغية لا في الشرق ولا في الغرب .

فضلا عن إن البرنامج الدولي لتنمية الاتصال باع بالخيبات المرأة وبالطبع فان الحل النهائي يبقي إذن بآيدي الدول النامية التي عليها أن تحمل مصيرها بين أيديها وتسعي إلى خلق أسس متينة لتعاون جنوبى وأقليمى حتى تفرض رأيها من خلال تنسيق محكم وموافق موحدة .

ان أهم ما يجب ان تشمله مظاهر التحديث الاعلام فى الدول العربية وخاصة دول الخليج العربى منها هو ابراز البعد التحديى التربوى والتى نعتبر هذه الدول فى مسیس الحاجة اليها .

ولا أحد يمكنه أن ينكر في الظروف الراهنة أن وسائل الاتصال تشكل عامل تنمية وسببا من أسباب إسهام المواطن في المجتمع بشكل نشط وعنصرا متزايد الأهمية من عناصر الثقافة المعاصرة حيث أخذت الإمكانيات التربوية تتجلى شيئا فشيئا . ويكتفى أن نستكشف المجال الذي شملته الدراسات لكي ندرك بعض المظاهر العامة لهذه المسألة . ويتبين من خلال بعض التجارب والدراسات التي أجريت بصفة منفصلة في بعض البلدان بيانات كثيرة يمكن استخلاص العبر المفيدة منها وبهذه الصورة نلاحظ التزايد المطرد لعدد الأفراد الذين يخصصون جزءا كبيرا من أوقات فراغهم لقراءة الصحف والمجلات، أو لل الاستماع إلى الإذاعة أو المسجلات الصوتية ولمشاهدة التلفزيون على وجه الخصوص. ذلك أن الأطفال يقضون في بعض البلدان أمام شاشة التلفزة وقتا أطول من الوقت الذي يقضونه بالمدرسة .

إن مختلف المجتمعات النامية ومنها الدول العربية الخليفة والمؤسسات الدولية المعنية - قد أدركت ما لوسائل الاتصال من دور في نشر الأفكار والمعارف وتبنت الترابط الوثيق القائم بين التربية والاتصال - هي اليوم تبدى اهتماما بتحليل هذه المسألة وتعلق أمالها على وسائل الاتصال حتى تواجه

أخطر المشاكل التي تعانيها الإنسانية أى آفة الأمية ، ومن جهة أخرى فإن الإذاعة والتلفزيون - باعتبارهما وسليتى إعلام لا يتوقف أثرهما عند بعض الأصناف الاجتماعية والمناطق الجغرافية - يمثلان أداتين ثمينتين في تحقيق هذه التربية المستمرة أى التربية المتواصلة على امتداد حياة الفرد منذ نعومة أظفاره إلى وفاته . وهو ما يقتضى أن تكون منظمة بصورة متكاملة ، وينبغي أن يتحقق هذا التكامل في اتجاهين مزدوجين عمودي من جهة (مدة الحياة) وأفقي من جهة أخرى يشمل مختلف القطاعات والبيئات أى مجرى حياة الأفراد والمجتمعات .

وان المرء ليشعر بالاعتزاز ان العديد من الدول العربية الخليجية ملتزمة بذلك وخاصة الممكلة العربية السعودية من ثنايا الرسالة الإعلامية دالة تتضمن من اتجاه المدرسة والجامعة في السعودية خاصة يضع في حسبانه الالتزام بالاسلام الحنيف ومن ثم كان النقاشُ مهمًا حول مسئله مراجعة وظائف المدرسة وتقسيم المهام بين معاهد التربية ووسائل الاعلام . وبث القيم الدينية باعتبار ان التلفيوز ليس هو وسيلة الإعلام الوحيدة القادرة على تثقيف الشباب ذلك أن الصحافة المكتوبة قد سجلت بروزها هي الأخرى في عدد كبير من المدارس والمعاهد . وقد أصبحت بعض المواضيع الدراسية تعالج بواسطة التحقيقات الصحفية وقصاصات الجرائد، وفي هذا السياق يحاط التلاميذ علما بواقع الصحف، ويؤخذون لزيارة المؤسسات الصحفية كما يدرّبون على قراءة المقالات الصحفية وتحليلها وليس الإذاعة أقل شأنًا في هذا المضمار، إذ تبين أنها تشكل أيضًا وسيلة ممتازة لتعليم بعض المواد مثل اللغات الحية. وهكذا فإن وسائل الاعلام يمكن أن تمثل وسائل تعليمية ناجحة في تثقيف النشء الصاعد وكذلك في تعليم الكهول ومكافحة الأمية .

وقد تبين أن الإذاعة أداة لا مثيل لها في هذا المجال فهى وحدها قادرة على أن تصل إلى العمال النائيين عن المراكز الحضرية وبالتالي فهى تستطيع أن تحقق نتائج لا يستهان بها وبذلك يجد كل بيت قروي نفسه قد تحول إلى مدرسة صغيرة . وعندما تحل أدوات اعلام أخرى محل الإذاعة تكون النتائج دائماً أفضل ومن ذلك الدوريات الصحفية والنصوص المكتوبة المرافقة للدروس المثبتة والاسطوانات ، والمكتبات ومراسلات المستمعين والقراء ..

ومن الثابت ان التطور التكنولوجي السريع أدى في وقت قصير الى الانتقال من بث إذاعي وتلفزي شامل الى وسائل إعلام جديدة محددة الهدف والى برامج موجهة حسب الفئات الاجتماعية والمهنية أو حسب المناطق الجغرافية . وهذا يعني تميز الجمهور وتقسيمه المتزايد وفقاً للحاجة وللإمكانيات، بما في ذلك من سلبيات ومزايا . أما البلدان السائرة في طريق النمو فهي من جهتها لم تتوصل بعد إلى إخضاع هذه التقنية على الوجه الملائم وتجاوز مراحل تطورها الأولى وفي هذا السياق تأتى أهمية ما تقوم به وسائل الاعلام الخاضعة للدولة في المجتمعات العربية الخليجية .

ويرى أحد الباحثين «أن التعليم في البلدان المتخلفة ينبغي أن يتعمق أكثر في دراسة الماضي للوقوف على جذور الثقافة المحلية والاتجاه بثبات أكثر نحو المستقبل بفضل العلوم الصحيحة والطبيعية . فالهدف هو الانتقاد من تأثير العالم الأوروبي في برامج تعليم العلوم الإنسانية والاقبال بطريقة انتقاديه على العلوم بأكثر استعداد وابيجابية».

وعموماً فإن التربية في البلدان النامية يحسن تحدثها وأن تكون متوجهة نحو عالم الغد ، عالم تحقيق التنمية في نطاق سياسة رشيدة مع ملاحظة أن اللجوء إلى التقنية المتقدمة والنابعة من المجتمعات الصناعية هو أمر حتمي ،

غير أنه على هذه البلدان أن تكون واعية بمحاسن هذه التقنيات ومساواتها المحتملة وذلك قبل استخدامها . وعلى أية حال فإن التنمية الشاملة يجب أن تتسم - مهما كان التعويض - على حساب القيم الثقافية الأصلية . وفي هذا الاتجاه الجديد انطلقت التربية في عدة بلدان ، إلا أن هذا العمل لن يتحقق بسهولة طالما أن البلدان العظمى التي تمارس تأثيراً كبيراً على الساحة الدولية لم تغير مفاهيمها للقيم الجوهرية فتيسر إمكانية خلق ظروف مواتية للتنمية بهذا المفهوم السليم .

تحاول معظم البلدان النامية حالياً أن تعالج هذه المشاكل الكبرى بصفة تجريبية وتوكيل للمعلم أمر تحقيق التوازن الدقيق للمجتمع . وفعلاً فإن الأهمية المنوحة للتربية أدت إلى اعتبار المدرسة أفضل عامل تغيير ، وأصبح لا يوثق بأى تربية يتم الحصول عليها خارجها . ولكن هل تستطيع المدرسة في بلدان العالم الثالث ، وهي مدعوة إلى مواجهة أممية متفاقة وإعادة تقييم النظام التربوي تقييماً نوعياً مطربداً ، إن ترفع بمفردها التحدى ؟ أم عليها أن تستعين بوسائل تكميلية أخرى ولاسيما وسائل الاتصال الجماهيرية ؟ ومن نافلة القول أن العديد من دول الخليج العربي قاموا بتحديث ذاتها الإعلامية مع الحفاظ على تراثها وتقاليدها في نفس الوقت .

وعموماً فالعمل المكثف الذي بذلته مختلف البلدان النامية على صعيد البنية التحتية تدارك التأخير في ميادين الصحافة المكتوبة والإذاعة والتلفزيون ، وبعد المجهود المتواصل لإنتاج رسائلها وبرامجها بمفردها ، وبالنظر إلى واقعها اليومي وذاتها المميزة ، فإنه من الضروري أن تضع تلك البلدان قواعد سياستها التربوية بالاعتماد على وسائل تعليم المدرسة ووسائل الاتصال . ويؤكد واصف تقرير نادي روما حول التربية أن تقديم المعرفة الإنسانية يجب أن يمر حتماً عن طريق المشاركة والمبادرة .

إن المدرسة في شكلها التقليدي يمكن لها بالاعتماد على وسائل الإعلام أن تأتي بإنجازات كبيرة حتى في البلدان النامية . ففي بعض البلدان الأفريقية (أفريقيا الشمالية خاصة) تقوم وسائل الاتصال مقام المرشد الحقيقى للأطفال بتشجيعهم عن الاتصال بعالم الكهول وبخلق الميول والطموحات لديهم. وتحتل بعض البرامج التربوية بالاذاعة والتلفزيون ، وكذلك البرامج العلمية (مثلاً هو الشأن في تونس مثلاً) مكان الصدارة في البرامج اليومية . وهي تبرهن أكثر فأكثر على أن مساهمة وسائل الاتصال يمكن أن تكون مشمرة جداً في تكوين الفكر وتنميته. فالمدرسوں وكل الذين يشاركون في العمل التربوي لا يمكنهم في هذه الحالة إنكار ما لوسائل الاتصال من صفات تعليمية ذات مردود ملحوظ وعلى العكس من ذلك فإن عليهم أن يستفيدوا منها وينموا الحس النقدي لدى المتقبلين لما تبثه وسائل الإعلام، وعليهم أيضاً أن يتقمصوا دور المؤلفين وكتاب السيناريو والمنشطين في المجال التربوي الفسيح . وهذا يفترض أن يتدرّب المعلم على استخدام وسائل الاتصال لإثراء تعليمه وتيسير تنقل التلميذ من الوسط المدرسي إلى الحياة العصرية .

ومن ناحية أخرى فإن البلدان النامية - الأفريقية منها بالخصوص - مدعوة أولاً إلى تكثيف استعمال الإذاعة التي يتبعن باطراد أنها أداة ملائمة للثقافات القائمة على النقل الشفوي والقيم غير المكتوبة . أما المناطق ذات اللغة الواحدة (كالوطن العربي) ودول الخليج العربي فإنه بإمكان أجهزة الاتصالات الإقليمية أو الوطنية أن تكتسب أهمية كبيرة ، كما يتسعى للبلاد النامية عامة أن تستعين ببرامج دولية في إطار احترام خصوصية أنظمتها التربوية الوطنية، وخاصة البرامج المتعلقة بالرياضيات والعلوم والكيمياء والجغرافيا .

ومن جهة أخرى فإن الأجهزة الإعلامية والحواسب الالكترونية قادرة على

أداء خدمات عديدة للتعليم ، وذلك لأن التحاور بين التلميذ والجهاز يمكن أن يخلق ظروف تعلم ناجح سريع ومستمر ومن نافلة القول ، إن الظروف الاقتصادية في دول الخليج العربي قد أختارت هذا الطريق التحديي على أن المهم هو أن تحسن تربية الجماهير بأقل ما يمكن من الوسائل واقتصرى من يستطيع من الفعالية والشمول . وفضلاً عن ذلك فإن الأمر يتعلق بالاستعانة بالتقنية العصرية مع ملازمة الحذر والشفافية.

إن النتيجة المنطقية التي يمكن أن تستخلصها من هذا التحليل تتمثل في ضرورة مواصلة التعمق في التفكير وايجاد الملاعة بين المدرسة ووسائل الاتصال، مع الاهتمام المتواصل بالتقدم وتحسين الظروف الإنسانية والانشغال المطرد بالاهتمامات الخصوصية للبلدان النامية التي هي أشد حاجة من غيرها إلى العلم والمعرفة ، حتى تتدارك التأخير وتنتصر على التخلف وفي هذا السياق تأتي أهمية البعد الثقافي الإعلامي باعتبار ان الثقافة تتمثل في مجموعة الظواهر المميزة والرموز التي يختص بها المجتمع. وهي تشمل انماط العيش وطرق الانتاج و مختلف القيم والعقائد والآراء. فالثقافة تجاوز أبعاد الفنون الجميلة والأداب المستطرفة لتكون محور حيوية هذا المجتمع وأداة دوامه وتجددده. وهي التصور للواقع الذي يعيشه الإنسان بعد أن يضفي عليه نظرته الخاصة ويتخيله حسب أهوائه ومشيئته .

ان الإعلام هو المحرك والمعبر عن مقومات النشاط الاجتماعي وهو الذي يعني بالإنسان عن غريزته إلى المطامع الحضارية . وهو المنبع المشترك الذي ينهل منه هذا الإنسان الآراء والأفكار. وهو الرابط بين الأفراد والمحى إليهم بشعور الانتماس إلى مجتمع واحد. وهو الوسيلة لتحويل الأفكار إلى أعمال، والأداة التي تعكس الاحاسيس وال حاجيات من أبسطها إلى أعلى آيات الكمال.

وفي هذا السياق فان أجهزة الاعلام هي التي يوكل إليها مساعدة الثقافات على التلاقي وتزويدها بالهوا النقى الذى يقيها شر الاختناق وهى فى الوقت نفسه مطالبة بوقاية هذه الثقافات من العواصف الهوجاء والتىارات الهدامة ، إذ لا تخفى علينا اليوم تلك التحديات والمخاطر التى تحدق بالثقافة ، لا فى الدول الخليجية العربية فحسب بل حتى فى الدول المصنعة . لقد أصبحت تيارات تدفق الاعلام من الشمال نحو الجنوب كالسائل العارم يطير بكل ما يعترض سبيله ويعصف به فى مهب الرياح فيحطم كل توازن طبيعى لا يتمشى مع أهوائه ولا يستجيب الي أغراضه . وكما أن كل ارتباك فى مستوى الجهاز العصبى يؤثر فى الشخصية مهما تكون قوتها ، فإن كل اختلال يتصل بتدفق الاعلام له انعكاسه على نظرية الفرد الى مقومات المجتمع الثقافية التى يستمد منها أوله ويثبت بها انتسابه الي هذا المجتمع . وهذا ما يقيم الدليل على العلاقة المتينة بين السياسة من جهة والإعلام والثقافة من جهة ثانية .

ومن الثابت ان الاهتمام بنشر الثقافة الاسلامية هو اهم معيار يحافظ بين الاصالة والمعاصرة في الدول الخليجية من خلال وضع ذلك في خططها الاعلامية .

ثانياً، النفط

يرى الدكتور محمد الرميسي ان كلام من السعودية والكويت يتعرض للانتاج النفطي فيما الي تذبذبات خطيرة كما حدث للانتاج الايراني او العراقي . فقد كان باستطاعة حقول النفط الكويتية والسعودية انتاج نفط أكثر مما انتج بالفعل منذ سنة ١٩٥٠ ، إلا أن عدم الازام الشركات العاملة في أراضي الدولتين بنشر أرقام الاحتياطي المقدر ، جعل معرفة هذا الاحتياطي غير دقيقة ، كما أن تحكم هذه الشركات في الانتاج والتطوير جعلها الطرف الوحيد المتحكم في الصناعة النفطية لفترة طويلة .

ويستدل على مظاهر التحديث منذ منتصف القرن العشرين ان انتاج النفط الكويتي استمر في الارتفاع، الأمر الذي مكن الكويت من تقديم خدمات اجتماعية واقتصادية لسكانها ، فارتفع الدخل الكويتي من النفط من ١٨ مليون دولار سنة ١٩٥١ الي ٢٥٦٠ مليون دولار في سنة ١٩٦٤ ، وبدأت تترزىيد مداخيل الكويت من النفط ابتداء من السبعينات عندما نالت الكويت استقلالها عن بريطانيا وظهرت على سطح السياسة العربية والدولية كقوة اقتصادية جديدة. وفي العشرين سنة الملاحة تطورت الكويت عمرانيا وبشريا ، فارتفعت نسبة التعليم والخدمات الصحية والخدمات العامة .. وكذلك نما الوعي الوطني بأهمية صناعة النفط في الاقتصاد الكويتي ، وقد راهنت مصادر الشركات النفطية العالية الكبرى على محدودية الوعي في المنطقة كي تستمر في استثماراتها وأشارت المصادر الغربية إلى أن استمرار تطوير الانتاج النفطي في الكويت وال سعودية كان له العديد من الأسباب المحلية والإقليمية والدولية.

ويرى الدكتور محمد الرحيمي إن الكويت وكذلك السعودية قد رفضتا القبول لفترة طويلة بالأمر الواقع الذي فرضته الشركات النفطية العالمية الكبرى اذ طالبت بمبدأ مناصفة الأرباح في الخمسينيات فزيادة العائدات التي بدأت في السبعينيات إلا أن التغيرات الأساسية في العلاقات بين شركات النفط والكويت جاءت في بداية السبعينيات عندما أصبحت الكويت واحدة من أهم الأقطار المصدرة للنفط في الخليج ، ففي السبعينيات تنازلت شركة نفط الكويت عن بعض الأراضي يالمتياز وكان ذلك في سنة ١٩٦٢ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧١ واستخدمت الحكومة الكويتية هذه الاراضي لاحقا في عقد امتيازات جديدة مع شركات نفطية أخرى.

وتجدر الإشارة أنه قبل ارتفاع أسعار النفط في بداية السبعينيات (بعد

مؤتمر كاركاس ومفاوضات طهران ١٩٧١-١٩٧٠) كانت الطريقة الوحيدة لرفع دخول الحكومات المنتجة في حالة احتياجها لمصادر مالية جديدة هي أن تطلب من شركات النفط رفع الانتاج. وكان رفع الانتاج في بلد ما يعني بالضرورة خفضه في بلد أو بلدان أخرى، حتى لا تتأثر أسعار شركات النفط، وكانت هذه القضية محور النشاط النفطي الكويتي في سنتي ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ . ففي تصريح لوكيل وزارة النفط والمالية المساعد في ٢٠ أغسطس نسخة ١٩٧٠ قال فيه:

« إن الكويت تعتمد على وعد جاراتها بـ لا تسمح للشركات برفع انتاجها هناك على حساب الكويت ». -

وعقب سنة ١٩٧١ أصبحت الأمور عكسية تماما ، وأصبحت توجهات السياسة الكويتية النفطية هي تحديد الانتاج وليس رفعه وطلبت حكومة الكويت في مارس ١٩٧٢ من شركة نفط الكويت أن تبقى انتاج ١٩٧٢ في حدود كمية الانتاج للسنة السابقة وهي ٢٩٥ مليون برميل يوميا وقد جاء طلب تحديد الانتاج نتيجة لمناقشات هامة دارت في مجلس الامة الكويتي طالبت بتحديد الانتاج النفطي ووضع سياسة نفطية واضحة للمحافظة على الثروة ، وقد كانت تلك المناقشات هي الرائدة في طرح فكرة تحديد الانتاج.

في هذه الفترة (بداية السبعينيات) وفي جو التأمينات التي حدثت في أكثر من قطر عربي وارتفاع أسعار النفط بعد مفاوضات طهران في فبراير ١٩٧١ ، تبلورت وجهتا نظر بخصوص السياسات النفطية في الكويت : الأولى هي المشاركة ، وتعني مشاركة شركة حكومية وطنية للشركات العالمية في أعمالها النفطية، وعلى الأخص اقتسام النفط الخام المنتج عينيا بين الشركات والحكومة. وقد تكون هذه المشاركة بنسبة أقل مما يتطلبه اتخاذ القرار الحاسم

فى الانتاج والأسعار وظروف التشغيل . كما يرى الدكتور محمد الرميمي .

أما وجهة النظر الأخرى فهى القائلة بالتأمين، أى امتلاك الدولة ١٠٠٪ لشركات الشركات النفطية العاملة فى أراضيها . وكانت وجهة النظر هذه تقول: إنه حتى بالاستيلاء الكامل فان (ش ن ع ل) سوف تكون قائمة بالعمليات النفطية كمشترى للنفط أو قائم بالعمل تحت عقد برسم معين، الا أن التأمين يعني ملكية رأس المال والتحكم بقرارات الانتاج والاستثمار والأسعار، وهى قرارات هامة وأساسية لأى اقتصاد وطني .

وكانت المشاركة هي مطلب حكومات الخليج وقد صرح أحمد زكي يمانى وزير النفط السعودى فى وسط ١٩٧١ فى مؤتمر اقتصادى عقدته جريدة الفيننشال تايم بقوله :

(التأمين والمشاركة هما بديلان وطريقان مشتركان لاسترضاء المشاعر الوطنية فى العالم العربى ، ومن دون البديل فى المشاركة فان التأمين هو المطلب السياسى الذى لا يمكن مقاومته) .

وفى مؤتمر الاولى الرابع والعشرين الذى عقد فىينا (يوليو ١٩٧١) اتخذ المؤتمر قرارا بمتابعة مطالب المنتجين القديمة في المشاركة مع شركات النفط، وفي سبتمبر سنـه ١٩٧١ عـد المؤتمـر الخامس والعشـرون للأـلـيكـ بشـكـلـ غير عـادـىـ فىـ بـيرـوتـ، وـكـانـ منـ بـيـنـ قـرـارـاتـ المؤـتمـرـ أـنـ المـفاـوضـاتـ لـاـ بدـ أـنـ تـبـدـأـ بـيـنـ الـمـنـتـجـينـ وـ(ـشـ نـ عـ لـ)ـ لـتـابـعـةـ قـضـيـةـ المـشـارـكـةـ .ـ لـقـدـ كـانـ المـطـالـبـ بـالـمـشـارـكـةـ بـدـيـلـاـ لـلـتـأـمـيـنـ وـالـاسـرـاعـ فـيـهاـ تـعـنىـ انـقـاذـ الشـرـكـاتـ النـفـطـيـةـ -ـ التـىـ استـغـلـتـ المـوـادـ الـأـوـلـيـةـ طـوـيـلاـ -ـ مـنـ التـأـمـيـنـ

ولقد كان أحمد زكي يمانى هو الذى فوض عن أقطار الخليج العربى للوصول الى اتفاقية مع (ش ن ع ل) بخصوص المشاركة، ووصل اليـمانـىـ فى

النهاية الى اتفاق من هذه الشركات وقع مبدئيا في اكتوبر ١٩٧٢
بنيويورك.

وكان الاتفاق ينص على أن تبدأ المشاركة بـ ٢٥٪ ترتفع الى ٣٠٪ في
أول يناير ١٩٧٩ و٣٥٪ في أول يناير ١٩٨٠ و٤٠٪ في أول يناير ١٩٨١ ،
وتصل الى ٥١٪ في أول يناير ١٩٨٢ وتستمر كذلك حتى نهاية الامتيازات
الأصلية.

وفي الوقت الذي رحب فيه بعض حكومات الخليج بالاتفاق الذي توصل
إليه اليماني في نيويورك واعتبر نصرا كبيرا لوجهة نظر المطالبين بالمشاركة
فإن الكويت شهدت مناقشات جماهيرية واسعة انقسمت فيها الآراء بين مؤيد
ومعارض لاتفاق اليماني، وتحفظت العراق على اتفاق اليماني في حين أعلنت
الكويت على لسان عبد العزيز حسين وزير الدولة أن الكويت (تدرس
الموضوع)، وبعد تأخير وقعت الكويت في ٨ يناير ١٩٧٣ على اتفاق اليماني
للمشاركة بـ ٢٥٪ وهو الاتفاق الذي يصل الى ٥١٪ في ١٩٨٢ . وصرح عبد
الرحمن العتيقي وزير النفط الكويتي وقتها أنه يتقبل أي نقد يمكن أن يوجه
لهذه الاتفاقية سواء في الصحافة أو في مجلس الأمة .

لقد كانت اتفاقية المشاركة تتطلب قبل أن تصبح ملزمة للحكومة الكويتية
أن يوافق عليها مجلس الأمة، ولكن بعض أعضاء المجلس نشوطا بمساعدة
مواطنين آخرين من خارج مجلس الأمة في الدعوة إلى رفع نسبة المشاركة
والوصول إلى التأمين الكامل إن أمكن . وعقدت الندوات وكتبت المقالات في
الصحف اليومية والاسبوعية ناقدة شروط الاتفاقية أو مؤيدة لها.

تدخل رئيس مجلس الوزراء (وقتها) الشيخ جابر الأحمد وعقد لقاء مع
رئيس شركة جلف أعلن بعده أن الشيخ جابر الأحمد يرى أن (محتوى اتفاقية

المشاركة لابد أن يراجع ويوجه لتأكيد حقوق الكويت الشرعية وسحبت على أثر ذلك الاتفاقية من مجلس الأمة بسبب توقيع رفض المجلس لها ولعادة التفاوض حولها من جديد ، ووصلت الكويت الي اتفاق للمشاركة في بداية ١٩٧٤ يصل الي ٦٠٪ في شركة نفط الكويت في الوقت الذي قدم فيه بعض أعضاء مجلس الأمة الكويتي اقتراحا بمشروع قانون لتأمين النفط في الكويت . وبعد شهور من النقاش العام والحوار الديمقراطي وافق مجلس الأمة على اتفاقية المشاركة الجديدة في ١٤ مايو ١٩٧٤ . وكانت نتيجة التصويت في المجلس هي ٣٣ صوت موافق، وصوتين ضد الاتفاقية وتغيب ١٩ عضو عن التصويت . لقد لعبت الديمقراطية دوراً إيجابياً في توعية المواطنين والضغط على الشركات من أجل الاعتراف بالصالح الشرعي للشعب الكويتي .

وأكـدـ الدـكتـورـ أـحمدـ الخطـيبـ وـقـتهاـ فـيـ المـلـجـسـ بـعـدـ اـقـرـارـ الـاتـفـاقـيـةـ الـأخـيرـةـ . (انـ الـديـمـقـراـطـيـةـ الـبـنـاءـةـ الـتـىـ ظـهـرـتـ فـيـ نـقـاشـ الـاتـفـاقـيـاتـ الـمـشـارـكـةـ وـكـذـلـكـ اـهـتـمـامـ الـمـوـاطـنـيـنـ بـالـقـضـيـةـ الـنـفـطـيـةـ كـانـتـ نـصـراـ لـالـدـيمـقـراـطـيـةـ كـمـاـ هـيـ نـصـرـ لـكـويـتـ) .

هـيـاـ الجـوـ الذـىـ خـلـقـتـهـ مـنـاقـشـةـ الـمـشـارـكـةـ وـوجـهـاتـ النـظـرـ الـخـلـفـيـةـ الـتـىـ طـرـحـتـ شـعـبـيـاـ حـولـهـاـ - هـيـاـ لـلـحـكـوـمـةـ أـنـ توـسـعـ شـروـطـ الـمـشـارـكـةـ الـيـ بـقـيـةـ الـشـرـكـاتـ الـعـاـمـلـةـ فـيـ الـأـرـاضـيـ الـكـويـتـيـةـ ، وـكـذـلـكـ اـشـعـتـ جـوـاـ منـ الثـقـةـ بـالـنـفـسـ فـيـ بـقـيـةـ أـقـطـارـ الـخـلـيـجـ الـتـىـ تـوـجـهـتـ إـلـيـ التـفـكـيرـ بـالـتـأـمـيمـ الـكـامـلـ ، وـفـيـ بـدـاـيـةـ ١٩٧٥ـ وـبـعـدـ أـشـهـرـ قـلـيـلةـ مـنـ الـمـوـافـقـةـ عـلـىـ الـمـشـارـكـةـ السـابـقـةـ ظـهـرـتـ تـصـرـيـحـاتـ حـكـوـمـيـةـ كـويـتـيـةـ تـقـوـلـ بـالـتـأـمـيمـ الـكـامـلـ . وـفـورـ تـشـكـيلـ الـحـكـوـمـةـ الـجـدـيـدةـ فـيـ فـبـارـيـرـ ١٩٧٥ـ ، عـلـىـ إـثـرـ الـإـنـتـخـابـاتـ الـعـامـةـ الـتـىـ أـجـرـيـتـ فـيـ ذـلـكـ الـعـامـ أـعـلـنـتـ الـكـويـتـ فـيـ ٥ـ مـارـسـ ١٩٧٥ـ أـنـهـاـ قـرـرـتـ تـأـمـيمـ الـنـفـطـ فـيـ الـكـويـتـ ١٠٠٪ـ .

وفي مؤتمر القمة لرؤساء دول منظمة الأوبك الذي عقد في الجزائر في مارس ١٩٧٥ كانت الكويت من الدول القليلة من بين الأقطار المنتجة للنفط في الخليج (عدا العراق) التي تملك مقدراتها النفطية شبه كاملة، ولم تكن هذه الخطوة مقبولة بشكل تلقائي من (ش ن ع ك)، وبدأت تحاول وضع العقبات فقد انخفضت الانتاج النفطي في الكويت، وبعد مفاوضات استمرت أشهرًا وقعت حكومة الكويت مع (ش ن ع ك) العاملة في أراضيها في أول ديسمبر ١٩٧٥ تفاصيل اتفاق التأمين. وكان معنى ذلك الاتفاق أن تدخل الشركات العاملة في الكويت في تعاون تقني اداري تجاري مع السلطات الكويتية المختصة لاستغلال النفط، تكون فيه شركة النفط الوطنية الكويتية التي انشئت في مطلع الاستقلال هي التي تحدد حجم المنتج وعمليات تطوير الصناعة.

وفي السعودية التي منحت حقوق التنقيب عن النفط لأول مرة للشركات النفطية الأمريكية في مايو ١٩٣٢ ، ووسي هذا الاتفاق بعد ست سنوات في مايو ١٩٣٩ ، حيث وصل إلى مساحة مليون كيلو متر مربع في أراضيها، كانت الشروط الأساسية التي حصلت عليها السعودية أفضل من شروط جيرانها في ذلك الوقت ، عندما أصر الملك عبد العزيز على أن تدفع الشركات إتاوة أعلى ومعادلة بالذهب للحكومة السعودية .

لقد حصلت المصالح النفطية الأمريكية على امتيازات النفط ولكن ليس ذلك بدون صراع خفي مع المصالح البريطانية، كما أن حصافة الملك عبد العزيز بن سعود السياسية كانت عاملاً آخر في الحصول على مردود أفضل نسبياً من ذلك الامتياز. لقد اكتشفت شركة (أرامكو) شركة الزيت العربية الأمريكية - والتي أصبحت لفترة طويلة مركز ثقل اقتصادي وسياسي في السعودية - النفط بكميات تجارية في الساحل الشرقي للسعودية (الظهران^٩)

في ١٩٣٨ . وفي أول مايو من السنة التي تلتها بدأ تصدير النفط الخام - من الميناء الصغير الذي توسيع بعدها (الخبر) - إلى مصفاة الكريير في البحرين ، إلا أن الحرب أدت إلى ابطاء عمليات التطوير، خاصة بعد أن قصفت الطائرات الإيطالية الظهران والبحرين في سنة ١٩٤٠ . في ذلك العام أصبح واضحاً أن السعودية تمتلك احتياطياً ضخماً من النفط . وعندما قامت السعودية بمطالبة الشركات العاملة في أراضيها بتقديم قرض يبلغ ٦ ملايين دولار محسوباً على الربعون النفطي في المستقبل، حولت الشركات النفطية هذا الطلب إلى حكومة الولايات المتحدة ، التي نفذته من خلال بريطانيا حسب قانون الاعارة والتأجير الصادر في ١١ مارس ١٩٤١ وهو القانون الذي كانت الولايات المتحدة تقدم المساعدات بموجبه إلى الدول الحليفـة التي دخلت الحرب ضد ألمانيا وإيطاليا، فقادت بريطانيا بدفع المبلغ للسعودية من أصل المساعدات الأمريكية التي كانت تحصل عليها .

ونظراً لازدياد أهمية النفط السعودي للمصالح الأمريكية ، فلم يكن من اللائق استمرار المساعدات من خلال وسيط هو بريطانيا ، ففي فبراير ١٩٤٣ بعد مفاوضات بين شركات النفط الأمريكية العاملة في السعودية ووزارة الخارجية الأمريكية ظهر تصريح فبراير على لسان روفلت ، ومضمونه أن الدفاع عن العربية السعودية أمر حيوي بالنسبة للدفاع عن الولايات المتحدة.

وفي الوقت الذي كانت فيه علاقات دول الخليج ، بما فيها إيران والعراق وثيقة مع بريطانيا ، كانت العلاقات السعودية كدولة مستقلة تتوثق مع القوة الجديدة - الولايات المتحدة - فقادت الأخيرة بافتتاح قنصلية لها في جدة في نسـه ١٩٤٢ ، وبـنـتـ قـاعـدـةـ جـوـيـةـ أمـرـيـكـيـةـ فيـ الـظـهـرـانـ عـلـىـ سـاحـلـ الـخـلـيـجـ وـقـرـيـباـ

من حقول النفط، كما وصلت في سنة ١٩٤٣ ببعثة عسكرية لتدريب الجيش السعودي.

وتوسعت هذه العلاقة السياسية الاقتصادية بعد الحرب فقامت (أرامكو) بتوسيع نشاطها النفطي ، وقد توصلت أرامكو مع الحكومة السعودية في ديسمبر سنة ١٩٥٠ إلى اتفاق مناصفة الأرباح، وهو أول تطبيق للمبدأ الفنزويلي في أقطار الخليج، ووافقت الحكومة الأمريكية على تخفيض أرامكو للضرائب التي كانت تدفعها لحكومة الولايات المتحدة في سبيل تنفيذ اتفاقية مناصفة الأرباح التي تقدم للسعودية دعماً مالياً أكبر، ومع وفاة الملك عبد العزيز في سنة ١٩٥٣ وتسلمه ابنه سعود الحكم ظهرت تطورات متعددة في العلاقات السعودية مع (ش ن ع ك) العاملة في أراضيها ، منها مشروع الملك سعود القاضي بإنشاء شركة ناقلات عربية سعودية بالاشتراك مع أوناسيوس المليونير اليوناني، على أن تحتكر هذه الشركة نقل النفط السعودي الذي تنتجه أرامكو ، وقد أثار هذا المشروع ردود فعل سلبية من (ش ن ع ك) وخاصة أرامكو التي التجأت إلى المحاكم الدولية من جهة وإلى الضغط بطرقها المتعددة من جهة أخرى ، إلى أن كسبت القضية أمام هيئة تحكيم دولية في جنيف سنة ١٩٥٨ وأجبرت السعوديين على التخلص من مشروعهم .

وفي الخمسينيات كانت للسياسة السعودية توجهات عديدة: فهي في حرب مع المصالح البريطانية على الواحات الواقعة على الحدود السعودية بين أبو ظبي وعمان (واحات البرمي)، كما أنها في اتفاق في وقت وخلاف في وقت آخر مع النظام السياسي الناصري في مصر ، ووفقاً مع الولايات المتحدة وخلاف أيضاً إلى حد تصفية قاعدة الظهران الجوية في منتصف الخمسينيات ولم تكن إدارة الملك سعود هي الادارة التي ترغب الولايات المتحدة أن تراها مستمرة في السعودية البلد الهام استراتيجياً لها.

كانت الادارة السعودية وقتها غير دقيقة في تصريف الأمور المالية مما دفعها إلى حافة الإفلاس والالتجاء إلى أرامكو لتمويلها على حساب دفعات لكميات نفطية لم تستخرج من باطن الأرض .

ومن جهة أخرى كانت التموجات إلى تحسين وضع الدولة تجاه أرامكو موجودة ومستمرة بوجود عبد الله الطريقي التكنوقراطي الذي تسلم قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره إدارة شئون البترول والمعادن في السعودية.

وقد حاول تحسين موقف بلاده التفاوضي مع الشركة . ففي عام ١٩٥٧ منحت السعودية امتيازاً جديداً لشركة النفط العربية (اليابانية) كان يشكل علامة نوعية بارزة في تاريخ الامتيازات السعودية، إذ تحصل السعودية بموجب هذا الاتفاق على ٥٦٪ من الدخل الصافي لجميع نشاطات الشركة كان طموح الطريقي ومساعدوه كبيراً، وقادت نشاطاته إلى عقد أول مؤتمر نفطي عربي في رحاب المجلس الاقتصادي للجامعة العربية في ١٩٥٩ ، حضرته جميع الأقطار العربية المنتجة للنفط ومراقبون عرب في الخارج . لقد أثارت التخفيضات في الأسعار التي قامت بها (ش. ن. ع. ك) في نهاية الخمسينيات مرتين، أثارت حفيظة الأقطار المصدرة للنفط ، ولعب عبد الله الطريقي - الذي تسلم في ذلك العام أول وزارة للنفط في السعودية - دوراً إيجابياً في إنشاء منظمة الأقطار المصدرة للنفط في سنة ١٩٦٠ ، بالاشتراك مع إيران وفنزويلا والعراق والكويت .

وقد أشار أعلم المنظمة في بغداد إلى :

(ان الأعضاء لم يعد بعد بوسعهم البقاء بين مبارأة أمام الموقف الذي ظلت تتخذه شركات البترول حتى الآن لفرض تبريرها في تعديل الأسعار، وإن الأعضاء (أعضاء المنظمة الجديدة) ملزمون بالطالبة بأن تحافظ شركات النفط

على ثبات أسعارها، وعدم تعرضها لكل التقلبات غير الضرورية ، كما أن الأعضاء ملزمون بالسعى بكل الطرق المتوفرة لهم لإعادة الأسعار الحالية إلى المستويات التي كانت سائدة قبل اجراء التخفيضات).

استمرت السعودية في محاولة رفع دخلها من النفط وضبط مصرفياتها الداخلية بعد أن تولى الحكم الملك فيصل الرجل السياسي ذو الخبرة الطويلة ، فحصلت السعودية على اتفاق مع شركة نفط فرنسية سنة ١٩٦٥ كانت شروطه مواتية للسعوديين، ومنها أنه تحصل شركة (بترومين) شركة النفط الوطنية السعودية، والتي أنشئت في نوفمبر سنة ١٩٦٢ ، على مشاركة متكافئة في الأعمال الجديدة ورغم الشروط الإيجابية فإن الشركة الفرنسية لم تكتشف نفطاً تجارياً .

لقد كان اليماني أول المبصرين ب فكرة المشاركة مع شركات النفط، وكانت دعوه ان المشاركة سوف تخدم شركات النفط العالمية الكبيرة العامة في المنطقة وتنقذها من التأمين. وقد وصل اليماني في مفاوضاته مع (ش ن ع ل) إلى اتفاق المشاركة في نيويورك سنة ١٩٧٢ .. وفي وسط أجواء عربية عامة تطالب بالتأمين، وافقت الرياض في اخر سنه ١٩٧٢ بصورة مبدئية على المشاركة التي تفاوض عليها اليماني. الا أن سقوطها في الكويت وارتفاع الأسعار اللاحق لحرب اكتوبر جعل السعودية تحنون حذو الكويت في المشاركة بـ ٦٠٪ في سنه ١٩٧٤ . وبعد مفاوضات طويلة بين الحكومة السعودية وaramco أعلن استيلاء الحكومة على الأخيرة في ٣ سبتمبر سنه ١٩٨٠ .

وفي الثمانينات أصبحت السعودية أكبر مصدر للنفط في الشرق الأوسط وأصبحت قراراتها هي التي تحدد الأسعار، عن طريق تحديد كمية المنتج لديها . ولقد أعلنت أكثر من مرة عن عزمها على خلق فائض نفطي في السوق العالمية للتقليل من أزمات الدول الرأسمالية .

لقد كانت ثنائية الأسعار التي ظهرت بين السعودية والإمارات من جهة وبين بقية الأطراف المصدرة للنفط من جهة أخرى في مؤتمر الأوبك في الدوحة (قطر) في ديسمبر ١٩٧٦ مؤشرًا هاماً للدور السياسي الذي يلعبه النفط، وأصبح واضحًا خاصًا بعد الحرب العراقية/ الإيرانية التي أثرت على الانتاج النفطي في البلدين أن السعودية هي حجر الزاوية في العلاقات النفطية الجديدة، وقد أدت سياساتها في زيادة الانتاج إلى خفض الأسعار، وأثر ذلك ليس فقط في سرعة استهلاك مواردها النفطية وإنما أدى أيضًا إلى خفض إنتاج بعض بلدان الأوبك إلى نسبة تصل إلى ٤٥٪.

وكانت النتيجة أن الأوبك لا تستطيع أن تصرف ضد رغبة السعودية، وتكرر ذلك من جديد في مؤتمر الأوبك في جينيف في صيف ١٩٨١، عندما استطاعت السعودية أن تمرر وجهة نظرها في تجميد الأسعار وأن تبيع نفطها بأقل من سعر الأوبك.

وعمومًا فإن أهمية النفط إنما تنبع من كون السعودية تعد عملاقًا نفطيا حيث أنها واحدة من كبريات الدول البترولية ويضم بتروليا ومن شبابها شركات ضخمة، والاقتصاد السعودي أخذ في الاعتماد على موارد أخرى غير بترولية وأن كان النفط لا يزال يحتفظ بأهميته في التطور وتحديث الاقتصاد السعودي، وتأسيساً على ذلك فإن وجود — قوة النفط السعودية — نجد ذاته يحقق للسعودية مصالح كبيرة في علاقاتها الدولية والإقليمية وخاصة في الخليج العربي وقد نجحت الجهود السعودية في استخدام النفط لتحقيق أهداف التنمية. وتحديث كافة مؤسساتها ومرافقها بشكل أبهى الباحثين العرب والغربيين.

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الإسكندرية



